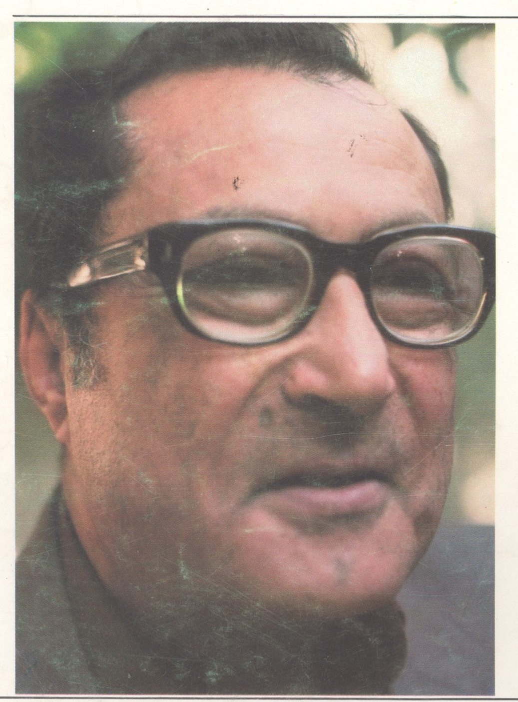
الثقافة الجديدة



224





مجلة شهرية يصدرها الحزب الشيوعي العراقي

224

العدد 10 السنة 37 آب 1990

فهرست

موقفنا

قضايا راهنة

نحو المؤتمر الخامس لحزبنا ـ آراء ومناقشات

عامان على اجتياح كردستان

كتب

وثائق

مقتطفات ومعالجات

■ ادب وفن



تصريحان للمكتب السياسي

حول عدوان النظام العراقي على الكويت

تضامناً مع الشعب الكويتي الشقيق ندين العدوان
ونطالب بسحب القوات العراقية المعتدية
وحل الخلافات بين البلدين بالطرق السلمية

روّع الشعب الكويتي الشقيق، ومعه شعبنا العراقي وكل الشعوب العربية، وفوجئت قوى السلم في العالم والهيئات الدولية، صباح هذا اليوم، بهجوم وحشي من جانب الحكومة العراقية على الكويت واحتلال اراضيه من قبل قواتها الغازية، والاعلان عن إسقاط الحكومة الكويتية بذرائع مفضوحة تزعم قيام ثورة في الكويت، وقيام حكومة جديدة وطلبها مساعدة الحكومة العراقية.

لقد ضربت الحكومة العراقية، بعدوانها الغاشم هذا، كل القيم والاعراف الدولية والقانون الدولي، فضلاً عن قيم الاخوة والجيرة، والاخلاق العربية، وصمت آذانها عن كل المناشدات العربية والصديقة لمعالجة خلافاتها مع الكويت

والازمة التي افتعلتها ضده بالمفاوضات والطرق السلمية بين البلدين الشقيقين، أو في إطار الجامعة العربية، وكشفت عن زيف ادعاءاتها التي استندت اليها كمبرر لاثارة الازمة.

ان جريمة الحرب العراقية ـ الايرانية التي اشعلها صدام حسين وآثارها الكارثية مازالت ماثلة في حياة شعبنا: مئات الالوف قتلى، ومئات الالوف جرحى ومعوقين، ومئات الالوف مهجّرين، وسبعين الف اسير في ايران، ودماراً اقتصادياً هائلاً وديوناً باهضة، وظروفاً معيشية قاسية، وارهاباً دموياً بشعاً، وحملات اعدام بالجملة، وتدمير آلاف القرى والكثير من المدن الكردية وتشريد سكانها. وها هو نظام صدام ـ وبرغم كل هذا ـ يقدم على جريمة بشعة جديدة: العدوان على الكويت، وارتكاب مجزرة دموية أخرى، وتعريض المنطقة لمزيد من التدخلات الامبريالية الامريكية، ويقدم لاسرائيل المعتدية مزيداً من الذرائع لمواصلة عدوانها والتمسك بالاراضي العربية المحتلة، وقمع الانتفاضة الفلسطينية الباسلة واغراقها بالدماء.

ـ اننا نعلن للشعب الكويتي الشقيق ان شعبنا العراقي بريء من هذا العدوان.

ـ ونؤكد للشعوب العربية الشقيقة وقواها الوطنية والديمقراطية من جديد، ولكل قوى السلم والحرية في العالم، تحذيراتنا السابقة من عدوانية النظام الدكتاتوري في العراق وخطره، وكونه بؤرة توتر وعدوان تلحق افدح الاضرار ليس بالشعب العراقي فحسب، بل وبالشعوب والدول الشقيقة والصديقة ايضاً، وبالسلم في المنطقة والعالم. ونناشدها التضامن مع شعب الكويت وشجب العدوان.

ـ ونطالب الجامعة العربية وهيئة الامم المتحدة بشجب العدوان والدفاع عن سيادة الكويت واستقلاله.

ـ واننا اذ ندين العدوان على الكويت الشقيق نطالب بسحب القوات العراقية المعتدية فوراً، واحترام سيادة الدولة الكويتية، وحل الخلافات معها بالطرق السلمية.

٢/ آب/ ١٩٩٠

حول اعلان صدام حسين قبوله شروط ايران

أعلن صدام حسين، بصورة مفاجئة، قبوله بالشروط الايرانية لابرام اتفاقية سلام شاملة بين البلدين. وأكد التزامه ببنود اتفاقية الجزائر التي عقدها مع شاه ايران عام ١٩٧٥، محاولاً، بذلك، انهاء الفصول المأساوية لـ «قادسيته» التي الحقت الخراب والدمار بالبلدين، وكبدت شعبيهما مئات الاف القتلى، والجرحى والاسرى والمعوقين. وفضح زيف دعاواه التي أعلنها طيلة سنوات الحرب الثمانية، وصدّقها وروّج لها البعض، حينما برر اشعال الحرب بالدفاع عن سيادة واستقلال العراق، و «حماية البوابة الشرقية» و «تحرير فلسطين»، وغيرها من الشعارات الديماغوجية «القومية» و «الوطنية»، التي استطاع، للاسف الشديد، ان يخدع بها اوساط واسعة من حركة التحرر الوطني العربية، وقوى تقدمية لم تلتفت طيلة تلك السنوات إلى محنة الشعب العراقي، الذي ذاق الامرين على ايدي الدكتاتورية الغاشمة.

لقد ادان حزبنا، منذ الايام الاولى، الحرب العراقية ـ الايرانية، ومشعلها، وطالب بوقفها فوراً، وسحب القوات العراقية إلى المواقع التي انطلقت منها، والجلوس إلى مائدة المفاوضات لحل جميع الخلافات بشأن اتفاقية الجزائر الجائرة والقضايا الاخرى. وأعلن حزبنا بوضوح ان اشعال الحرب ما هو إلا خدمة مباشرة للامبريالية واسرائيل وللاوساط الرجعية في المنطقة. كما طالب حزبنا خلال سنوات الحرب كلها بانهائها فوراً، واعتماد المفاوضات طريقاً للوصول إلى التسوية العادلة والسلم الوطيد. لكن صدام حسين، الحاكم الفرد المطلق الصلاحية، الذي استباح منذ توليه الحكم كرامة الشعب العراقي وصادر ارادته، اصر على مواصلة سياسته ونهجه الدكتاتوري المغامر، ورفض أية تسوية لا تستند إلى الاعتراف «بانتصاره» و «اقتداره» ولا تكرس زعامته للمنطقة.

ومن هذا المنطلق نفسه اقدم على غزو الكويت وضمها إلى العراق بقوة الاحتلال العسكري، واضعاً، بذلك، سيادة العراق واستقلاله وسلامة الشعب، والسلم في المنطقة مرة أخرى أمام أخطار جسيمة.

ان ارساء اسس سلم عادل وطيد بين العراق وايران كان وما يزال مطلباً ملحاً لحزبنا وشعبنا، ناضل ويناضل في سبيله. ولا يمكن إلا ان يعتبره انجازاً تاريخياً لبلادنا وهزيمة ساحقة لصدام حسين ونظامه ونهجه الدموي.

ورغم ادانة شعبنا لاتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥ بأعتبارها تفريطاً بالسيادة الوطنية وتواطأً مع شاه ايران ضد الشعب الكردي وحركته القومية وضد القوى الديمقراطية العراقية عموماً،

فانّه أكد دوماً على ان اعادة التوازن إلى الاتفاقية بما يضمن حقوق ومصالح وسيادة البلدين يمكن ان تتم فقط في إطار مفاوضات سلمية بناءة تعزز علاقات حسن الجوار والتعاون بين البلدين الجارين والشعبين الصديقين.

ان حزبنا الذي خبر صدام حسين، وامتحن سياساته ونهجه في مختلف الميادين يحذر من عبثه بمقدرات الشعب والوطن، واستعداده للتضحية بكل شيء، والقيام بأية مغامرة لصالح حماية حكمه الذي يتعرض اليوم إلى هزة لم يسبق لها مثيل.

ومن هذا المنطلق يرى حزبنا ان تتواصل كل الجهود وفي مختلف الاتجاهات لنزع فتيل الازمة، بانسحاب القوات العراقية من الكويت، وابطال الحجج والذرائع التي تعتمدها القوى الامبريالية التي حشدت اساطيلها، مما يهدد باشعال حرب طاحنة جديدة تعزز هيمنتها في المنطقة وتدخلها في شؤون دولها وشعوبها، وتدعم المخططات الصهيونية العدوانية التوسعية التي تستهدف خنق الانتفاضة الباسلة للشعب الفلسطيني، وتصفية القضية الفلسطينية كلياً، ومواصلة احتلال الاراضي العربية في الجولان وجنوب لبنان.

ان حزبنا اذ يدين التدخل العسكري الامبريالي في شؤون المنطقة، يدعو كل القوى الخيرة في العالم للعمل على شل ايدي الامبرياليين من اشعال حرب مدمرة جديدة. ويناضل من أجل حل الازمة التي أثارها نظام صدام حسين، باحتلاله الكويت وضمها إلى العراق قسراً، في الاطار العربي، وتطبيق قرارات مجلس الامن الدولي التي تمثل الاجماع الدولي في رفض الغزو والالحاق القسري.

وسيواصل شعبنا نضاله المشروع للخلاص من الحكم الدكتاتوري الذي جر عليه، وعلى شعوب المنطقة، كل هذه الالام والمآسي والكوارث. ويرى في تحقيق هذه المهمة واجبه هو بالذات، بالتعاون مع اشقائه في المنطقة وبدعم الرأي العام العربي والعالمي.

ان حزبنا الذي أكد وما يزال يؤكد على خيار السلم والمفاوضات كسبيل لحل جميع المشاكل مع جيرانه، يلفت انتباه جماهير شعبنا إلى ان صدام حسين الذي فرط بحقوق العراق بعقده اتفاقية الجزائر مع الشاه عام ١٩٧٥ وقاد البلاد إلى قادسيته المشؤومة عام ١٩٨٠، تحت شعار استعادة حقوق العراق التي فرط بها، هو ذاته، لا يهمه اليوم ايضاً ان يتخلى عن هذه الحقوق وابرام أية اتفاقية جائرة بهدف الخروج من مأزقه وفك الحصار والعزلة عن حكمه.

ويرى حزبنا ان الطريق لانهاء عبث صدام حسين بمقدرات شعبنا ومصالح وطننا يمر عبر اقامة نظام ديمقراطي يحقق التعددية السياسية واحترام حقوق الانسان.

وهذا الطريق هو الكفيل بتحويل وطننا من بؤرة للتوتر في المنطقة إلى مساهم جدي في اقامة سلم عادل ووطيد فيها.

١٤/ ١٩٩٠/٨

عن الله والقومية والنفط..!

عصام الخفاجي

أيّاً كان مآل المغامرة التي يخوضها صدام حسين في الكويت، فهي تبرز عدداً من الظواهر المأساوية في واقعنا العربي المعاصر، لا يكفي ان نقوم برصدها أو إطلاق احكام الادانة أو المديح لها، بل ان نحاول تفسيرها وفهمها.

من بين هذه الظواهر استخدام شعار الوحدة العربية لسحق دولة عربية صغيرة، واستغلال مشاعر الكراهية المتأصلة لدى المواطن العربي ضد الغرب لاظهار عملية الغزو في صورة قضية قومية عادلة لا تقل أهمية عن القضية الفلسطينية. ومن بين هذه الظواهر ايضاً التلاعب بالمشاعر الوطنية والدينية بحيث يبدو إلحاق الكويت بالعراق حماية للثروات الوطنية، والدفاع عن هذه العملية والتسليم لصدام بما يريد دفاعاً عن المقدسات والثروات الاسلامية.

وتتخذ المفارقة ابعاداً أكثر إثارة حين نتذكر ان السلطة العراقية كانت، حتى وقت قريب، موضع إتهام قوى متدينة مؤثرة في العالم الاسلامي بأنها ليست معادية للاسلام فحسب، بل انها تتآمر مع اعدائه لالحاق الهزيمة بالقضايا الاسلامية؛ كما كانت موضع إتهام قوى مناهضة للامبريالية بانها تنسق سياساتها مع الولايات المتحدة بهدف تحويل العراق إلى دركي الغرب في الخليج وفي المشرق العربي عموماً. ومع هذا، تخرج مسيرات جبهة القوى الاسلامية في الجزائر لتطالب بابعاد القوى الغربية من الخليج ولا

تشير إلى المبرر الذي جاء بها، وتطرح قوى وطنية وقومية قضية غزو الكويت بوصفها مجابهة مع الامبريالية. ومن يدري؟ فقد يصبح احتجاز آلاف الرهائن الغربيين في قواعد عسكرية عراقية عملاً ثورياً، بعد ان اعتبرته القيادة العراقية قبل عقد جزءاً من «صفقة مفضوحة» مع الولايات المتحدة حين قامت ايران باحتجاز بعض الامريكيين اثناء الهجوم الشهير على سفارة الولايات المتحدة في طهران.

كيف تجري عملية إلغاء العقل العربي هذه؟ كيف يُراد للمواطن العربي الذي شاهد صدام حسين يرتدي عدداً لا حصر له من الازياء ان يستحضر في ذهنه دلالة زي اليوم ويلغي أو يطمس ذاكرته عن زي الأمس، من بدلة المارشالية إلى العباءة والكوفية، ومن بدلة الكاوبوي وقبعته إلى الشابكا والمعطف الروسي، ومن بدلة السموكنغ إلى «غترة» رأس عامة بغداد، علينا أن نرى فيه القائد العسكري وشيخ العشيرة، والشاب المغامر والثوري، ورجل الغرب المتحضر والمواطن الشعبي البسيط. زي واحد لم يتجرأ بعد على ارتدائه، لكننا نوشك ان نراه واضعاً عمامة رجل الدين على رأسه.

نترك للمحللين النفسيين دراسة نوازع صدام حسين الداخلية ونتساءل عن معنى مغامرته: حرب وطنية؟ مجابهة قومية؟ أم جهاد اسلامي؟ ونتساءل أيضاً عن كيفية تفاعل المزاج الشعبي العربي معها، واسباب هذا التفاعل.

حق تاريخي

في الثاني والثالث من آب كان العالم يتناقل أخبار تقدم الدبابات العراقية نحو قصر دسمان، وإحكام قبضة الجيش العراقي على هذا البلد الصغير. انما الصورة الرسمية العراقية عن الحدث كانت مختلفة كلياً. آلاف العراقيين سيقوا، كالعادة، إلى الشوارع رافعين لافتات تبارك للشباب الكويتي ثورته ضد الظلم والطغيان.

نعرف جميعاً باقي حلقات هذه الكوميديا السوداء، البحث اليائس عن «ثوريين» قاموا بالثورة وطالبوا العراق الشقيق بدعم ثورتهم، ثم الاعلان عن حكومة ظهر انها تتشكل من ضباط عراقيين ناشدوا مجلس قيادة الثورة العراقي بأن يشمل الكويت بعطفه فيضم الفرع إلى الأصل. ونعرف ان المجلس، نزولاً عند هذه الرغبة العارمة، استجاب مكرهاً وتحمل مسؤولياته القومية التاريخية.

لنلاحظ ان صدام حسين لم يلجأ بعد ذلك إطلاقاً إلى الخطاب الوحدوي العربي، لأن هذا يرتّب اجراءات مظهرية، ولو بحدّها الأدنى، تعبر عن رغبة شعب آخر في التوّحد. لكنه لم يجد كويتياً واحداً يقبل التعاون معه، الأمر الذي حوّل القضية إلى حق تاريخي

للعراق في ضم أحد اجزائه «السليبة» إليه.

حين يتحدث الخطاب الوحدوي عن الواقع القائم، يعتبر الحدود المرسومة بين البلدان العربية جميعاً حدوداً مصطنعة، وبالتالي فالكيانات القائمة كلها مصطنعة خلقها التقسيم الاستعماري، تتساوى في ذلك مصر وعُمان، والعراق والامارات العربية المتحدة. لكن السلطة العراقية منذ عقدين كانت تجابه هذا المأزق عن وعي. فهي مدينة بصعودها إلى غطاء حزب قومي يبرر وجوده بهدف الوحدة العربية، في حين ان استحضار لغة الكيانات المصطنعة يشجع من يريد على اعلان العراق كياناً مصطنعاً وبالتالي على طرح تقسيمه. وكان الجواب على ذلك نوعاً من تأجيج شوفينية عراقية تقوم على ان العراق كيان أزلي ارتبطت قوة العرب بقوته؛ وهكذا تحولت الحضارات الأكدية والكلدانية والاشورية في العراق إلى حضارة عربية أصلها العراق. ولكن عبثاً تفتش في مطوّلات التاريخ التي انتجتها لجان عراقية باشراف «مكتب الثقافة والاعلام» الذي يرأسه صدام حسين عن أمثلة شبيهة في العالم العربي. فأي حديث عن ماضي مصر الفرعوني وحضارتها العريقة يهدّد بتخوين قائله لأنه يطعن في عروبة مصر، بل ان ظهور الاسلام في الجزيرة ما كان له ان يتحول إلى حالة مؤثرة لولا احتضانه من قبل العراقيين. باختصار شديد، كان على الجهاز الايديولوجي التسليم بوجود أمة عربية، ولكن كان عليه ان يحول هذه الأمة إلى مجموعة من الكيانات مسلوبة الارادة التي تنتظر تقدم العراقي ليمنحها حق الحياة.

يقول الشعار: «لا تراجع، العراقي يتقدم» ولكن إلى أين؟

خلال الاشهر القليلة التي سبقت الغزو كانت انتقادات القيادة العراقية لحكومة الكويت واضحة المضامين تماماً، فلا حديث عن أمة واحدة ولا حقوق اخوية، بل كانت المذكرات والخطابات العلنية تتحدث عن دولة تغتصب حقوق دولة أخرى. تقول المذكرة الرسمية العراقية إلى نائب رئيس الوزراء الكويتي (٣٠/٤/١٩٩٠) «ان الوضع، في الواقع، ومنذ تكوين دولتينا في هذا القرن، هو وضع بلدين متجاورين... لم يتوصلا حتى الآن إلى اتفاق حول «تحديد» حدودهما في البر والبحر». وتتابع المذكرة موضحة المبادىء التي يستند اليها العراق في تحديد الحدود ومنها «احترام ثابت لسيادة كل منا على أرضه واحترام ثابت وأصيل لبعضنا البعض كأخوة ودول» (جريدة «الثورة»، بغداد ٢٥/٧/١٩٩٠).

لا تعود هذه اللغة إلى الدبلوماسية وضرورات التخاطب الرسمي فحسب. فقضية تحديد الحدود بين العراق وجيرانه تم التفاوض حولها، بلا شعارات قومية، طوال السبعينات والثمانينات. وبموجب هذه المفاوضات، التي جرى بعضها في ظروف الحرب

مع ايران والحاجة إلى دفع ثمن مقابل الدعم السياسي والمالي الذي قدمته الجارتان الجنوبية والجنوبية الغربية للعراق، لم تخرج القيادة العراقية بأي شكوى عن اغتصاب اراضٍ عراقية، بل فاجأتنا بخريطة جديدة رسمية للعراق ذات خطوط مستقيمة بدل التدرّجات القديمة. وحين عُدنا إلى المجموعة الاحصائية السنوية الصادرة عن وزارة التخطيط العراقية اكتشفنا ان مساحة العراق تبلغ ٤٣٧ الف كم[2] وليس ٤٤٥ الف كم[2]، هي المساحة المعروفة للعراق (ودفعاً لأي التباس لا تشمل هذه مساحة منطقة الحياد بين العراق والسعودية).

إذن، لماذا لم يسر الأمر على الكويت؟ قد يبدو ذلك دعماً للحجة القائلة ان الكويت تختلف لأنها محل مطالبة العراق بضمها، لكن أيّاً من القادة العراقيين لم يجرؤ على هذا الاعلان منذ عبد الكريم قاسم. ونعرف ان النظام الحالي تعامل مع الكويت كدولة مستقلة (برغم كل محاولات التحرش)، أما عدم ترسيم الحدود فيعود إلى أسباب أخرى نحاول تبيانها فيما بعد.

ان القيادة العراقية الحالية تعرف، قبل غيرها، مخاطر استحضار التاريخ الحديث كحجة للضم، إنها الحجة التي حاولت تركيا بموجبها ضم «ولاية الموصل» اليها. وهي الحجة التي اذا سرنا بها حتى نهايتها المنطقية فعلينا ان نعيد الكويت إلى ولاية البصرة، ولكن بعد ان تعود ولايات العراق كلها إلى الامبراطورية العثمانية! أكثر من هذا، فان منطق تمييز القضيتين عن بعضهما على أساس قومي، أي على أساس عروبة الكويت، لابد وان يوقع القيادة العراقية في حرج شديد، لأنها فعلت ما بوسعها لاثبات العكس في حالة لبنان. ونعرف ان الحدود والتقسيمات الادارية لبلاد الشام أكثر حداثة من التقسيم القائم بين العراق والكويت. ومع هذا نحاول التذكير.

الرئيس العراقي يجري حواراً «فكرياً» قبل أقل من عام (هكذا كان عنوان المقابلة). ومَن أجدر باجراء حوارات فكرية معمّقة من السيد وليد ابو ظهر ومجلته الفكرية «الوطن العربي»؟ فبعد المقدمات المألوفة للحوار الفكري (صدام حسين مجموعة مترابطة من المواهب العبقرية... صانع التاريخ ومكتشف المستقبل، فارس الفوارس) يبدأ «الحوار» بنص من السيد ابو ظهر «سيدي، لكي أكون صادقاً معك، أقول ان الذي يستطيع ان يتحاور مع صدام حسين يكون غير صادق مع نفسه». ومع هذا سيجري الحوار:

«صدام حسين: ... نحن ننظر للاحتلال نظرة لا نستطيع ازاءها مساومة كائن من يكون، وهي ان كل احتلال لارض عربية من العربي أو الاجنبي حالة كافرة، لأن احتلال الجيش العربي لأرض عربية يهشم الأمن القومي العربي والتضامن العربي. وعندما يتهشم مفهوم الأمن القومي العربي وإمكانياته، عند ذلك تصبح كل بلداننا مفتوحة أمام احتمالات

ان يحتلها الاجنبي . » (جريدة «الجمهورية» ٥/١٢/١٩٨٩).

في هذا اللقاء، وفي عشرات غيره، وفي خطب رسمية كان الرئيس العراقي حريصاً على ابلاغ رسالة واحدة لمستمعيه، مفادها انه لم يعد يتعامل تعامل الهواة مع السياسة بعد ان انضجته التجربة، فما عاد يرى الثورة أمراً مستحسناً، ولا شعار الوحدة العربية قابلاً للتطبيق بالقفز على الوقائع ومنها إن ثمة اثنين وعشرين بلداً عربياً لها خصوصياتها التي يجب احترامها. بدأ هذا في شباط ١٩٨٠ حين أعلن ميثاقاً قومياً ينص على ألا يستخدم العربي سلاحاً ضد عربي آخر، وان يقف العربي إلى جانب العربي إذا جابه الأخير اجنبياً، أيّاً كانت المواقف. حينذاك لم يكن أحد يتنبأ بأن صدام حسين يهيء لخوض حربه ضد ايران بعد سبعة أشهر من الاعلان. وجاءت الحرب ووقفت أكثر الانظمة العربية إلى جانب العراق. وخلال هذا كان صدام حسين يزداد اقتناعاً أو رغبة في الاقناع بأن التدخل في الشؤون الداخلية أمر مضر حتى على مستوى الحركات السياسية.

في عام ١٩٨٣ فاجأ الرئيس العراقي صحافياً فرنسياً بالاجابة التالية «رغم أننا حزب قومي فان فعاليات التدخل بالشؤون الداخلية هي عامل أساسي من العوامل التي تقلل التلاقي عند الحد الأدنى لابناء الامة على مستوى الحكام. لذلك فان الاتفاق على حل لهذا الموضوع من شأنه ان يسهل مهمة الانطلاق وصولاً إلى أي حد أدنى يمكن التلاقي عليه. . . مع احتفاظ كل منا بخصوصية نظامه» (الجمهورية، ٥/١٠/١٩٨٣). ثم صار يطرح الأمر بحدة أكبر بعد وقف اطلاق النار مع ايران، ولكن بروحية الشقيق المنتصر الذي ينتظر من الضعفاء الاعتراف بزعامته طوعاً بلا سعي من جانبه لفرض الزعامة.

في اجتماع القمة الاول لزعماء مجلس التعاون العربي كان الاحساس بالنشوة في ذروته. فهو رئيس القمة التي تضم إلى جانبه رؤساء مصر والاردن واليمن، فوقف يلخص ما قال انه يؤمن به «التدخل في الشؤون الداخلية للبلدان الأخرى بوجه عام وبين العرب بصورة خاصة من شأنه ان ينخر في جسم الأمة ويباعد بين ابنائها بعد ان يخلق الفرقة والعداوة والضغينة والبغضاء بينهم. وإن حصاد مثل هذه النتائج الخطيرة يجعل أمل الوحدة والتضامن والتفاعل والتعاون بعيداً عن حال العرب. . . أما استخدام السلاح والجيوش ضد العرب فاننا نرى فيه آفة تضرب قيم العرب وسعيهم إلى التعبير عن معنى كونهم أمة واحدة تضربها في الصميم وتقضي على أي أمل في الطمأنينة والتضامن الأخوي» (الصحف

العراقية ١٧/٢/١٩٨٩).

بعد عام ونصف من ذلك، كانت الآفة التي ضربت قيم العرب تتحرك من بغداد إلى الكويت لتقسم التاريخ العربي المعاصر إلى ما قبل الثاني من آب ١٩٩٠ وما بعده. وكان علينا سماع خطاب سياسي جديد يطالبنا، تحت طائلة الاتهام بالخيانة، بأن نؤيد هذه الآفة وان نعلن الجهاد لأن المقدسات الاسلامية في خطر. لقد حدد صدام وجهة الجهاد، وما علينا سوى نقل البندقية إلى الكتف الآخر. فقبل أقل من عام وجه الرئيس العراقي برقية تأييد إلى ملك العربية السعودية لأنه أعدم ستة عشر مواطناً ايرانياً تظاهروا للسبب ذاته!

كيف تمنح صكوك القومية؟

غزت القوات العراقية الكويت، إثر مذكرات رسمية تتحدث عن تحديد الحدود «بين دولتينا». فمن العبث، والحالة هذه، الرجوع إلى خطاب وحدوي لتبرير هذه المغامرة، أو إثارة الحقوق التاريخية للعراق في الكويت.

هذه الحقيقة يدركها صدام حسين قبل أي شخص آخر. من هنا كان مطلوباً إثارة المشاعر القومية العربية ضد التحالف مع الامبريالية وضد استقدام جيوشها إلى المنطقة. وهكـذا صرنا نسمع حجة أكثر إحكاماً تقول ان الوجود الامبريالي يتهددنا جميعاً. واقع جديد نشأ في المنطقة لابد من توجيه كل الاسلحة ضده. ومن يعترض على هذا التفسير؟ انما دعونا لا نبدأ من مقدمات صحيحة لنكتشف انها ادخلتنا في نتائج زائفة. فأمامنا دروس تاريخنا المعاصر القريب، وأمامنا تجارب ما يقارب القرن من عمر الظاهرة الامبريالية، لذا لسنا بحاجة إلى التذكير بالبديهيات حول الاطماع القائمة في ثروات العالم الثالث ومنطقتنا العربية بوجه خاص، ولسنا بحاجة إلى إعادة التذكير بأن بلداننا جميعاً، وبدون استثناء، مندمجة في علاقات تبعية بهذا الغرب الامبريالي، وبالتالي فليس مطلوباً ان ندقق الآن في سجلات المخابرات الغربية لنرى من مِن الحكام العرب مسجل على قوائمها. ذلك ان أشكال التحالف والتصادم ضمن الاندماج باتت أكثر تعقيداً بكثير. واذا سلّمنا بان هامش استقلال الخليج والجزيرة عن الامبريالية شديد الضيق، فان هذا لا يعني ان انظمة أخرى بريئة من هذا الاندماج، برغم كل الادعاءات اللفظية.

نقول هذا وفي الذهن ليس من يرى فيها معركة وطنية ضد الامبريالية فحسب، بل من يناقش، وفق المنطق ذاته ولكن من زاوية معاكسة، بانها مواجهة مرسومة ومعدّة سلفاً في مطابخ وكالة المخابرات المركزية.

على هذا الوتر الحساس لعب صدام حسين حين سعى إلى تصوير معركته في صورة معركة مع من اعتمدوا على الاجنبي ليواجهوا العربي. لكن صدام حسين نفسه استبق معركته بسلسلة من الشروحات والتفسيرات التي تبرر استعانة العربي باسرائيل نفسها. إذ ما دام الأمر موجهاً ضد خصومه، فلابد للمنطق ان ينقلب. ولهذا ففي مقتطف سابق لاحظنا انه يريد الايحاء بأن وجود اسرائيل في لبنان يستند إلى ذريعة قدمّها الوجود السوري، من هنا فهو يصر على ان يسبق الانسحاب السوري أي انسحاب آخر. ويمضي نائبه طه ياسين رمضان إلى اكساب التلميح لحماً ودماً في مقابلة مع جريدة «الحياة» (٩ ـ ١٩٨٩/٩/١٠) «اني اعتبر الوجود السوري في لبنان أكثر خطورة من الوجود الاسرائيلي في لبنان.. إن وجودها في لبنان اعطى مبرراً لبقاء الوجود الاسرائيلي».

كيف يغيب عن ذهن من يفكر بهذه الطريقة، ان وجود قواته في الكويت قابل للتفسير بالطريقة ذاتها؟ أي اعطاء المبرر للوجود الامريكي في المنطقة بصريح العبارة. لقد سبق صدام حسين أن أوجد الاعذار لمن يلجأ إلى القوات الاجنبية إذا «جار عليه الأخ العربي»، فأقسم باغلظ الايمان أنه لن يجور.

ففي مقابلة مع «الوطن العربي» أشار إلى مراهنة الأعداء على ان يستخدم العراق قوته على اشقائه، وان «يفقد توازنه في علاقاته القومية» لكن «قوتنا الحقيقية ليست في ان نتقوى على بعضنا». قيل هذا الكلام قبل ثمانية أشهر فقط. وقبل ذلك في اجتماع تأسيس مجلس التعاون العربي حاول الرجل ان يعطي كلماته رصانة التنظير فأعلن بوقار «ان خشية ابناء الأمة بعضهم من البعض الآخر.. قد تجعل بعض العرب وهو في سبيل البحث عما يمكن ان يحميه من جور أخيه العربي يلتجأ إلى اجنبي ليجبره ويستعين به على العربي. وبذلك ينقسم العرب إلى حصص» (١٩٨٩/٢/١٦).

إن صدام حسين يدرك جيداً كل تبعات عمله، ويعرف أيضاً كيف يبرر النتائج إذا كانت لصالح السياسة الرسمية العراقية، ومع هذا فإن علينا اليوم، واليوم فقط، استحضار علاقات آل الصباح وآل سعود وحكام مصر مع «الاجنبي»، أما لو أشرنا إلى هذه العلاقات قبل اليوم فلن نكون غير مزايدين، موتورين، متطرفين، وربما مشبوهين لأننا نشغل الأمة في صراعات جانبية. ففي افتتاح مجلس التعاون العربي تقلد الرئيس المصري أعلى وسام عراقي مصحوباً بلقب «أشرف العرب». أما ضحاياه آل الصباح فان حماية البوابة الشرقية للأمة كلفتها غالياً مما جعلها تحظى ببعض البركات: «الكويتيون اشقاؤنا. المتميزون ضمن المتميزّين. إذ ليس كثر لدينا المتميزون.. لكنها الكويت من ضمن المتميزين القلّة» (حديث مع رؤساء تحرير الصحف الكويتية، «السياسة» ١٩٨٨/٢/٢٤). ولأن الخطر في ذلك الحين كان من ايران لا من الرئيس العراقي، فلا بأس إذن بأن يمنح بركته

للوجود العسكري الامريكي في الخليج آنذاك؛ يرد على سؤال صحفي حول الموضوع قائلاً:

«إن الاساطيل الغربية على مقربة من أو في الخليج العربي كانت موجودة قبل الحرب. . . لقد تواجد الامريكيون في الخليج العربي بعد ان فاتح الكويتيون الامريكيون برغبتهم في ان يحموا سفنهم من الهجمات الايرانية المتعمّدة عليها. . . والطلب الكويتي هذا مشروع. لأن الطلب الكويتي ضمن ظرفه وإمكانات الكويت، وانعدام الوسيلة الأخرى حالة اضطرار. وحالة الاضطرار بموجب كل المفاهيم عندما تنعدم الوسائل الأخرى حالة مشروعة». ولا ينسى صدام حسين أن يعلّم العرب ـ ومنهم الصحفي السائل ـ كيفية التحليل السليم فيضيف «وكل هذا جاء بسبب بدايةٍ المسؤول عنها هم الايرانيون. ولذلك يجب ألا يضيع العربي أصل التطور ويأخذ النتائج فقط. . . ولنقل هل هذا مفيد لنا؟ الجواب: مفيد لنا نحن العرب ان تكون دولة عربية ذات موقف قومي معروف أمينة تجاه التهديدات الايرانية» (حوار مع الصحافة الاردنية في ١٩٨٨/١/٣٠).

إذن طلب الكويت مشروع لأن موقفها القومي معروف، وهو مشروع لانه حالة اضطرار. وهو مشروع لأن المسؤول عنه هم اعداء العراق. وأخيراً فهو مشروع، ولكن بشرط ان يكون ضد التهديدات الايرانية فقط. أما إذا كانت التهديدات عراقية، فلكل حادث حديث!

وداعاً للبوابة الشرقية

إن كان ثمة مجال لاستخدام المنطق والعقل في كرنفال التهييج الذي يمارسه صدام حسين من جهة، والولايات المتحدة من جهة أخرى، فان المنطق يفنّد الحجج التي استند اليها غزو الكويت. ولكن إذا كانت حجج الغزو لا تكشف حقيقة الاسباب التي أملت تلك المغامرة الطائشة، فان هذا لا يعني الأكتفاء بالحديث عن اطماع القيادة العراقية، بل لابد من التساؤل عن السبب الذي جعل هذه المغامرة مطروحة للتنفيذ في هذا الوقت بالذات. فكما يعرف المتابعون لم تخلُ العلاقات بين السلطة العراقية والحكومة الكويتية من احتكاكات طوال العقدين الماضيين، وقد وصلت إلى حد استيلاء على المخافر الحدودية الكويتية في عام ١٩٧٣. ومع هذا لم يخطر سيناريو الغزو الكابوسي على بال أحد آنذاك. فلماذا الآن؟

لا يمكن فصل ما حدث عن النتائج السياسية ـ الاقتصادية لكارثة الحرب العراقية ـ الايرانية التي يُراد لها الآن ان تُدفع إلى زاوية النسيان بعد أكثر من عامين على دق طبول

النصر العراقي. ولأن ثمة جهداً مكثفاً للتغطية على مبررات تلك الحرب بالدخان المتصاعد من هذه «القادسية الثالثة» لابد من التوقف مجدداً للتذكير باسباب اشعالها والنتائج التي حققها «العراق المنتصر» منها، إذ عند ذاك سنفهم مغزى إعلان الدكتور ولايتي وزير الخارجية الايراني بأن العرض المقدم من صدام حسين قبل أيام يمثل «أكبر انتصار تحقق لايران منذ قيام الجمهورية الاسلامية».

كان إلغاء معاهدة الجزائر بين العراق وايران هو أساس إشعال الحرب. وكما نعرف فان المعاهدة الموقعة بين شاه ايران وصدام حسين عام ١٩٧٥ نصت على تسوية الحدود بين البلدين بحيث تنازل العراق قانونياً عن نصف شط العرب إلى ايران، كما نصت على عدم تدخل أي بلد في شؤون البلد الآخر الداخلية. وترتب على هذا البند الأخير سكوت العراق على استدعاء قوات الشاه من قبل عُمان لقمع الانتفاضة المسلحة في ظفار وسكوته على احتلال الشاه في عام ١٩٧١ لجزر طنب الكبرى وطنب الصغرى وابو موسى الواقعة في الخليج، مقابل فك الشاه لدعمه للحركة الكردية المسلحة آنذاك في كردستان العراق.

استخدمت القيادة العراقية حججاً كثيراً لتبرير الالغاء، منها إن ايران اخلّت بالتزاماتها الواردة في المعاهدة، علماً ان الالغاء جاء بعد عام ونصف من تولي القيادة الاسلامية السلطة في ايران. أما الأخيرة فكانت تصر على التمسك بهذه الاتفاقية نظراً لأن البنود الواردة فيها تضمن حقوقاً مهمة لايران ابرزها قضية المشاركة مع العراق في السيادة على شط العرب. فيما بعد صار المسؤولون العراقيون يتحدثون صراحة عن أن المعاهدة جائرة لانها أُبرمت في ظل شروط تميل لصالح ايران، وإنها ليست أساساً صالحاً لضمان السلام بين البلدين. وأخيراً باتت العبارة الأثيرة لهم هي ان المعاهدة وُلدت ميتة وما علينا سوى دفنها والبحث عن معاهدة أكثر حفظاً لحقوق البلدين. وفي هذا كانت السيادة على شط العرب هي الثمن الذي يريدونه لحرب السنوات الثمان.

بالطبع كانت تمر لحظات نشوة ترفع المطالب إلى حدود قصوى، كالحديث عن «الحقوق المضافة» المترتبة على استمرار الحرب، والحديث عن الجزر الثلاث التي احتلها الشاه باعتبارها «شرطاً أساسياً. . واذا كنتم تتوهمون إن هذا للمناورة فانتم مخطئون» (حديث لمجلة «الحوادث» ١٧/٤/١٩٨١)، لكن المطلب الذي لم يتغير طوال السنوات الثمان تركز حول إعادة النظر بمعاهدة ١٩٧٥ والبند المتعلق بحدود العراق المائية تحديداً.

بعد ثمان سنوات من الحرب الدامية، أكثر من مليون قتيل، خسائر لا تقل عن ٤٠٠ مليار دولار، وفرص تطور ضائعة توقف إطلاق النار وأعلن صدام انه بطل الحرب والسلام. خرجت أو أُخرجت مسيرات تعلن انتصار العراق وتكرّس شعور بأن العراق انتصر فعلاً لأن الإمام الخميني أعلن انه كان يفضل شرب السم على وقف إطلاق النار. ذلك لأنه اعتبر

سقوط خصمه وغريمه ثأراً وطنياً ودينياً وشخصياً في عنقه. ولكن إذا لم يحقق الخميني اهدافه فان هذا لا يعني ان صدام حقق أهدافه. من هنا بدأت سلسلة من المناورات الرامية إلى تحقيق السيطرة الواقعية على شط العرب سلماً بعد أن لم يتحقق الهدف حرباً: مطالب بالبدء بتطهير شط العرب فور وقف إطلاق النار، عدم سحب القوات العراقية من الاراضي الايرانية بهدف المساومة، الشروع ببرنامج استيراد وتصنيع للاسلحة بمبالغ اسطورية. ومع هذا كان واضحاً ان الايرانيين لم يتزحزحوا عن مواقفهم. ومع هذا ايضاً كان صدام حسين يصور نفسه منتصراً في الحرب باصرار.

إن شط العرب ليس مجرد جزء من التراب الوطني يصر صدام حسين على فرض سيطرة العراق عليه، إذ لاحظنا أنه تنازل عن سبعة آلاف كيلو متر في عمليات ترسيم الحدود مع جيرانه (مجموع مساحة المياه الاقليمية العراقية تبلغ ٩٢٤ كم٢)، بل تكمن أهميته في انه منفذ العراق الوحيد إلى البحر، ولهذا فالسيطرة عليه تمثل شرطاً لابد منه في ضوء أحلام صدام حسين بالتحول إلى قائد اقليمي (على الأقل). ولهذا لم يجد الرئيس العراقي غضاضة في الاعلان عن ذلك في أكثر من مناسبة منذ بدء الحرب العراقية ـ الايرانية، لا بصيغة حقوق عراقية بل بصيغة الحاجة إلى ساحل. وبدهي فان الحملات الاعلامية العراقية لم تطرح الأمر من زاوية توحي بالرغبة في الهيمنة بل صوّرتها كحاجة ضرورية للتطور. والحال أن حجة كهذه تعني ان على عشرات الدول في العالم أن تعيد النظر في جغرافيتها لانها لا تمتلك أي منافذ إلى البحار، ويشمل هذا دولاً متقدمة أوربية (سويسرا وجيكوسلوفاكيا). فضلاً عن ذلك فان القيادة العراقية لم تطرح قضية المنفذ إلى البحر، فهو موجود بل طرحت الحاجة إلى منفذ تتحكم به وحدها. ولهذا فحين بدا واضحاً ان سنوات الحرب الثمان عجزت عن انتزاع حق العراق بما تنازل عنه صدام حسين عام ١٩٧٥، اتجهت الانظار إلى المنفذ العراقي الثاني الذي يوصل إلى الخليج العربي وهو (خور عبد الله) الذي تتحكم جزيرة بوبيان الكويتية بمدخله. وهنا بالضبط تذكر صدام حسين ان للعراق حقوقاً في الكويت. فطوال عقد كامل كانت القوات المسلحة العراقية تستخدم بوبيان برضا أو بالضغط على حكام الكويت. ومع هذا لم يرض هؤلاء بأن يوقعوا على أية وثيقة قانونية تؤجر الجزيرة للعراق، ناهيك عن التنازل عنها هي وجزيرة وربه.

مع وقف اطلاق النار كانت القيادة العراقية تنتظر اعترافاً بالزعامة من جانب إمارات الخليج، غير أن الكويتيين كانوا قلقين خوفاً من ان تتحول تسهيلات الأمر الواقع إلى ضم فعلي. ولهذا فحين زار ولي عهد الكويت العراق استقبله الاعلام الرسمي بافتتاحيات صاخبة في جريدتي «الثورة» و «الجمهورية» تحذر من يحاول النقاش «حول اشبار الارض» لأن العراق المنتصر ينتظر من ضيوفه التهنئة والتهنئة فقط.

وفي مذكرة نائب رئيس الوزراء في ١٩٩٠/٤/٣٠ والمذكرة الثانية إلى الجامعة العربية في ١٩٩٠/٧/٢١ أي قبل أيام من غزو الكويت نجد اشارات ملفتة للنظر. حقاً ان العراق بادر إلى طرح قضية تحديد الحدود مع الكويت ولكن بشرط أن يكون العراق «في وضع يستحقه تاريخياً وواقعياً، يمكنّه من الدفاع عن الأمن القومي في هذه المنطقة» وبشرط أن يعطى «العراق تسهيلات من النوع الذي أعطي له خلال الحرب مع ايران». وإذا تطلّب الأمر تنازلاً عن الاراضي فلا بأس من ان تقتدي بالعراق الذي تنازل هو الآخر عن بعض أراضيه، لذا تشير مذكرة طارق عزيز إلى «مشاكل حدودية معلّقة.. عالجناها في إطار نظرة قومية لا تتنازع على الاشبار بين الاقطار الشقيقة. وحبذا لو تصرّفت حكومة الكويت في هذه المسألة كما تصرفنا نحن وتصرف الأخوة في الاردن والسعودية».

ولكن حين أصرّت الكويت على «اشبارها» أعلن الشباب الثورة وضموها إلى الأصل لكي يتسنى بعد أقل من اسبوعين إعلان الموافقة على عقد معاهدة سلام مع ايران تعتمد المعاهدة التي اعتبرها صدام حسين جائرة أساساً.

نظرية المجال الحيوي؟

ولكن لماذا هذا الاصرار على المنافذ المستقلة إلى البحر حتى إذا تطلب الأمر التنازل عن أرض عراقية لايران واستبدالها بمحاولة ضم أراض كويتية؟ وما معنى ان يطالَب العرب بتقديم تسهيلات من اراضيهم لكي يدافع العراق عن الأمن القومي العربي في الوقت الذي يريد صدام حسين استخدام هذه الاراضي بديلاً عن عجزه عن تحقيق الحد الأدنى مما أدعاه في حربه ضد ايران؟

خلال الفترة السابقة على الحرب العراقية ـ الايرانية كانت السيادة على نصف شط العرب تعود لايران الشاه. ومع هذا وصل تصدير النفط العراقي إلى أعلى مستوياته عبر الخليج وعبر انبوب النفط المار بسوريا. غير أن الثورة الايرانية مثلت فرصة ملائمة أوحت للزعامة العراقية بأن الوقت قد حان للتحول إلى زعامة أوبك، أو على الأقل إلى شريك في الزعامة مع السعودية. وربما لا يتذكر كثيرون أن أول زيارة لصدام حسين إلى خارج العراق بعد أن نصب نفسه رئيساً للجمهورية كانت إلى العربية السعودية بعد شهر واحد من رئاسته. ولم تمض أشهر على تلك الزيارة حتى اتضح هدفها ونتائجها. فمع قرار الولايات المتحدة بحظر استيراد النفط الايراني رفع العراق والسعودية صادراتهما حتى بلغت الطاقة القصوى خلال الربع الأخير من عام ١٩٧٩ والنصف الاول من عام ١٩٨٠، وأعلن صدام حسين انه يقف موقفاً مسؤولاً بأن لا يستغل أزمات السوق فرفض هو وعُمان والسعودية رفع

أسعار النفط آنذاك في محاولة لاغراق السوق وإنجاح الحصار الاقتصادي الذي فُرض على ايران (انتجلنس بتروليوم ١٩٧٩/١٢/٢٤).

هذه اللعبة تكررت مرات عديدة، وهي تنطوي حقاً على هدر هائل للموارد الوطنية. لكننا لم نر القيادة العراقية حريصة على هذه الموارد إلا حينما لجأ حكام الكويت إلى هذه اللعبة نفسها التي بدأوها منذ سنوات.

كان الطموح الرسمي العراقي أن تصل طاقة تصدير النفط الخام إلى ٧ ملايين برميل في اليوم. وقد جرت خطوات فعلية بهذا الاتجاه في عام ١٩٨٠ لكنها توقفت بفعل الحرب. ثم عاد وزير التفط العراقي إلى إعلان هذا الهدف منذ عام ١٩٨٩. ومن الواضح ان القيادة العراقية كانت تريد لطاقة تصدير النفط ان تصبح سلاحاً سياسياً لاخضاع خصومها، لذا فلم يكن متوقعاً ان تتجه الخطط إلى تمديد انابيب النفط عبر بلدان أخرى.

وجاءت هذه الخطوات جميعاً في وقت اصبح فيه وضع العراق الاقتصادي ينذر بالخطر. فالخليجيون والعربية السعودية لم يشطبوا ديونهم التي تجاوزت ثلاثين مليار دولار، والديون قصيرة الأمد في تصاعد مستمر (وهي ديون ذات فوائد باهظة) والديون إلى الحكومات لا تجد من يسددها، والسلع تشح في الأسواق، والتضخم يتصاعد، والجيش باقٍ على عدده الضخم لأن تسريح بعض وحداته سيلقي بالجنود إلى عالم البطالة، والتوتر الاجتماعي في تزايد.

وكما تبين تجارب مأساوية أخرى، بدت العسكرة لصدام حسين فكرة جذابة للهروب من المآسي الحقيقية التي خلفتها الحرب العراقية ـ الايرانية. لكنها قادت منذ الآن إلى اعتاب كارثة تهدد بتحويل الحرب العراقية ـ الايرانية إلى تمرين بسيط في الدمار إلى جانبها.

لكي لا نكفر بالقومية العربية

«في كل كذبة كبرى، ثمة ذرة من حقيقة»
نيتشه

ومع هذا كله، ثمة من يقول لنا، من بين الاشقاء العرب «لتنشأ قوةٌ عربية مؤثرة، أياً كان طابعها» وثمة من يقول «ان المعركة مع الامبريالية قد بدأت ولابد من مجابهتها» أو أن «انظمة الحكم الخليجية متخلفة فاسدة» أو «ان الوضع العربي الراكد بحاجة إلى تحريك».

ونتساءل بأسى، هل العرب والعراقيون، بوجه خاص، بحاجة إلى هزائم جديدة لكي يصحوا على واقعهم، وليعرفوا إن اللغة العنترية الظافرة لا تقود إلى النصر؟ هل المهم ان نجابه الامبريالية أم ان ننتصر عليها؟ ليس صدام حسين جمال عبد الناصر بالتأكيد، لا من حيث النوايا ولا النضج والحكمة ولا في القاعدة الاجتماعية والشعبية التي حظي بها. ومع هذا، تذكروا نتائج ٥ حزيران الكارثية، برغم انها لم تبدأ بخطوات رعناء أو استعراضية من جانب العرب.

حين يسخر بعض التقدميين من الكيانات الصغيرة، ليتذكروا الحماس منقطع النظير الذي أبدوه لشعب الصحراء الغربية في حق تقرير المصير. وحين يتكيء البعض على حجة تخلف امراء الخليج، لا نجد سوى التعجب لا من صحة النقد الموجّه للامراء بل من العلاج الموصوف، كأنما البديل المطروح سلطة بقيادة سعد زغلول أو عمر بن الخطاب. ألسنا نرى نظاماً جمهورياً يحكمه ملك أين من طغيانه الملوك السابقون، وتديره عائلة مالكة لا يجرؤ أحد من بطانات أكثر الملوك تخلفاً على ممارساتها. صدام حسين يطرح أن سمعة العرب صارت في الحضيض بسبب إساءات عرب النفط؛ وكان عليه ان يضيف فضائح ابنيه المدللين، عدي وقصي، وأخيه الذي لم يجد له منصباً يليق به إلا أن يمثل العراق في لجنة حقوق الانسان في سويسرا! من حق العربي، ومن واجبه، ان يحقد على ترف مشايخ النفط. ولكن ليس من حقه ان يُلدغ للمرة الألف فيعتقد ان من يلبس البدلة الاوربية يتبرأ من تلك الأمراض. وليس أكثر إساءة لسمعة العرب من أن يكتب صحفي معروف بموضوعيته ان «صدام يدير اقتصاد العراق مثلما يفعل ملك اقطاعي» (ديفيد هيرست، «الغارديان» ١٩٩٠/٦/٩). ومن المحزن ان بعض العرب لا يكلف نفسه ان يدير اشارة الاذاعة إلى بغداد ليسمع عن قوالب الكيك الاسطورية التي يعدّها صدام لنفسه في أعياد ميلاده، أو عن القصور التي «تبرع الشعب» ببنائها له في المحافظات، أو عن الدروع والسيوف المطعمّة بجواهر واحجار لم نسمع باسمائها المهداة له، أو عن صروح القادسية والنصر والجداريات التي ترصد لها مبالغ اسطورية، في وقت يهدد صدام ويتوعّد من يهدر الثروة القومية بأشد العقاب.

وتبقى الحجتان المتلازمتان: مواجهة الامبريالية وبناء العراق القوي. فمن يواجه الامبريالية؟ ومن يبني العراق القوي؟

من المفهوم تماماً اننا شعوب تعرضت طويلاً لاذلال الغرب عموماً والولايات المتحدة خصوصاً. ومفهوم تماماً ان يتلهف العربي للاقتصاص من عدو استخدم كل قوته لاذلالنا. ولكن هل نواجه الولايات المتحدة حين نظهرها بمظهر من يدافع عن قضية عادلة هي طرد غازٍ عن أرض عربية محتلّة؟ وإذا كان صدام حسين كما بيّنا فيما سبق، واعياً كل الوعي

لحقيقة بحث الامبريالية عن مبررات للغزو إلى درجة انه اعتبر الثورة الايرانية ذات يوم مؤامرة تبرر الامبريالية بها وجودها في المنطقة، أفلا يحق لنا أن نتساءل عن جدوى زج الجيش والشعب في مغامرة نتيجتها الوحيدة هي استقرار القوات الامريكية في المنطقة لأمد لا بد وان يطول؟

منذ عام ١٩٧٣ والتقارير والاجتماعات والسيناريوهات تتوالى عن كيفية ضمان منطقة الخليج والجزيرة كمنطقة مصالح حيوية للولايات المتحدة. ومنذ ذلك الوقت تبحث الامبريالية عن سبل بقاء وجود عسكري دائم، قدمته لها جزئياً الحرب العراقية ـ الايرانية. وفي هذا الظرف بالذات، حين يتساءل ستراتيجيو البيت الابيض والبنتاغون عن مصير برامج التسلح الامريكية (التي يقف فوقها بناء اقتصادي وسايكولوجي ضخم) بعد انتهاء الحرب الباردة، يأتي من يطمئنهم إلى ان مبررات التسلح والمجابهة قائمة.

لا نريد الايحاء أو العودة إلى إطروحة المؤامرة الامبريالية المعَدّة سلفاً لتفسير مغامرة الكويت. ولكن نريد فقط أن ننبّه إلى ان مواجهة الامبريالية لم تكن يوماً عملية تقتصر على ظهور رئيس دولة من على شاشات التلفزيون وهو يقلّب الصواعق النووية بيديه، ولا على مطالبة الشعوب بأن تغيّر أولوياتها كلما تغيرت اولويات الحاكم. قبل عقد بشرّنا بأن طريق القدس يمر عبر عبادان، وقبل أشهر هدد بحرق نصف اسرائيل، فإذا بالكويت تحترق.

ولعل الخاسر الأكبر من هذه المفاضلة هو الشعب الفلسطيني الذي لم تقيد حركته مؤسسات دولة، والذي تعلم الدرس الأهم من هزيمة ١٩٦٧ في عدم التعويل على الجيوش العربية لتحرير فلسطين. وها أن مأساة الكويت تعيده إلى نقطة البدء، إلى انتظار التحرير من صدام، بعد أن بلغت انتفاضته حدّاً أذهل العالم. فما الذي يفعله الفلسطيني اليوم وقد وضعه صدام في مأزق مجابهة عدوه الحقيقي، الولايات المتحدة، في المكان الخطأ وللسبب الخطأ، وحشد حول هذا العدو أوسع تأييد دولي؟ أيستقيل من المجابهة فتنطلق يد الولايات المتحدة؟ أم يجابه فيخرج مهزوماً؟ أم يتملك شجاعة مطالبة صدام بالانسحاب الفوري من الكويت إن كان جاداً في دعم الانتفاضة والشعب الفلسطيني؟ وليس أكثر من صوت الشعب الفلسطيني قدرة على التأثير في هذا الوقت وفي ابطال حجج صدام بانه يسحق الكويت دعماً لفلسطين.

نعم، اننا مقهورون، مذلّون. ولكن لا تقيموا بناء ذهنياً متخيلاً عن دولة قوية تواجه الضعف والهزال. لقد اخفى كثير من العرب رؤوسهم تحت الرمال لكيلا يتظاهروا بسماع

مأساة الشعب العراقي، وفعلوا بالضبط ما فعل الغرب، يستحضر مأساة القمع وهدر الموارد في الغرب حين يتصادم مع النظام العراقي ويصمت عنها حين يحارب الأخيرُ بالنيابة عنه. والآن حلّت لحظة الصحوة لنتساءل من دون عتب: أكان على المصري انتظار مجزرة العمال المصريين في العراق ليعرف ما يجري حقاً؟ أكان على الصحافة الكويتية التي تغزلّت بصدام كما لم تتغزل معشوقة بعشيقها ان تنتظر جزمة العشيق لتعرف ان يد المخابرات العراقية الطليقة في الكويت كانت تراقب كل شارع وبيت انتظاراً للحظة القادمة؟

وهل يصدق عربي ان شعباً من سبعة عشر مليوناً يمكن ان يكون المانيا العرب حين يعيش أكثر من مليون من ابنائه في المنفى، ويوضع ربع السكان من الاكراد في معسكرات سكن قسرية، ويشكك بولاء مسيحييه (أكثر من مليون) وتوضع عراقية مواطنيه الشيعة (أكثر من خمسة ملايين) موضع الشك، ويجري تقسيم السلطة فيه وفق قواعد عشائرية - طائفية صارمة أين منها التركيبة اللبنانية.

لا تدعوا العراقي يكفر بالقومية العربية، ولا تستبدلوا واقع الشعب العراقي المهان ببناء ذهني متخيل. أديروا اذاعة بغداد واسمعوا كيف ان الشعب البدوي الذي يوصف بصعوبة تدجينه صار يغني طوال ساعات اليوم «معجزة انت ياسيدي ابو حلا» لتعرفوا ان مواطناً مهاناً لا يمكن ان ينتصر في مواجهة الامبريالية، بل يمكن ان يوظف حقده في أحسن الاحوال لينهب اشقاءه العرب باسم محاربة الاثرياءوالفاسدين.

١٨/٨/١٩٩٠

ملاحظة :ـ

في هذا العدد ملف لبيانات ومقالات حول الازمة اللبنانية



السلطة المنشودة وضمانات ديمقراطيتها*

ابو هندرين

اولاً: البناء الديمقراطي لسلطة الدولة

عند دراسة هذا الجانب الاساسي لسلطة الدولة القادمة لابد من تأشير سمات هذا الشكل الذي يرتكز على واحدة من أهم مفرداته، وهي الديمقراطية السياسية التي تشكل مضمون وجوهر الشكل الديمقراطي خاصة اذا اخذنا بنظر الاعتبار ان تاريخ العراق الحديث ومنذ نشوء دولته الوطنية لم يشهد الديمقراطية بمعناها الحضاري الذي تطالب به القوى السياسية العراقية. وبهذا المعنى فان التركة الثقيلة من الموروث الارهابي ومصادرة الحريات التي اتبعتها انظمة الحكم المتعاقبة ستترك آثارها السلبية لفترة زمنية بعد اسقاط الدكتاتورية مما يحفز القوى المطالبة بالاستقرار والديمقراطية على ان تبذل جهوداً كبيرة من أجل تجاوزها عبر المصاعب والعثرات في المستقبل. ويمكن في هذا الشأن اعتماد تجربة

* اخترنا لباب (آراء ومناقشات) الجزء الختامي من مقالة طويلة للكاتب عنوانها: «ملاحظات حول السمات الارهابية لسلطة الدولة الواحدية في العراق» بدأها بمعالجة موضوعة «دولة القانون والعدل» الواردة في وثيقة ل م المطروحة للمناقشة. ثم رصد تجربة «الفئات الوسطى» في الحكم، على أساس مرحلتين متميزتين ومترابطتين، «الاولى ترابط الوظيفة الفكرية والقمعية لسلطة الفئات الوسطى» والثانية «تطور وازمة الوظيفة الفكرية والقمعية لسلطة الفئات الوسطى بعد تحولها إلى برجوازية بيروقراطية».

بلدان عديدة (اسبانيا البرتغال واليونان) ابتلت بانظمة دكتاتورية لعقود من الزمن ولكنها نهضت وسارت باتجاه الديمقراطية بخطى ثابتة.

ان المضمون الحقيقي للديمقراطية السياسية يكمن بالدرجة الاولى في بناء علاقات سياسية تستند إلى الحوار العلني والهادف،أي كعلاقة تحكم القوى السياسية وكممارسة ثابتة لسلطة الدولة ازاء المعارضة السياسية.

ومن هذا المنطلق يمكن تحديد الديمقراطية السياسية بمعنيين:

المعنى الاول: كاسلوب وممارسة لسلطة الدولة. وفي وثيقة ل. م. يجري النظر إلى بناء مؤسساتها الاساسية بما يتجاوب مع الارادة العامة للمجتمع العراقي. والمؤسسات الاساسية للبناء الديمقراطي لسلطة الدولة تتجسد عبر بناء المرتكز الدستوري الاساسي (الدستور الدائم) الذي يفترض منه ان يكون معبراً عن الرغبات والقواسم المشتركة لكل الطبقات والفئات الاجتماعية المهتمة باستقرار سياسي - اجتماعي دائم بعيداً عن المصالح الطبقية الضيقة لهذه الفئة أو تلك. لذلك فان انجاز مهمة صياغة الدستور ستكون وبلا شك مهمة كل التيارات والقوى السياسية بدون وصاية أو احتكار من قبل أي طرف من اطراف قوى المجتمع العراقي.

وتبرز المهمة الثانية في المرتكزات الديمقراطية لبناء سلطة الدولة، في تشكل المجلس الوطني الذي سيكون بمثابة الهيئة التشريعية الوحيدة للبلاد، وستكون السلطة التشريعية الضمانة الاساسية لازالة احتكار التشريع من جانب حزب سياسي واحد وستعكس في نهاية المطاف المصالح الحيوية لتطوير المجتمع بوجهة ديمقراطية بعيدة عن نزعة الهيمنة والاحتكار. ان الشكل الديمقراطي للحكم لا يمكن تصوره بدون شكل بناء الدولة التي يرتكز جوهرها على طبيعة العلاقة بين القوميات المختلفة داخل الحدود الوطنية. وقد عانت القومية الكردية في العراق من السياسة الشوفينية للدكتاتورية المتمثلة بسياسة الصهر القومي والتهجير والابادة الجماعية. لذلك فان بناء الدولة يفترض ليس فقط مراعاة الحقوق القومية للاكراد، بل تجسيدها في صياغات دستورية وعكسها في التركيب السياسي لسلطة الدولة وتثبيت الحقوق بشكل ديمقراطي بعيداً عن روحية الاستعلاء القومي وتأكيداً لمبدأ الاخوة والشراكة في الوطن الواحد.

ويتمثل المعنى الثاني من الديمقراطية السياسية في اسلوب تكوين السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية. حيث تجري عملية التشكيل من خلال الإنتخابات الديمقراطية الحرة التي تستند إلى المنافسة السلمية المرتكزة على أساس التعددية السياسية. وتتكفل النصوص الدستورية حق الاحزاب في الوجود ومساواتها في الدعاية الانتخابية وحرية طرح برامجها وشعاراتها وتقديم مرشحيها.

ان التعددية الحزبية تكون الضمانة الفعلية التي تقود إلى الغاء القيادة الواحدية للسلطة وما تفرزه من اشكال الدكتاتورية . وبهذا الصدد فان موضوعة فصل السلطات تتمتع باهمية ديمقراطية كبيرة لأنها تغني في جوهرها تقاسم السلطة السياسية للدولة بين قوى عديدة وليست احتكارها من حزب سياسي واحد .

ثانياً : الضمانات الفعلية

أ/ ضمانات مادية

بطبيعة الحال لا يمكن الحديث عن ديمقراطية سياسية بدون ضمانات فعلية للحفاظ عليها واعتبارها صيغة حضارية تهم جميع الطبقات والفئات الاجتماعية في بلادنا . ويمكن تأشير الضمانات المادية من خلال اعادة بناء الحلقات الضاربة في سلطة الدولة بما يتناسب مع الديمقراطية السياسية كشكل للحكم وممارسة يومية ، باعتبارها هدفاً نهائياً لسير التطور الموضوعي . فهذه المؤسسات تقوم الآن على اسس ومرتكزات تنبع من الواحدية الحزبية في الحكم والنهج الدكتاتوري المرافق لها . لذا فكل بنائها ارتكز على عداء وازدراء مطلقين للديمقراطية ، ومضمون نشاطها مصادرة حرية نشاط القوى الأخرى . ومن هذا المنطلق فان اعادة البناء تشمل بالدرجة الاولى المؤسسة العسكرية الخاصة بمقولة الجيش العقائدي ، ولذلك فان أهم عمل يفترض القيام به هو اطلاق الحرية لمنتسبيها أي اشاعة الديمقراطية في تركيبها وعدم حصرها بيد جهة سياسية محددة لأن الضمانة الوحيدة لردع النزعة الانقلابية تكمن في تعدد التيارات السياسية فيها وتربية طاقمها القيادي بروح الحفاظ على الاسس الدستورية التي اقرتها قوى المجتمع العراقي والدفاع عن الوطن .

ان الابتعاد عن التكتلات الاقليمية الخاضعة لمصالح الامبريالية يعني عدم الاشتراك في البرامج العسكرية والصناعات الحربية التي تعتبر احدى سمات التبعية للاستراتيجية العسكرية للامبريالية والتي تؤدي إلى استنزاف الموارد الوطنية من جهه وانتهاك اسرار المؤسسة العسكرية من القوى الخارجية ، ناهيك عن ما تمليه هذه من تشديد نزعة الهيمنة وروح المغامرة ، سواء داخل الوطن أو خارجه .

ان الاستمرار في دراسة الضمانات الفعلية لصيانة الديمقراطية تقودنا إلى تحديد موقف ازاء الاجهزة القمعية الأخرى (امن واستخبارات) التي ربيت بسايكلوجية العداء للخصم السياسي بسبب ولائها المطلق لحزب السلطة ناهيك عن كونها اداة قمعية بيد سلطة الدولة الدكتاتورية والمدانة بارتكاب جرائم كثيرة بحق المجتمع العراقي بمختلف

تياراته السياسية . لذا فان اعادة بناء هذه الاجهزة يفترض تسريح منتسبيها واعادة بنائها بما يتناسب والحفاظ على الامن الداخلي وصيانة الديمقراطية وتوجيه نشاطها وجهة اجتماعية يكون مضمونها صد العمليات التخريبية التي تستهدف خرق السيادة الوطنية وكذلك صيانة المجتمع من الانتهاكات المستمرة للقانون والنظام .

ب/ ضمانات سياسية وسايكلوجية

ان الضمانات المادية تكون غير فاعلة اذا لم ترافقها ضمانات اخرى ذات طبيعة سياسية وسايكلوجية وتتصدر هذه الضمانات السياسية بناء حلف اجتماعي ـ سياسي يرتكز على صيانة الديمقراطية كخيار وحيد حضاري لبلادنا يكون الضمانة الاجتماعية لمنع نزعة الهيمنة على سلطة الدولة ويدفع باتجاه ادانة روح الانقلابية والمغامرة عند بعض القوى السياسية . ويرتكز هذا الخلق الاجتماعي ـ السياسي على الاقرار بوحدة وتناقض المصالح الطبقية التي يجري الدفاع عنها بالشرعية المكفولة بالقوانين . ولهذا فان بناء سايكلوجية ذات بعد حضاري اخلاقي ترتكن إلى احترام حقوق الغير والاقرار بمشروعيتها من خلال المنافسة الديمقراطية،هذه السايكلوجية ستكون عاملاً آخر يعزز النضال من أجل الديمقراطية التي اصبحت قضية مصيرية تواجه شعبنا اليوم بكل طبقاته وفئاته الاجتماعية .

. هذه بتقديري السمات العامة لدولة القانون والعدل والتي يفترض ان وثيقة ل. م الأخيرة حددت خطوطها وسماتها العامة والتي تعبر في نهاية المطاف عن رؤية موضوعية تستند إلى الغاء التراث اللاديمقراطي الارهابي الدموي (. . . .) .

مايس ١٩٩٠

اعتذار

حصلت اخطاء مطبعية في العدد الماضي، خاصة في مقالتي الرفيق كريم أحمد والباحث هادي العلوي. وإذ نعتذر عن ذلك نشير إلى اننا سننشر في العدد القادم كلمة للاستاذ العلوي يشرح فيها كلمة «لقاح» التي حصل فيها الخطأ.



ملاحظات عن الديمقراطية والمركزية

ابو سلام

اولاً: ثمن الديمقراطية

ان احزابنا مقبلة على تغيرات نوعية في البنية التنظيمية، لابد لها ان تكون صعبة ومؤلمة، وتحصيل حاصل لابد لهذه التغيرات من ثمن يجب دفعه اذا أردنا ان تكون تغيرات حقيقية، لا تهدف فقط إلى ركوب موجة التغيرات العاصفة التي شهدتها البلدان «الاشتراكية» فما هو هذا الثمن؟

أرى انه من الضروري اولاً تغير نظرتنا إلى الديمقراطية كمفهوم سياسي - اجتماعي يتطلب حرية الارادة والفكر للانسان، وحريات سياسة وحقوق انسان مضمونة دستورياً وممارسة فعلاً. ثانياً تغير نظرتنا إلى الرأي الآخر وقبول صراع الافكار - الاضداد كمبدأ قائم بين الفرد وذاته، بين الفرد والفرد، بين الفرد والحزب، بين القاعدة والقيادة، بين الحزب وجماهير الشعب، بين الاحزاب كمنظمات سياسية تتعايش وهي تختلف. ثالثاً استعداد قيادة الحزب للتخلي عن «احتكار» القيادة والقبول بما يفرزه توسيع الديمقراطية الحزبية من قيادات، بعيداً عن «صراع الكواليس» السابقة، التي كانت تفرز قيادات موالية لهذا الجانب أو ذاك بانتخابات شكلية تبقي نسب التفاوت بين قاعدة وقمة الهرم ثابتة. وأخيراً لابد من تغير نظرتنا إلى المركزية الديمقراطية باعتبارها مبدأ يتطور تبعاً للظروف التاريخية الملموسة.

ثانياً: حول مفهوم المركزية الديمقراطية

ان المركزية الديمقراطية هي مبدأ واحد تقتضي الضرورة الموضوعية لنشاط الحزب الداخلي تطبيقه بجانبيه، وأي تقسيم مصطنع لوحدانية هذا المبدأ يؤدي إلى نتائج وخيمة على نشاط الحزب. وقد حذر لينين من الفصل المفتعل بين المركزية والديمقراطية في المؤتمر العاشر لحزب البلاشفة المنعقد في ١٩٢١.

ومهما تكن الظروف التي يعمل بها الحزب ـ سرياً أو علنياً ـ فان التطبيق السليم لهذا المبدأ يجب ان يأخذ الترابط الجدلي بين المركزية والديمقراطية بعين الاعتبار. ومن هذا الجانب، فان خطأ الاحزاب الشيوعية الحاكمة تمثل في التطبيق المفرط للمركزية الديمقراطية. أما الاحزاب الشيوعية غير الحاكمة، وخصوصاً التي تعمل بشكل سري، فانها راعت فقط تطبيق المركزية الشديدة، واهمال توسيع الديمقراطية ـ حتى عندما تسمح الظروف بذلك، وقد جاء ذلك نتيجة التأثر بتجربة الاحزاب الشيوعية الحاكمة، وقد وصل هذا التأثر لدرجة مساهمتنا بوعي أو بدون وعي، أحياناً، في تكريس مفهوم الحزب الواحد «القائد» عندما ركزنا على الجانب الاجتماعي من الديمقراطية، في حين اهملنا النضال في سبيل الديمقراطية السياسية لسنين طويلة، لأن نموذج الحزب الواحد هو السائد في البلدان الاشتراكية مع استثناءات شكلية، وكانت دعوتنا إلى الديمقراطية السياسية للمجتمع تضيق أو تتوسع حسب علاقتنا بهذا الحزب أو ذاك سواء كان حاكماً أو غير حاكم. وهناك امثلة عديدة لا مجال لذكرها.

وبناءاً على نتائج الممارسة العملية لمبدأ المركزية الديمقراطية، يجري الآن نقاش واسع وصريح لأول مرة داخل الاحزاب الشيوعية. ومنها حزبنا حول هذا المبدأ. فهناك وجهات نظر ترى ان المركزية الديمقراطية كمبدأ ما زال صالحاً للتطبيق بنفس الاسس السابقة، وتدعو إلى ازالة التشويهات التي رافقت تطبيقه بعد وفاة لينين. تقابلها وجهات نظر أخرى تنادي بضرورة تخلي الاحزاب الشيوعية عن هذا المبدأ لانه اقترن بانحرافات تتنافى مع الجوهر الانساني للاشتراكية، لدرجة يصعب التمييز بين الانحرافات والتشويهات والمبدأ نفسه. . . ان كلا الموقفين متشددان، ان المطلوب الآن هو اعادة دراسة هذا المبدأ بالاقتران مع الانحرافات والتشويهات الخطيرة التي لازمت تطبيقه من قبل الاحزاب الشيوعية الحاكمة وغير الحاكمة، والتي كانت تعمل في ظروف مغايرة.

ان اعادة النظر بهذا المبدأ من الناحية النظرية والعملية تتطلبها نتائج الممارسة العملية، لنكون قادرين على ايجاد جواب ملموس على العديد من الاسئلة التي تتطلب جواباً آنياً، ومنها: كيف تم تطبيقه بشكل مشوه لعقود من السنين؟ ولماذا تسمح آليات هذا

المبدأ بالتطبيق المشوه له؟ ألم يشدد ستالين قبضته على الحزب باسم مبدأ المركزية الديمقراطية وتطبيقها بشكل لينيني كما كان يعلن دائماً؟ يضاف إلى ذلك ان التجربة اثبتت ان تطبيق المركزية كانت القاعدة وتطبيق الديمقراطية كان الاستثناء، وهذا ما أكدته تجربة حزبنا ايضاً، حيث تم تعليق حق الانتخاب مثلاً لسنين طويلة (وهو ركن اساسي من اركان الديمقراطية الحزبية. ونصت عليه جميع الانظمة الداخلية التي أقرها حزبنا) بحجة يمكن ان تكون مشروعة وهي «ظروف العمل السري» الذي فرضته الطبقات الحاكمة على حزبنا.

ومع ذلك هنا يبرز تساؤل آخر: ما هي الآليات التي وضعها هذا المبدأ لمعالجة هذا الخلل الذي عانى منه حزبنا والاحزاب الأخرى التي تعمل في ظروف سرية تتشابه وتتباين من حيث الزمان والمكان؟ ألا يغني ذلك ان هذا المبدأ بحاجة لاغناء وتعديل في المضمون والشكل بعد ان اثبتت التجربة امكانية استغلاله بشكل تعسفي من حكام دكتاتوريين امثال شاوشسكو الذين كانوا بعيدين كلياً عن مبادىء الاشتراكية الانسانية؟. ألم يسمح هذا المبدأ ببقاء «القادة الابدين حتى الموت» وهم يتربعون على «عرش» الدولة والحزب في دول

«اشتراكية» وليست ملكية؟ وجرى نفس التقليد في الكثير من الاحزاب غير الحاكمة خصوصاً في العالم الثالث. . ألا ينبغي ان نعيد النظر ببعض المسلمات النظرية ومنها المركزية الديمقراطية التي أدى تطبيقها المشوه إلى ازمة الاحزاب الشيوعية في اوربا الشرقية بعد أكثر من اربعة عقود من الحكم ؟ ان أحد أهم الاسباب التي أدت إلى انتكاسة هذه الاحزاب ورفض شعوب اوربا الشرقية منح الثقة لها في الانتخابات هو ابتعادها عن الديمقراطية لفترة طويلة، مما سبب عجزها في اعادة تجديد ذاتها بالوقت المناسب حين كانت الفرصة سانحة.

يجب ان ننظر نظرة جدلية إلى المركزية الديمقراطية التي تتطلب ليس ازالة التشويهات والانحرافات التي حدثت اثناء التطبيق، بل دراسة الاسباب التي أدت إلى هذه الانحرافات، ونظرة كهذه تتطلب دراسة جوهر ومضمون المبدأ ذاته، لأن الآلية التي تكونت داخل الاحزاب الشيوعية لها القدرة على مقاومة أية اصلاحات جزئية هدفها ازالة الانحرافات فقط. وهذا ما أكدته الممارسة العملية حيث فشلت كافة المحاولات الاصلاحية السابقة التي قامت بها الاحزاب الشيوعية ـ الحاكمة خاصة ـ في الوصول إلى ديمقراطية حقيقية.

ثالثاً: تعقيب على آراء الرفيق كريم أحمد حول الديمقراطية داخل الحزب (ث. ج/ ٢٢٠)

١ ـ كانت اجابة الرفيق كريم احمد (حول شعور اعضاء الحزب ان تطبيق الديمقراطية داخل الحزب لم يتم بصورة مرضية. . الخ) اجابة تبريرية عندما تناول تجربة حزبنا في ممارسة الديمقراطية، والاخطاء التي ارتكبت بهذا المجال. بينما مالت اجابته إلى الوضوح والجرأة عند تناول اخطاء الاحزاب الشيوعية الحاكمة في البلدان الاشتراكية، في حين وقعت بعض الاخطاء الجسيمة ـ التي ينبغي الاشارة اليها باعتقادي ـ عند تناول تجربة حزبنا. ومنها على سبيل المثال، اختيار حوالي ثلث اعضاء اللجنة المركزية (عشرة اعضاء) من قبل السكرتير العام وليس من مندوبي المؤتمر الوطني الرابع لحزبنا. ان ذلك كان مخالفة صريحة للنظام الداخلي الذي نص صراحة على انتخاب اعضاء ل. م من المؤتمر مباشرة. وقد انتقد لينين مبدأ التعينات في المؤتمر التاسع لحزب البلاشفة عندما أشار إلى «ان شكل الديمقراطية العمالية يستبعد كل ممارسة للتعينات كنظام. بل يجد تعبيره في انتخاب جميع المؤسسات من الاسفل إلى الاعلى»*.

٢ ـ اتفق مع رأي الرفيق عندما أشار إلى الاخطاء التي تنشأ عند تطبيق المركزية لوحدها بدون الديمقراطية. وبودي ان اضيف إلى ذلك ان عدم احترام رأي الاقلية، الناتج عن سيادة المركزية الشديدة، هو ايضاً يؤدي إلى خرق الانضباط الحزبي، وظهور التكتلات. ولو تم عرض اراء الاقلية على عموم الحزب بالوقت المناسب لكانت وحدة الحزب امتن لانها مبنية على أساس الفكر الجماعي للحزب، قيادةً واعضاء، اكثرية واقلية، وكما هو معروف فان تحريم الكتل والمحاور في المؤتمر العاشر لحزب البلاشفة قد استفاد منه ستالين في تعميق منحى عبادة الفرد لاحقاً، في حين كان من الضروري البحث عن الوسائل التي تمكن الحزب من الاستفادة من رأي الاقلية التي كانت تجد تعبيراً لها في المحاور والكتل القائمة ضمن الحزب الواحد (لا يفهم من هذا الرأي التأييد للكتل والمحاور داخل الحزب التي اقرتها بعض الاحزاب في اوربا الشرقية والغربية، الاشتراكي المجري الشيوعي الايطالي مثلاً) وانما ادعو لدراسة النتائج السلبية التي تنشأ عن اهمال رأي الاقلية في الحزب. وقد عانى حزبنا من ذلك، حيث جرى التعامل بشكل بيروقراطي مع الطروحات المتنوعة (التي كانت تشكل رأي الاقلية في حينها) حول اساليب الكفاح مثلاً، مما أدى إلى تشديد الصراع الحزبي الداخلي، خاصة في منظمات الخارج، بينما

* المقتبس الوارد عن لينين نقلاً من كتاب: وحدة النشاط الايديولوجي والسياسي والتنظيمي للحزب الشيوعي، ص ١٤٠ ـ د. حميد بخش.

كان الظرف يستدعي التعامل بمرونة مع الآراء التي نحتبرها «مغايرة» لوجهة نظر الاغلبية.
أرى ان ذلك كان نتيجة منطقية لحصر الخلافات حول التوجهات السياسية الاساسية داخل قيادة الحـزب، بحيث لا تعلم بها القاعدة الحزبية، إلا بعد ان تتم القطيعة مع اعضاء القيادة الذين يحملون هذه الآراء.

٣ ـ يشير الرفيق إلى امكانية «الطلب من قيادة الحزب تعميم هذه الآراء ـ اراء اعضاء الحزب ـ على الحزب كله... الخ» ان تعميم الآراء المختلفة على الحزب لا يحتاج إلى طلب يقدمه هذا الرفيق أو ذاك، اذا طرح رأياً معيناً، إلى قيادة الحزب، لأن أحد واجبات قيادة الحزب يتمثل في احترام جميع الآراء، حتى وان كانت تمثل اقلية، وايصالها لعموم الحزب لمناقشتها، وابداء الموقف الصحيح منها. ان هذا هو الاسلوب السليم الذي يمكّن مجموع الحزب من الاطلاع على الآراء المتنوعة حول القضايا العقدية والبرنامجية، وذلك قبل ان تتخذ القرارات حولها. وهذا ضمان لكي يتفاعل الحزب بمجموع اعضائه مع الآراء المتنوعة، قبل ان يتكون رأي عام في الحزب متأثر برأي الاكثرية. ويفهم من سياق حديث الرفيق ان تعميم الآراء المختلفة جرت ممارسته سابقاً، وأرى ان ذلك لم يحصل.

٤ ـ يشير الرفيق إلى «ان قيادة الحزب تحث منظمات الحزب واعضاءه على مناقشة وتحليل الاوضاع السياسة والاقتصادية والاجتماعية في بلادنا... الخ» وهنا من حق المرء ان يتساءل: ألم يَجرِ اهمال آراء القاعدة الحزبية، ووضعها في خانة «الآراء المعارضة» اذا كانت تنتقد سياسة الحزب وتبدي عدم قناعتها ببعض جوانبها؟ أدى ذلك إلى عدم الاكتراث أو إلى المناقشة الشكلية لسياسة الحزب من قبل القاعدة، لأن اراءها عانت من الاهمال، اضافة لوضع علامة استفهام على من يطرح رأياً مغايراً، حتى وان تمّ وفق الاصول التنظيمية، مما خلق حالة غير طبيعية عند الشيوعيين واصدقائهم تتمثل بطرح آراء جريئة وصريحة حول سياسة الحزب ومواقفه في اللقاءات الثنائية والجماعية احياناً، والامتناع عن طرح هذه الآراء في اجتمعات الهيئات الحزبية.

السويد



التجديد في الاحزاب الشيوعية العربية

باسم عبدو

نجد في صفحات (الثقافة الجديدة) من خلال اعدادها المتتالية تنوعاً جديداً في طرح الآراء واجراء المناقشات، حول مجموعة من المفاهيم التي طرحتها (البريسترويكا)، وخاصة مناقشة المشاريع التي طرحها الحزب الشيوعي العراقي للتحضير لمؤتمره الخامس.

أول سؤال يتبادر إلى الذهن: كيف يتم استقبال البريسترويكا في الاحزاب الشيوعية والعمالية في البلدان العربية، باعتبارها احزاباً ثورية، عاصرت تطورات الحركة الشيوعية العالمية؟

لقد جاءت البريسترويكا كعملية ثورية، وضرورة تاريخية، استقت مادتها وأدواتها النضالية الفكرية والسياسية من قلب ثورة اكتوبر، ومن المنابع الماركسية ـ اللينينية، ومصادر التراث الثوري الخلاق لنضالات الشعوب وقواها الثورية.

وأحدثت البريسترويكا في الاتحاد السوفييتي، وبلدان اوربة الشرقية، تغيرات عاصفة، وتفجيرات كانت حتى وقت قريب، بعيدة عن متناول الاحزاب والحكومات.

لقد خرجت البريسترويكا من بلد المنشأ، من مركز الحركة الشيوعية نحو الدائرة الأقرب، بلدان اوربة الشرقية، فصوبت موجات التغيير إلى عفن التاريخ البيروقراطي، الاوامري التسلطي، سهام التجديد الثوري برؤوس متعددة، بدأت تخترق بصعوبة جدران

«التخلف» والصمت المطبق، في كافة مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والحزبية والثقافية والروحية. وكان المؤتمر الثامن والعشرون المحطة الانعطافية في تطور البريسترويكا، ونقطة التقاطع بعد توقف أمام الاشارات الضوئية المعقدة لعدة سنوات، نقطة الحسم التي اسقطت كل ما هو غث وديماغوجي ومتسرع أو متسلق.

وقد غربل المؤتمر جميع المفاهيم والافكار، وخرج باستنتاج شبه جماعي، بأن الحزب الشيوعي السوفييتي، هو حزب الطبقة العاملة والفلاحين والمثقفين الثوريين، وان ناظم حياته الداخلية هو المركزية الديمقراطية. وحدد المؤتمر مسألة التعددية، أو المناهج، ومفهوم الأكثرية والأقلية في داخل الحزب.

ومنذ فترة طرحت بعض الاحزاب الشيوعية العربية مشاريع وبرامج عمل جديدة للتحضير لمؤتمراتها الدورية العامة. فبدأ الحزب الشيوعي العراقي بمناقشة مشاريعه على صفحات (الثقافة الجديدة)، في داخل الحزب وخارجه. وشكلت هذه البادرة خطوة ايجابية من خطوات التجديد، تلاقي الاهتمام من الحزبيين وغير الحزبيين، وعلى النطاق العراقي والعربي. وأرغب في هذه المقالة التركيز على عدد من المسائل التي يدور حولها نقاش، وأحياناً جدل، يُحدث صداماً بين الجديد والقديم.

القديم يضعف استقطابه للمتغيرات، والجديد يقوم بعملية طرد للقديم، ويشكل بقعة مضيئة، أو نقطة جذب للاجيال الشيوعية التي تطمح لاعادة البهجة الثورية إلى قلوب الشيوعيين والتقدميين، واحياناً تكون ذات نزعات أو توجهات هجومية تؤثر سلباً على خط التصعيد الثوري، ومنحى تراجعي، تشكيكي، مما يؤدي إلى محافظة القديم على ديمومته لفترة أطول. وبرأيي ان المنتصر هو الخط التجديدي الثوري، وان كان القائمون على هذا الخط لا يمتلكون الخبرات الكافية، أو يريد البعض منهم قصّ أو بتر اقدام القديم، وايجاد بديل سيحتاج إلى مرحلة ربما تطول لبناء احزاب شيوعية ثورية، طموحة، جماهيرية وكفاحية.

■ **المسألة الاولى**: هي بناء الحزب الشيوعي من الداخل. وعملية البناء أصعب بكثير من عملية الهدم. أدوات الهدم حادة، قاتلة، وربما مميتة (بلدوزر واحد يهدم بيتاً مثبتاً على قاعدة اسمنتية، ولكنه لا يستطيع بناء مدماك واحد لبيت جديد). البناء الحديث يحتاج إلى أيدي ماهرة وعقول ديمقراطية منفتحة. واول مدماك في البناء الجديد هو كيفية التعامل مع المركزية الديمقراطية، كيفية التوفيق الخلّاق بين وجود مركز واحد للحزب. يصدر توجهاته وقراراته، ويقرر خطة الحزب العامة بالأكثرية وليس بالاجماع، ووجود ديمقراطية حزبية داخلية صحيحة وقائمة على اساس التعامل الديمقراطي، واحترام الآراء، ومعرفة الاصغاء إلى الرأي الآخر. وتطبيق المركزية الديمقراطية الصحيحة، وتخليصها من

الجمود العقائدي ـ الستاليني ، هو في وجود التعددية ، وجود الأكثرية والأقلية في الحزب الـواحد ، بشكل لا تؤدي فيه إلى وجود كتل داخل الحزب ، بل تكون لكل فئة واجباتها وحقـوقهـا ، هو كيفية التعـامل والدفاع عن الحقوق والواجبات على صفحات جريدة أو مجلة ، بحيث يؤدي هذا التفـاعـل بين الأكثرية والأقلية إلى اجراء تحولات على أسس ديمقراطية لصالح الأكثرية أو لصالح الأقلية ، والعكس .

ان ترك باب بيت الحـزب مفتـوحـاً على مصـراعيه . أي الغـاء مبـادىء المركزية الـديمقـراطية يؤدي إلى تحـويل هذا البيت إلى مضـافـة أو ديوانية تتضارب فيها الآراء والاقوال ، ويتحول هذا البيت إلى نادٍ للنقاش ومكان للثرثرة الثورية غير الصائبة . والنتيجة في النهاية وجود حزب مترهل فضفاض لا يحترم نفسه ، حزب غير طموح ، تتلاشى حدوده ، وتنطمس قواسمه الثورية المشتركة التي تشكل وحدة الارادة والعمل ، حزب مصيره الموت ، يدفن نفسه بأدواته الصدئة ، ويضحك منه اعداؤه .

ان المركزية الديمقراطية تعتبر المبدأ الاساسي في بناء الحزب . وهو يجمع بشكل عضوي وخلاق بين المركزية والديمقراطية ، بحيث يؤمن وحدة الحزب الفكرية والسياسية والتنظيمية ووحدة الارادة والعمل ، في ظل تعدد الآراء والافكار ، وعلى أساس الديمقراطية الحزبية الواسعة ، بحيث يكون الحزب منظمة كفاحية حية متفاعلة داخلياً ومع الجماهير .

ان الـديمقـراطية الحزبية في حياة الحزب تنبع من طبيعته وتكوينه . ومن اهدافه ومهمـاتـه باعتبـاره مناضلاً ثابتاً ودائماً في سبيل الديمقراطية التي هي أساس الانضباط الـواعي . والحـوار الديمقراطي الرفاقي هو الطريق الوحيد للوصول إلى اتخاذ القرارات الحزبية في الهيئات ، ويصبح ضرورياً اجراء نقاش عام في الحزب حول بعض القضايا السياسية والفكرية أو الحزبية في حالات خاصة تراها اللجنة المركزية ضرورية أو اذا لم يتوفر داخل اللجنة المركزية أكثرية ثابتة ، أو اذا طلب ذلك ثلث اعضاء المركزية مثلاً . ويتم النقـاش ضمن الهيئـات وفي الاجتمـاعـات المخصصة له ، مع المحافظة على النشاط الطبيعي للحزب والتمسك بالانضباط الحزبي ، ويجب ان تتضمن المناقشة العامة حق كل رفيق بابداء رأيه بحرية مع رفض كل محاولة لاستغلال هذا النقاش لتشكيل تكتلات .

ان الغاية من النقاش العام هو تعميق الفهم المتبادل للآراء المختلفة . ويحق للأقلية التي خالفت قراراً ، في أية هيئة حزبية ، أن تحتفظ برأيها وتناقش هذا الرأي مع الهيئات الأعلى ، وفي الاجتماع العام للمنظمة والكونفرانسات والمؤتمرات ، ومن خلال المجلة الحـزبية الـداخلية . والهـدف من وجـود مجلة حزبية داخلية هو تنظيم صراع الآراء في الحزب ، واجراء حوار واسع حول القضايا التي يتخذ بشأنها أي قرار ، والقضايا الفكرية والسياسية التي تجري مناقشتها ضمن إطار التحضير للمؤتمر ، ولنشر رأي الأقلية في حال

وجودها ومناقشته، وخاصة حول المسائل الهامة، حيث يمكن لاعضاء الحزب أن يعبروا من خلالهـا عن آرائهم وملاحـظاتهم وانتقاداتهم لعمل الحزب، وذلك ضمن التزامهم بعضـويتـه وتنفيذهم لقـراراتـه. ان المجلة الحـزبية الـداخلية تعمـل على نشـر الروح الديمقراطية واحترام الرأي الآخر وتوطيد العلاقات الرفاقية الانسانية بين الشيوعيين، وبعث وتكـوين الوعي الديمقراطي والممارسة الديمقراطية، وتوطيد وحدة الحزب على أساس القناعة والوعي..

لقد كان النقد والنقد الذاتي في العهود السابقة صورياً، واذا كانت جرأة الرفيق في الانتقاد قوية ونابعة من الحرص على سمعة وهيبة هذا المسؤول وهذه المنظمة كانت تتخذ بحقه اجراءات غير مشروعة، تتناقض مع ابسط المبادىء اللينينية في التنظيم. واذا كانت عبـادة الفـرد والهيمنـة الفوقية والتسلط قد نخرت الاحزاب الشيوعية العربية، وهذا أحد اشكال الارتباط بالستالينية، فقد حان الوقت لفك هذا الارتباط والعودة إلى مبدأ القيادة الجماعية الذي يعتبر شرطاً لا غنى عنه لنشاط الحزب ولتربية الحزب ولتربية الملاكات تربية صحيحة، ولتطوير نشاط الشيوعيين ومبادرتهم.

ان عبادة الفرد وما ينجم عنها من اخلال بالديمقراطية الحزبية تتنافى مع المبادىء اللينينية في الحياة الحزبية ويجب مقاومتها ورفضها. وتتنافى النزعة الفردية والبيروقراطية مع العمل الجماعي. والعمل الجماعي بدوره لا ينفي المسؤولية الفردية.

ومن هنـا يجب ان تؤكـد المشاريع الجديدة للاحزاب الشيوعية على تحديد عدد الدورات التي يجوز بقاء الرفاق خلالها في المراكز القيادية، وترشيح عدد من الرفاق يزيد عن المطلوب لشغل عضوية الهيئات الحزبية المختلفة.

وفي بعض الاحزاب الشيوعية تشن حملات ضد القيادات، وتكثر الاقوال لازاحة هذه القيادات، وبأنها اصبحت «متخلفة» وغير «نافعة».

ان الهجوم تصعيد غير مبرر، ولا يمت بصلة إلى البريسترويكا. ولا يعني هذا انني أدافـع عن الاخـطاء أو عن القيادات، بل أرى ان ممـارسـة الديمقراطية، وتفاعل هذه الممارسة بشكل حر وواع هو الأساس، هذا من جهة، ومن جهة ثانية على الشيوعيين ان لا يغمضوا عيونهم عن الدور التاريخي والمواقف النضالية الخالدة للكثير من القيادات، مع عدم نسيان السلبيات والاخطاء.

ان النـظرة الاحادية الجانب تحدث خللاً في مثل هذه المواقف. ومن جهة ثالثة المؤتمرات الديمقراطية هي التي تنتخب هذا أو ذاك من الشيوعيين إلى المراكز القيادية ويجب الاستفادة من تجارب بعض الاحزاب الشيوعية التي شكلت من الرفاق كبار السن، والذين كانوا في مراكز قيادية لفترات طويلة، لجاناً استشارية للحزب.

والناحية الرابعة التي يجب عدم اغفالها، هي عملية تواصل الاجيال في الحزب الشيوعي، لأن التجـديد الشـوري في البناء الحزبي هو في وجود أجيال داخل الحزب، واعتماد أي حزب على جيل واحد يؤدي إلى صراع الاجيال وشيخوخة الحزب. التجديد هو رفد الدماء الشيوعية القديمة بدماء جديدة، شابة حركية، سريعة التفاعل مع الاحداث، واعية، منضبطة، ملتزمة، مستفيدة من تجارب الشيوعيين المتراكمة وخبراتهم الطويلة. فالشجرة التي تُستأصل من جذورها الممتدة في اعماق التربة، من الصعب انبات شجرة مكانها في فترة قصيرة. أما الشجرة التي تُقص افنانها وتُقلم كل فترة، فهي سريعة النمو ويتجدد اخضرارها، وتصبح زاهية وتُعطي ثماراً طيبة.

■ المسألة الثانية التي أريد طرحها للمناقشة هي العلاقة بين الاحزاب الشيوعية العربية.

ان العلاقات بين الاحزاب الشيوعية والعمالية في البلدان العربية لم ترتق بعد إلى المستويات المطلوبة. وتعود هذه العلاقات التاريخية إلى عدة عقود مضت. والوقت اليوم مناسب لزيادة التلاحم الكفاحي والثوري بين الاحزاب الشيوعية العربية، فما دامت هذه الاحـزاب قد بدأت باجـراء تغييرات ثورية تتـوافق مع التغييرات العـالمية، مع أخـذ الخصـوصية بعين الاعتبـار، فالاجـدر بها ان تتحمل مسؤولياتها التاريخية لصهر عملية التقارب والتناسج فيما بينها، مع احترام سياسة ومواقف كل حزب.

وما دامت القواسم المشتركة تتقاطع في نقطة واحدة، يجب ان تتناسب هذه القواسم مع المتطلبات الجديدة. والمقصود بذلك:

١ ـ فتـح مجلة (النهج) أمام جميع الاحزاب الشيوعية العربية التي كانت تسمى بالاحزاب «الرسمية» سابقاً أو التي خرجت منها، أو الاحزاب التي تشكلت حديثاً وتبنّت ايديولـوجية المـاركسية ـ اللينينية (وينطبق الأمر على التنظيمات الماركسية) وتمثيل هذه الاحزاب والتنظيمات في مجلس تحرير النهج.

٢ ـ عقد مؤتمر سنوي للاحزاب الشيوعية، تتدارس فيه مختلف قضاياها الداخلية والمحلية والعالمية والمستجدات والتطورات على كافة المستويات.

٣ ـ تشكيل جبهـة ماركسية عربية واسعـة، تضم جميع التنـظيمـات الشيوعية والمـاركسية التي توافق على برنـامـج هذه الجبهة. وهذا لا يلغي أو ينقص من ائتلاف الاحزاب الشيوعية في جبهات داخل الحكومات العربية وخارجها.

■ المسألة الثالثة: هي الديمقراطية كمطلب انساني وجماهيري، ليس في الوطن العربي بل كذلك في العالم.

ان مسألة الديمقراطية والبرامج الديمقراطية غُيبت في السابق من نضالات الاحزاب

الشيوعية العربية. واذا لم تكن كذلك فكان الموقف منها ضعيفاً.

اصبحت الديمقراطية اليوم حاجة حياتية، يومية ملحة، على مستوى الافراد والاحزاب والحكومات. وترتبط الديمقراطية بالوحدة الوطنية في كل بلد عربي. فما زالت الانظمة العربية تمارس اشكالاً من القمع والدكتاتوريات باستثناءات قليلة. وكما ان الديمقراطية لا تتجزأ، كذلك الوحدة الوطنية، التي هي بالاساس عملية ترابط. ويشكل القاسم المشترك، الخندق الذي تقف فيه جميع القوى الوطنية. ولا يلغي هذا التباينات أو الخلافات في الفكر والسياسة، بل ان وجود الديمقراطية وتحقيقها يطور عملية التلاقي والتفاعل بين هذه القوى على أرضية النضال ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية، انطلاقاً من قاعدة انه لا يستطيع حزب أو قوة أن تحتكر الحقيقة وحدها.

■ **المسألة الرابعة**: هي علاقة الاحزاب الشيوعية العربية مع الجماهير. هذه العلاقة التي كانت في الماضي، وفي مراحل تاريخية، في فترة النضالات ضد الاستعمار والمشاريع الاستعمارية، وضد الانظمة الاستبدادية، علاقات واسعة. وكانت الاحزاب الشيوعية هي الاحزاب الجماهيرية، واطلقت عليها القوى السياسية الاخرى بما فيها القوى الدينية والجماهير، بأنها طليعية. إلّا أن هذه العلاقة بدأت تتآكل وأصيبت بالضعف. وان تتخلى الجماهير عن احزابها مسألة ذات أهمية كبيرة وحساسة. ومن هنا تأتي إعادة النظر بمفهوم العلاقة، ومعرفة اسباب ضعفها التي يمكن ارجاعها إلى:

- القوانين التي قيّدت الاحزاب الشيوعية وحرمتها من العمل العلني.
- عهود الدكتاتوريات وتحوّل الاحزاب إلى العمل السرّي.
- قمع الجماهير وابعادها عن مراكز الاستقطاب الثورية.
- انقسام الاحزاب الشيوعية، وانقسام الجماهير.
- عدم التعامل الديمقراطي مع الجماهير، وسيطرة الوصائية عليها، وممارسة الاساليب الفوقية والتعليمية، وتقييد حركتها ومبادراتها، والاغلاط في فهم احاسيس الجماهير، ومعرفة التعّلم منها.

■ **المسألة الخامسة** هي وحدة الحركة الشيوعية في كل بلد عربي، واعادة بناء الحزب الشيوعي الموحد، على أساس التفكير السياسي الجديد. فاذا كانت البريسترويكا أدت إلى حصول انقسامات في الاحزاب الشيوعية الحاكمة في البلدان الاوربية، نتيجة للممارسات الخاطئة والمميتة خلال الحكم (الاشتراكي) الاستبدادي وهيمنة البيروقراطية الحزبية، فالأجدر بالاحزاب الشيوعية العربية ان تحدث بريسترويكا معاكسة، ان تجمع شمل الشيوعيين في كل بلد عربي، والتنازل عن الوصائية و«الشرعية» المزعومة.

لقد نسف التفكير السياسي الجديد هذه الشرعية، واصبح وجود كل حزب أو فصيل

شيوعي يمثـل شرعيتـه. فمـا دام هذا الحزب موجوداً فهو شرعي، لأن مركزية الشرعية انتهت. هذه المركزية التي كانت تعطي صك الاعتراف بوجود أي حزب شيوعي، وتحديد علاقاته مع الحركة الشيوعية العالمية.

وكما ان البريسترويكا ضرورة تاريخية وموضوعية، كذلك وحدة الحركة الشيوعية في كل بلد عربي ضرورة تاريخية، ومهمة أمام جميع الشيوعيين، ومسؤولية أمام الشعب والوطن.

من هنا يرتقي دور الحزب الشيوعي الموحد في حياة البلاد وتطورها، ويصبح قوة داعمة وسنداً قوياً للوحدة الوطنية، في النضال من أجل إلحريات الديمقراطية ونشر مفهوم التعددية الحزبية، واعادة الكرامة للانسان العربي، ومناهضة الحكومات المتسلطة والدكتاتوريات.

* * *

ان فتح الحوارات الديمقراطية على صفحات المجلات الشيوعية والديمقراطية هو عنوان جديد، وبنفس الوقت يشكـل خطوة متقدمة في مواكبة عمليات التجديد واعادة البناء، وشكلاً من اشكال الديمقراطية الصحيحة لتفاعل الآراء والافكار التي تجول في عقول الشيوعيين والتقدميين، بعد ان كانت حبيسة في الصدور.

دمشق، ١/٨/١٩٩٠



صور من الحرب الداخلية

«ما ان سكتت اصوات المدافع على جبهة الحرب العراقية ـ الايرانية (. . .) حتى أخذ النظام يوسّع نطاق الحرب الداخلية التي لم تتوقف يوماً، بل كان دويّها، وكانت ابعادها المأساوية، الانسانية والسياسية، محجوبة جزئياً بفعل الدخان القاتم لحرب الخليج (. . .) وانطلق النظام، فور وقف اطلاق النار، وبالذات في الفترة الحرجة من المفاوضات القلقة، إلى شن أوسع حملة ابادة ضد الشعب الكردي، مدمراً القرى، ومطارداً المدنيين بالاسلحة الكيمياوية. وكان حصاد هذه الحملة تدمير المئات من القرى الكردية، وسقوط الالاف من القتلى، وبسلاح محرّم دولياً ضد الجيوش اصلاً، وتشريد ما ينوف على مائة الف مواطن آمن هرباً إلى المناطق الحدودية المجاورة، في تركيا وايران (. . .) وتسعى حرب الابادة هذه إلى اشغال القوات المسلحة، وابقائها في حالة استنفار دائم، وزجها في مغامرات جديدة، سواء في داخل البلد أو خارجه، بأمل تعطيل تفاعلات ما بعد الحرب، أو تأخيرها، كسبيل لقمع أية بادرة لطرح الاسئلة (. . .) عن الحرب، وفي المقدمة منها محاسبة ومعاقبة صدام. . . الحرب انتهت من حيث ابتدأت، لا منتصر فيها سوى الخراب والدمار، ولا غالب فيها سوى الرجعية والامبريالية، والخاسر الوحيد فيها شعبنا والشعب الايراني والشعوب العربية، بما قدمت من تضحيات بشرية جسيمة، وخسائر اقتصادية يصعب تعويضها ناهيك عن العواقب الاخرى المعروفة. . .»

تلك مقاطع من بيان لحزبنا في ١٣/٩/١٩٨٨ (نشرناه في العدد ٢٠١) نستذكرها اليوم اذ نشهد التفاعلات الخطيرة لاجتياح الكويت من وراء ظهر شعبنا المقهور.

ثلاثة من انصار حزبنا سجلوا فيما يلي صوراً من المآسي التي عاشتها كردستان غداة وقف حرب الخليج (انقول الاولى؟)

١٩٩٠/٨/٩

من مذكرات نصير

كردستان تحترق

ابو واثق ـ بهدينان

في ربيع ١٩٨٨

تواردت الانبـاء وكثرت الاشاعات حول استعدادات السلطة الفاشية للقيام بهجوم واسع على منطقة بهدينان، تلك المنطقة التي استعصت على النظام وافشلت كل أساليبه في اختـراقها. فلقد أكدت الاخبار الواردة الينا من داخل المؤسسات السلطوية وصول قذائف كيمياوية إلى معسكرات ديرلوك وشيلادزة وسرسنك وغيرها. وقد حدد يوم ١٥ نيسان موعداً لبدء الهجوم الشامل. ومن الجانب الآخر فان قوى المعارضة الوطنية قد اتخذت كافة الاحتياطات لصد الهجوم المحتمل واقسمت ان تكون بهدينان مقبرة للقوات الغازية. فوزعت المفارز القتالية على أهم المناطق ومفارق الطرق والقمم ونشرت الاسلحة المتوفرة من مدافع وقذائف واسلحة متوسطة وساندة ومتفجرات، اضافة للاسلحة الخفيفة للمقاتلين من بنادق ورمانات واسلحة القنص وغيرها. كما حفظت المواد الغذائية والتموينية الأخرى والاعتدة في بطون الجبال بعيداً عن الخطر. «بهدينان مقبرة للفاشست». كان الحماس على أشده لدى المقاتلين والمقاومة الشعبية واهالي المنطقة بشكل عام.

أخبار مناطق سوران تتوارد عن طريق اذاعات المعارضة الوطنيةاويتناقلها الناس، بان النظام التجأ في آخر المطاف إلى استعمال السلاح الكيمياوي. آذار عروس السنة شهد

أقذر مذبحة، ابيدت «حلبجة»،أكثر من عشرة الاف ضحية بين شهيد وجريح. الاطفال يموتون وفي ايديهم زهور الربيع. رائحة الكيمياوي القاتل بدلاً من عطر ورود آذار الجبلية.

لقد وضع موضع التنفيذ قرار الغاء مقر قاطع بهدنان وتوزيعه على أماكن أخرى، بعد اقدام النظام الفاشي على ضربه مساء ١٩٨٧/٦/٥ بالسلاح الكيمياوي مما سبب استشهاد الرفيقين ابو فؤاد وابو رزكار وجرح رفيقين آخرين بجروح بليغة هما الدكتور خابور وعباس، واصابة (١٤٩) نصيراً آخر بالتسمم بغاز الخردل . . . اتخذت كافة الترتيبات اللازمة لاجلاء المقر.

أول مفرزة تغادر المقر

تحركت مفرزتنا من مقر قاطع بهدينان في ٢٨ آذار. وكانت مؤلفة من ثمانية انصار بضمنهم اثنان من الملتحقين الجدد. . . كان يوماً ممطراً، وبقايا الثلج لا تزال متراكمة على سفوح وقمم الجبال والامكنة التي لم تكن مقابلة للشمس، مما يعيق بشكل جدي السير عبر تلك الطرق، ولكن بصعوبة بالغة كنا نشق طريقنا.

الحيوان الذي كان معنا قاسى في تلك الرحلة ما لم يقاسه طيلة عمره. ارجله تغوص في الثلج، ينهض، يترنح، يسقط على جنبه ويستسلم للرقاد لالتقاط انفاسه. اذناه تكادان تنقطعان من السحب وكذلك ذيله. افرغنا كامل حمولته ولكن دون جدوى.

لا يمكن الرجوع رغم تعذر امكانية الرجوع. يجب ان نتقدم ونتابع المسير. . وأخيراً، وبوقت تجاوز ستة اضعاف الوقت الطبيعي لقطع تلك المسافة الملعونة، تمكنا من الوصول إلى القمة المطلة على قرية «دركني» . . . تناولنا طعام الغداء في آخر بيت، غمرنا اهله بكرمهم المعهود. وتلقينا خبراً من مفرزة سبقتنا بانهم ينتظروننا في قرية «سه ركلي» وهي على بعد ساعتين من قرية «دركني» طريق موحل لا يعرف الاستواء والسهولة، ومما يزيد في صعوبة السير زخات المطر الربيعي وعدم تجانس مفرزتنا من حيث قواها الجسدية أو تكيفها للطبيعة الكردستانية . . .

لا تكاد ترى قرية (سه ركلي) إلا عندما تقابلها على السفح، أو تكون على احدى القمم التي تحيط بها. استفسرنا من أحد ركائزنا في تلك القرية عن رفاقنا، فأخبرنا بانهم سينتظروننا في «سه گيري» حتى الساعة السادسة مساءً بغية عبور الشارع سوية. حثثنا السير بما تبقى من طاقاتنا المتعبة. . الطريق معقد متعرج، موحل، صعودا، نزولا، وتمكنا من الوصول قبل الموعد بربع ساعة. ولكن الرفاق كانوا قد غادروا القرية قبل ساعة من وصولنا. وجدنا قسماً من مفرزة تابعة للحزب الديمقراطي الكردستاني الحليف في نفس

القرية تتهيأ للعبور والالتحاق بالقسم الذي سبقه. انهم في عجلة بغية العبور إلى مجمع كاني . . . لم نجد القدرة على مواصلة السير، اضافة إلى احتمال ما ينتظرنا من الاصطدام في الشارع أو أمور أخرى قد تتطلب السرعة أو الاصطدام مع مفارز معادية، فآثرنا البقاء في القرية إلى اليوم الثاني. ارسلنا إلى السرية الخامسة ان تبعث لنا ادلاء للعبور. . .

لم تكن القرية كبيرة، اذ انها تتكون من بضعة بيوت، وبسبب التهجير والقصف المتواصل واجتياحها مرات عديدة من قبل قوات السلطة لم يبق فيها سوى اربعة بيوت تتحمل الكثير من ضغط الاستضافة لقوات المعارضة علماً ان وضع تلك العوائل المعاشي سيء. ومع ذلك غمرونا بكرمهم فقدموا لنا الغذاء والافرشة ونمنا ليلتنا في مسجد القرية معتمدين على حراسة ابنائها. . . وفي ظهيرة اليوم التالي ٢٩/٣ سمعنا اطلاق نار واصوات مدافع فاتخذنا الحيطة الكاملة لمواجهة أي احتمال سيء، قيل لنا ان المفرزة التابعة لقوات الحزب الحليف قد قطعت الشارع واصطدمت مع قوات السلطة، لكن الخبر اليقين كان مغايراً، اذ ان تلك المفرزة المكونة من (٧٥) مقاتلاً امضت ليلتها في مجمع كاني السلطوي وبدلاً من ان تغادره، كما هو مألوف، في الفجر تأخرت إلى الساعة الحادية عشر ظهراً فتعرضت لهجوم معادٍ وانسحبت بشكل عشوائي وكادت ان تقع كارثة حقيقية لولا ان هبت السرية الخامسة التابعة لقوات حزبنا لنجدتها وتغطية انسحابها إلى قرية (ديره ش).

لم يكن ينقص مفرزتنا السلاح ولا امكانية القتال، بل الدليل فقط،وهذا ما توفر لنا في الخامسة مساءً فتحركنا تحت ظل اشجار البلوط، وسرنا مع تعرجات سفوح الجبال ووجدنا الطريق مفتوحاً أمامنا. وما هي إلّا اجزاء من الساعة حتى كنا في الجانب المقابل من الشارع وتحسسنا الطريق إلى ديره ش عبر الظلام وتوزعنا على بيوت القرية في الساعة العاشرة ليلاً. . . وفي صباح اليوم التالي . زرنا رفيقنا الجريح «اسعد» من الفوج الاول ورفيقنا الجريح الآخر (رزكار) من السرية الخامسة، واستصحبنا اسعد باتجاه هدفنا (كافيه).

وحدة جديدة لقوات الانصار

كان قرار المكتب العسكري المركزي يقضي ان تكون (كافيه) وحدة عسكرية سياسية جديدة تهتم بشؤون منطقة عقرة. وتكون تابعة لقوات بهدينان،ومركزها كافيه. . . ولدى وصولنا إلى كافيه بدأنا نتخذ الترتيبات اللازمة لذلك. ويجب ان لا يفوتنا هنا ان نذكر ان في كافيه يوجد فصيل تابع إلى قوات قاطع اوبيل، وكذلك يوجد مقر اقليم كردستان لحزبنا. واستناداً إلى قرار قاطع اربيل سيتم سحب الفصيل المذكور في أواخر نيسان

بذلنا جهوداً كبيرة لا تتناسب مع طاقاتنا أو عددنا، للبحث عن مكان مناسب، وشراء وتخزين المؤن اللازمة لطبابة الاسنان وتدبير شؤوننا بشكل عام كمجموعة مستقلة، وبالفعل تم ذلك.

ومع مرور الايام والاسابيع تتوالى الاخبار المقلقة باشتداد المعارك بين قوى المعارضة الوطنية وبين قوات وازلام السلطة الفاشية في عمليات «الانفال» والتي استخدم فيها السلاح الكيمياوي بشكل واسع. فلقد افادت الاحصائيات ان في شهر آذار ـ نيسان، هدمت السلطة واحرقت أكثر من ٧٢٨ قرية في اقضية (جمجمال، طوزخورماتو، كلارا، كفري، الدبس، قضاء مركز كركوك) وشرد حوالي (٤٠) الف انسان غيب منهم (١٦) الف في المجمعات القسرية وفي الجنوب والصحراء الغربية، اضافة إلى مصادرة الممتلكات والحيوانات وحرق المزارع وهدم الدور والمؤسسات. وفي نيسان ايضاً ضربت قرية شيخ وسان بالسلاح الكيمياوي. وقد بات مما لا يقبل النقاش أن السلطة اخذت تستخدم السلاح المحرم دولياً وبدأت في منطقة سوران.

كانت اوضاع انصارنا في قاطعي السليمانية وكركوك معقدة وصعبة للغاية، فلم يبق موقع أو قرية لم ينلها السلاح الخبيث، لكن اوضاع انصارنا في قاطع اربيل كانت افضل نسبياً. اذ انهم احتاطوا لما يحدث فالغوا المواقع الثابتة للقواطع والوحدات وسربوا عوائل الانصار المتواجدة في المناطق المحررة إلى جهات مختلفة وتوزعوا في مفارز صغيرة متحركة أكثر فاعلية واسهل حركة، وكانت قيادتهم ميدانية أكثر مما هي ثابتة.

كنا ننتظر ببالغ الصبر اجتماع ل. م ونتائجه. وقد عقدنا امالاً عليه لحسم جملة قضايا، وفي مقدمتها المقترحات التي تصل إلى الاجماع تقريباً بانهاء التشتت، أي ايجاد شكل آخر من التنظيم الانصاري والتنظيم المحلي، وتخفيف المقرات من اثقالها وجعلها متحركة وميدانية، ومتابعة تنفيذ قرارات المؤتمر الوطني الرابع، واجراء مراجعة جيدة لسياستنا ومواقفنا من مختلف القضايا الهامة. ثم جاءت نتائج الاجتماع المنعقد في أيار ـ حزيران والتي في ضوئها تم دمج تنظيم قوات الانصار مع التنظيم المحلي (ت. م) وبدأنا الترتيبات اللازمة لتنفيذ تلك القرارات بشكل حيوي.

قاطع بهدينان من الداخل

وهنا لابد لنا من نظرة ولو سريعة جداً على اوضاعنا في مقر قاطع بهدينان. ففي السنوات الاخيرة لم ينمُ القاطع عددياً اذ كانت الالتحاقات قليلة جداً. فرغم البطولات

الكبيرة التي خاضها انصارنا في المعارك منفردين أو بالتعاون والتنسيق مع القوات الحليفة، وكثرة الغنائم التي تم الحصول عليها من سلاح ومعدات وابرزها مدرعتان وسلاح ثقيل، فان أكثر من ٩٠٪ من الذين التحقوا مؤخراً هم من العناصر التي ترسلها السلطة للاندساس. وقد تم اعتقالهم... كما اصبح التنظيم الحزبي روتينياً وغير فاعل والتنسيق بين قوات الانصار وبين التنظيم المحلي ضعيفاً، علماً ان المنطقة اصبحت في الغالب بلا ناس. فقد تقلص عدد القرى إلى حد مريع بسبب الهدم والحرق والتهجير والقصف المدفعي والجوي. فالسرية السابعة مثلاً التابعة لقوات انصار الفوج الثالث/ بهدينان عانت من التمزق بعد استشهاد آمرها العسكري - سليم مانكيش - علماً انه لم يبق في منطقة عملها (زاخو) سوى بضع قرى صغيرة ارهقت كثيراً من استضافة المقاتلين.

* * *

في حزيران اعلن عن تشكيل الجبهة الكردستانية (جك)،ورغم انها جاءت متأخرة، فقد اعطت زخماً كبيراً للحركة التحررية الكردية والعراقية بشكل عام. فمن خلال معايشاتنا رأينا ان الصراعات بين اطراف القوى الوطنية تنعكس سلباً على معنويات الجماهير التي تتبعّ العمل الوطني باهتمام بالغ. فعلى سبيل المثال لمس رفاقنا من الفلاحين في قرى زاخو مدى ارتياحهم للمصالحة التي تمت بين حزبنا وبين الاتحاد الوطني الكردستاني، بعد الصراعات الدامية في أيار ١٩٨٣.

وما ان انبثقت الجبهة الكردستانية، وأعلن ميثاقها ونظامها الداخلي حتى استبشرت الجماهير الكردية خيراً وطلبت المزيد من التعاون.ففي بيوت الفلاحين، وفي الجوامع، وأماكن التجمع الأخرى يمطروننا باسئلتهم حول كيفية العمل المشترك ويكشفون صراحة عن رغبتهم بتوحيد القوى وتوحيد البندقية والموقف السياسي قولاً وفعلاً.

في تلك الفترة ايضاً كان يرد على السنة بعض رؤساء قوات المرتزقة ان السلطة بعد تفرغها من الحرب مع ايران ستطهر المنطقة من البيشمركه،وستنعم المنطقة بالاستقرار والامن!!

في ٨ آب أعلنت ايران موافقتها رسمياً على قرار مجلس الامن ٥٩٨ وحدد يوم ٨/٢٠ موعداً لوقف اطلاق النار... كانت حالة التوتر وترقب ما سيحدث هي السائدة، فكثرت الآراء والتصورات والتحليلات، ومنها ان السلطة ستكون متشددة أكثر وستسحب الجيش إلى كردستان لقمع المعارضة الوطنية والتخلص منها نهائياً، وستستعمل السلاح الكيمياوي بشكل أوسع، لكن يوجد من يعترض على هذا الرأي ويقول: انها بالفعل ستقوم بذلك، ولكن بشكل محدود لن يطول الوقت، بل يحسم الموضوع صمود المعارضة، ولسنا وحدنا في الساحة، ستتولد نقمة شعبية، واحتجاجات دولية ايضاً، علينا ان نتحسب

ونتكيف للامر، نتحول إلى مفارز صغيرة (بارتزانية) سريعة الحركة، نلغي المقرات، نتخلص من الاثقال والمتعبين، رغم ان كل الطرق مسدودة بوجهنا. ويقاطعه رأي آخر: ان السلطة ستتخذ موقفاً أهدأ نسبياً لامتصاص النقمة وربما تعطي بعض التنازلات، لأن الجيش متعب ومثخن بالجراح في الجبهات وليس له مصلحة في قتال الشعب يضاف إلى ذلك حالة التمزق في صفوف المرتزقة وهذه عوامل مساعدة.

ومن جانب آخر، اخذت السلطة وعملاؤها ببث الدعايات النشيطة حول المفاوضات الامر الذي خدّر اليقظة نسبياً، ولكن السلطة أخذت بتعزيز حشودها في الموصل ودينارته وسرسنك وزاخو. . . وغيرها. اضافة إلى استمرارها في استعمال السلاح الكيمياوي ضد الجماهير الآمنة في القرى. . وكان لتبليغ قيادة (حدك) لجميع قواته بالكف عن القيام بعمليات عسكرية كبيرة والاقتصار على العماليات الصغيرة فقط، اثره السلبي على نفسية مقاتليه وعلى جماهير المنطقة ايضاً. فقد تصوروا بان القيام بعمليات عسكرية كبيرة كالسابق يعطي المبرر للسلطة باستخدام السلاح الكيمياوي. ومن ناحية اخرى جعل البعض يربط ذلك بشائعات المفاوضات والمصالحة مع الحكومة.

أما بالنسبة لنا فقد جرى تخفيف المقرات والتحسب لتطورات جديدة: ففي اواسط آب انتهت الترتيبات التنظيمية في بهدينان (نينوى- دهوك)، في مرانة، مقر الفوج الأول الذي صار مؤخراً مقر محلية نينوى. وابلغت العوائل في يوم ٨/١٥ بضرورة مغادرة المقر والتوزع على القرى، وكل العوائل المذكورة هي عوائل انصارنا وشهدائنا.

الاجواء مشحونة بالخوف والترقب واحتمال المفاجئات والحصار الاقتصادي الذي اصبح على أشده، حيث بلغ سعر كيس الرز (٥٠ كيلو غرام) ٥٠ دينار، وبلغ سعر كيس الطحين (٧٠ كيلو) ٥٢ دينار علماً ان سعر الرز الرسمي كان ٤,٥ دينار وسعر كيس الطحين ٢,٧٥٠ دينار. . .

كان الطيران الحربي يجوب المنطقة يومياً بنشاط ويلقي قنابله السامة على القرى الآمنة. ففي يوم ٨/١٥ ضربت قريتا سواري وسبنداري، وفي ٨/١٧ ضربت قرية صوصيا وموقع (حدك) في وادي صوصيا، وفي ٨/١٩ ضربت قرية جم جاله، وأدى ذلك إلى تدمير شامل وخسائر بالارواح والممتلكات.

تقاطرت إلى (كافيه) مفارز من قاطع سليمانية - كركوك واربيل، لمختلف الاغراض: الخروج للعلاج، الدراسة الاكاديمية والحزبية، الانسحاب إلى الخطوط الخلفية. . . حتى قارب العدد ٤٠٠ نصير بضمنهم طاقم المقر ولجنة عقرة حديثة التكوين. وصارت المعاناة الرئيسية هي الحصول على المؤن التي أخذ مخزونها ينفد بسرعة.

كنا نتابع الاحداث بشكل جيد عن طريق جهاز اللاسلكي، ففي يوم ٨/٢٢ وردتنا برقية من قيادة نينوى تلزمنا بضرورة تخفيف المقر واخفاء اللوازم والمعدات بشكل جيد. . . مقر كافيه ليس حصيناً بشكل حسن اذ انه هدف لمدفعية شيلادزه وديرلوك ودينارته اضافة إلى الطيران الحربي، ومن الممكن الزحف عليه من أكثر من محور.

وفي يوم ٨/٢٣ ساهمنا في تشكيل مفارز مشتركة مع قوات (حدك، حشدك) للكمائن والاستطلاع. كما عززت المراقبة والحراسة. وبالنسبة لنا فقد اصبح التفكير في كيفية توزيع القوة المتواجدة في (كافيه) أمراً ملّحاً لأن أية ضربة قد توجه للمقر ستوقع حتماً خسائر فادحة في الارواح. . .

ظلت معنويات فلاحي المنطقة عالية فهم مصممون على خوض القتال إلى جانب قوات المعارضة الوطنية. وبذلك تمت الاستعدادات، فافرغت القرى من المؤن والاثاث الضروري ووزعت في الكهوف وبين الصخور وفي الغابات، تحسباً للطوارىء. فقد اصبح الهجوم السلطوي مرتقباً في كل لحظة، ولكن الاشاعات حول المفاوضات هي الاخرى باقية وقد ساعدت الاذاعات الغربية على الترويج لها.

وفي الساعة التاسعة والنصف من مساء ٨/٢٥ امتلأت السماء بازيز الطائرات العمودية، و مرّ سرب مكوّن من تسع طائرات فوق المقر باتجاه الموصل وكانت مصابيح السرب تضيء السماء وهي تطير على ارتفاع منخفض بلا مبالاة. . . وقد أكدت الانباء أن تلك الطائرات القت المواد الكيمياوية على قرى (به ري كاره) مما أضرّ بمعنويات الفلاحين. تلقينا انباءً عن احداث يوم ٨/٢٥، فقد القى الطيران الحربي قنابله الكيمياوية والتدميرية على قرى (يك ماله) في برواري بالا وقرية شيلازه، كما ضرب مقر قاطع بهدنان ومقر الفرع الاول لـ (حدك) في زيوه بالمدفعية والقذائف الكيمياوية (غاز الاعصاب). فاستشهد ثلاثة من رفاقنا هم، الدكتور ابو سعد (دكتور في الزراعة) وابو وسن وابو جواد. وجرح رفاق آخرون. . .

تدنت المعنويات لدى جماهير المنطقة وجاءت برقيات قيادة (حدك) ورئيس الحزب بالاخص مسعود البرزاني، توجه الاهالي إلى الحدود التركية والايرانية وتطلب من الحكومة التركية السماح للعوائل بالدخول إلى حدودها. . . وفي تلك الايام ايضاً بلغت المعارك الطاحنة ذروتها بين قوى المعارضة والسلطة الفاشية في مناطق (خواكرك) و(كلي بالندة) ومناطق أخرى. وما دام الرأي قد استقر على هجرة الجماهير للنجاة بحياتها من البطش والتقتيل، فما ضرورة وجودنا في منطقة وعمن ندافع؟!. انشغل سكان المنطقة بمغادرة اراضيهم وبساتينهم وبيوتهم والنجاة بارواحهم، تاركين كل شيء. وانشغل الرأي العام الغربي بمتابعة الاحداث «بلطف». وظلت اذاعة صوت كردستان تستغيث وتوجه الناس

بترك المنطقة، وانصب التفكير الجدى للناس على الهروب إلى تركيا.

لقد كانت أيام سوداء مفجعة حقاً، ومصيبة هائلة لم يرها شعبنا من قبل، شعب يتعرض للابادة ولا من مغيث.

وداعاً مقرنا العزيز

كان يوم ٢٦ /٨ كالايام الباقية بحرارة الجو الشديدة. لا شيء في الافق الصافي، قرص الشمس لم يرتفع بعد من وراء القمة الشامخة، اصوات الطيور الصغيرة تملأ الوادي. . السناجب تمرح بكامل نشاطها، تتناجى، تقفز بخفة ورشاقة من غصن إلى آخر غير مبالية بما سيحدث. فلها عالمها الخاص. . . وكالمعتاد بكرت المفارز القتالية لاخذ مواقعها في أهم المناطق الستراتيجية، أما الانصار الباقون فانتشروا على السفوح تحت أشجار البلوط الكبيرة ومعهم كتبهم وبعض لوازمهم. . وتخلف خفراء المطبخ لتهيئة طعام الغداء، وبنادقهم مدلاة على جذع الشجرة الكبيرة التي تظلل الموقد. . . الاصوات الكريهة بدت تتضح، واصوات التحذير ترتفع : طيران. . . طيران. . . رفاق، طيران.

امتلأ الجو بالصخب، وتوالت الانفجارات لكنها كانت بعيدة.

اتصلنا بلجنة عقرة لـ (حدك)، فعرفنا بان قائديها (شمال الزيباري، ورضا الزيباري) قد غادرا المنطقة ذلك اليوم، وتبعت مجموعة حزب كادحي كردستان. . . أما قوات حزب الشعب الديمقراطي الكردستاني فهي الأخرى تركت المنطقة وارسلت الينا مقاتلين اخبرانا بان جميع القوة قد غادرت المنطقة، ولنا نحن القرار في الانسحاب أو البقاء. . . أما الفلاحون القلقون فقد حسموا الموقف بالتوجه إلى الحدود التركية.

وردتنا برقية من مقرنا في نينوى بضرورة اخلاء المقر فوراً. وعلى ضوء ذلك تم تقسيم الرفاق المتواجدين في مقرنا إلى مجموعات، تتوجه المجموعة الاولى إلى مقر الفوج الثالث في (كلي هصبة) والثانية إلى مقر نينوى في (مرانه)، ويكون وقت الحركة الساعة الثانية بعد منتصف الليل. أما ممن بقوا في المقر، فقد اخليناه تماماً واخفينا الفائض من السلاح وادوات طبابة الاسنان والمؤن، كما قررنا ابقاء اربعة انصار نشطاء إلى اليوم الثاني لتصفية المتبقيات من افرشة ولوازم اخرى. توجه الباقون إلى القمة على طريق (يه ك ماله) للافلات من الطوق في حالة الحصار. . وفي الساعة الواحدة ليلاً حسم الموقف بصورة نهائية، فلقد وردتنا برقية، أخرى، تفيد بوجوب تحرك كل المجموعات باتجاه قاطع اربيل،

أي إلى جبل شيرين.

لم يبق لدينا سوى ساعة واحدة فقط للتحرك، ابلغنا كل الانصار والغينا كل القرارات السابقة. . . كان معظم الرفاق يعانون الارهاق، وبالاخص المفارز الاخيرة التي وصلتنا من السليمانية واربيل، اذ انها قطعت في مسيرها مئات الكيلو مترات بفترة قياسية عبر الطرق الجبلية المعقدة والجو القائض، ومما يضيف لنا اتعاباً أخرى هو وجود العوائل وبعض الجرحى والمعوقين.

سنودع مقرنا العزيز، المنطقة صارت فارغة من البشر تماماً: أرض بلا سكان، ستموت مزارع الرز الزاهية، وتذبل سيقان الخضار على مروزها وتجف الفواكه والثمار على غصون الشجر. . . تتيه قطعان الوز الابيض في سواقي (كافيه)، قطعان المعز والاغنام والحيوانات الاخرى والدواجن ستصبح طعماً للضواري، أرض بلا حياة. جدب بعد الخصوبة والعطاء. . لا عشاق يختلسون النظرات أو يتبادلون الاحاديث عند عيون الماء. وحتى السواقي ستغدو حزينة متعبة، لقد غادرت الزنود السمر واكف العطاء والخير القوية، ذهب راعيها وحاميها الذي يحس بعطشها ومتى سيكون. . . أي حزن سيحل بالمنطقة. . ؟! ستترك تلك الطبيعة الجميلة التي اعتدناها وعرفنا مداخلها واسرارها وعطاءها، وانسجمنا مع سكانها الطيبين، شاركونا زادهم ودفأهم. سلخنا عقداً من سني العمر بينهم، سقينا تربتهم بدمائنا وارخصنا لرواحنا دفاعاً عنهم. فهم شعبنا الطيب، وهم اهلنا وهدفنا الذي نقاتل من أجله. . . ماذا سيترك القرويون وماذا سيصطحبون؟؟ النجاة بالانفس فقط،وحتى تلك تضيق عليها فرص النجاة، البيوت بقيت بمحتوياتها من أثاث وافرشة ومؤن وحتى مهود الاطفال في مكانها، وتبعثرت لعب الصغار في زوايا الديار. أي حزن وأية مأساة هذه وأية كارثة حلت بالشعب؟!

وسط هذا الجو من الشعور الممزوج بالألم واللوعة، تحركت المفرزة الاولى في الساعة الثانية بعد منتصف ليلة ٢٦/٢٧/آب. كل نصير منها يحمل همومه ورغيفين من الخبز وقليلاً من الماء وعدته القتالية. إنتظمت بطابور متعرج بين الصخور والاشجار، ملوحة باكفها القوية: وداعاً مقرنا العزيز.

المسيرة صامتة حزينة كأنها تسير خلف جنازة عزيزة: أم تحمل طفلتها، معوق يحتضن عكازيه وهو على ظهر الحيوان الذي يئن تحت ثقل احماله. رفيقة متعبة لم تتعود السير الطويل. . . وفي منتصف الطريق إلى (بانه) تقاطعت مفرزتنا مع مفرزة أخرى شابة، منظمة تنظيما جيداً.البنادق تعكس ضوء القمر، الاجسام الانصارية تتمايل بطابور طويل يتعرج كقطار ليلي، ونسيمات كردستان المحملة بالرطوبة وبروائح الاعشاب البرية واشجار البلوط والحبة الخضراء تزكي الانوف وتزيد النشاط: وفي الحقيقة لا خيار غير التحمل في

المسير الطويل والمصير المجهول المرتقب. . . بدت الخيوط الحمراء من وراء القمم البعيدة، وبهت نور القمر. ثم مالت تلك الخيوط إلى البياض وشكلت ضوءاً فضياً لقرص الشمس الذي اضاء وجوه الرفاق، وبشرّ بيوم حار أكثر من المعتاد. . . وهكذا استقبلنا صباح يوم ٨/٢٧ في قرية (بانه) المهجرة. الساعة تشير إلى السابعة. . .

(بانه) القرية الجميلة، ملتقى الطرق، المزدانة بقطعان الماشية والحيوانات المتنوعة، بحقولها الواسعة وبساتينها الكبيرة، غدت بلا بشر، بلا أهل ولا عشاق، يعود بعض اهاليها ليلاً لتفقّد موجوداتها، ثم يتركونها نهاراً لاتقاء قذائف المدفعية وصواريخ الطيران الحربي. تناولنا فطورنا فيها وأخذ كل منا كمية من اللوز وبعض الفواكه، ثم اعلنت ساعة استئناف المسير:الساعة التاسعة. تعداد مفرزتنا (١٠٧) انصار مقسمين إلى سرايا، برايتي، خوشناوتي، بهدينان، هورمان. . .

لم يكن السير سهلاً لكثرة الصخور وشدة الانحدار أحياناً. وفي الساعة الحادية عشرة استراحة قصيرة جداً. ثم استأنفنا المسير. الماء أخذ بالنضوب وحرارة الجو تشتد. قطعت غصناً وناولته للرفيقة (ر) لمساعدتها على المشي. ساقها اليمنى تشنجت وظهرت الفقاقيع على قدميها، وبدا عليها الاعياء. لكن لا خيار غير المضي. هكذا واصلنا المسير والاعشاب اليابسة تطقطق تحت ارجلنا. وتقطعت المفرزة وصارت مسافات بعيدة تتخللها، وتخلف المتعبون والمرضى. . العطش امضّ بنا وشدة الحر وبلل العرق اجسامنا: صارت أخف الاشياء ثقيلة موجعة يصعب الاستمرار في حملها. . . انتهى الانحدار وبدأ الصعود ثانية وأخذ الوادي يضيق ويتعرج، والصخور تنفث حرارتها. لكن الطبيعة الكردستانية احتضنت ابناءها بحنان، فاطفأت عناقيد العنب البري بعضاً من العطش والجوع. . . ترنحت الرفيقة (ر) ورمت بنفسها تحت شجرة عملاقة فيأتها بظلالها الكثيفة، بدت الرفيقة وكأنها تحتضر. عيناها تتحركان ببطء في محجريهما، ابيضت شفتاها وتباطأ تنفسها: وقفت بجانبها برهة، سكبت في فمها جرعة صغيرة من الماء الذي احمله في (زمزميتي). انها رفيقتي وزوجة رفيقي وصديقي الموجود في موقع آخر. . . أثرت فيها النخوة والهمة، فنهضت بتثاقل وسارت معي ببطء، نصعد مستعينين بالاغصان وحافات الصخور. وفي الطريق الذي بدا لنا دون نهاية رأينا الرفيقة (گزال) تتمدد بظل صخرة كبيرة ويجانبها يقف زوجها ينظر اليها بحيرة وارتباك.وضعها الصحي سيء جداً. تمثلتُ بقول المتنبي «لا تشكو للناس هماً أنت حامله. . .».

عند الساعة الثالثة بعد الظهر ووقفنا على قمة الجبل. استقبلنا نصير بعلبة من الماء البارد تناولنا قليله وتركنا الباقي لمن هم خلفنا في حالة لا يحسدون عليها.

حط بنا الرحال في قرية (جالي) وجدناها قرية كبيرة مفتوحة، خالية من الانس،

حزينة تحتضن قطعان الحيوانات والطيور التي امض بها العطش فمات قسم كبير منها فوق الاحجار وفي زوايا الديار. . . أخذنا من مؤنها ما يكفي لعمل الخبز وذبحنا بعضاً من طيورها الداجنة على عجل. انتظرنا إلى الساعة الخامسة لبدء التحرك. بدأنا النزول ثم انحرفنا يساراً. كأن ساعتي الراحة لم تعوضا لنا شيئاً: علينا ان نسرع باتجاه الزاب الكبير لئلا نضل الطريق. المفروض ان نصل المعبر قبل حلول الظلام، لكن المفروض شيء والقدرة الفعلية على السير شيء آخر.

بعد مغادرة القرية المذكورة بربع ساعة بدأ القصف الكثيف على القرية.ان قوات السلطة تحاول اللحاق بنا لأبادتنا، لكننا مضينا خارج طوق الحصار. وهذا ما أردنا وفعلنا. وقبل الانحدار إلى بطن النهر وجدنا قائد المفرزة ـ مام خضر ـ بانتظارنا وهو يحتضن سلاحه القناص، جالساً على صخرة كبيرة بجانب بئر الماء. . . استرحنا قليلاً ثم واصلنا السير وقد احتوانا الظلام تماماً، وبدت الاشجار والصخور اشباحاً سوداء. وامتد بنا عناء المسير حتى الساعة الثانية عشر ليلاً. فوصلنا المعبر، دورنا في العبور بواسطة (الكلك). عبرنا الزاب الواسع إلى ضفة جبل شيرين، أخذنا استراحة لمدة نصف ساعة إلى حين اكتمال العبور لكل المفرزة، وابلغنا بقرار التحرك السريع باتجاه قرية (بازه) على سفح جبل شيرين، وهي لا تبعد عن المعبر سوى ساعة ونصف فوصلناها في الرابعة من فجر يوم ٨/٢٨.

تتميز قرية بازه الجميلة بغزارة وعذوبة مائها، تتوزع بيوتها الكبيرة بين الاشجار الوارفة وبساتين الفواكه. وتمتد الحقول الخضر تحت اقدامها لكننا لسنا بوضع ومزاج للتمتع بجمالها، استلقينا على ترابها نغط في نوم عميق حتى ايقظنا دوي المدافع قربنا في الساعة الخامسة والنصف. العدو يتقدم بقواته وآلياتها تحث السير للحاق بنا. فبدأنا صعود الجبل وفي الثامنة وصلنا نبعاً كبير من الماء كان المقرر ان نتحرك في الثانية بعد الظهر لولا القصف وتقدم القوات المعادية، لكننا لم نزل خارج الطوق.

في الساعة الخامسة من صباح نفس اليوم تقدمت قوات السلطة بمحاذاة الزاب وشرعت آلياتها بقصف المنطقة وحطمت المعبر، فتراجعت العوائل في الجانب الآخر من الزاب إلى قرية (باون) واختفت في شعاب الجبل. أما العوائل التي تمكنت من العبور إلى جبل شيرين وعددها لا يربو على خمس وقعت في الاسر. واستمرت القوات الحكومية بحرق القرى التي وصلتها وقصفت بشكل مركز القرى الاخرى وسفح الجبل.

كان صعود جبل شيرين ليس بالأمر السهل اذ يستغرق صعوده ثلاث ساعات في الظروف الاعتيادية، لكن المصاعب تزداد يوماً بعد آخر نتيجة الارهاق الشديد وقلة الماء والزاد وحرارة الجو. انها مشاهد مؤلمة حقاً ان ترى امرأة تحمل طفلها على ظهرها تحت اشعة الشمس الحارقة، أو عجوزاً تتوكأ على غصن، أو جريحاً يصعد بعكازتين. ومع

اتعابنا وآلامنا وجروحنا وصلنا القمة في الساعة الثانية والنصف بعد الظهر.

علي وولده فقط!!

تحت شجرة بلوط كبيرة كنا نستريح ، ومعنا بعض العوائل من مختلف الاعمار والمناطق. احاديث متنوعة ، تعكس المآسي والالام. الدموع تسيل بصمت على الخدود الذابلة. وليس على مبعدة كبيرة منا شاب في الثلاثين من عمره يمسك طفلاً في عامه الرابع ، يسير باضطراب ، ترك الطفل واسرع ، ولكن الطفل أخذ بالصراخ ، رجع اليه وهمس باذنه . . . احتضنه وقبله فتعلق برقبته فطوقها بيديه الصغيرتين ، تمكن الشاب من الافلات من طفله وركض إلى حافة الجبل التي لا تبعد أكثر من نصف ميل واستدار يميناً وشمالاً ، ينظر إلى اعمدة الدخان المتصاعد من القرى التي تلتهمهاالنيران ، أما الطفل فقد تعالى صراخه علي . . . علي . . . بابا . . ويركض بعناد باتجاه والده الذي يبدو انه لم يكترث به . . . علي انسحب مع العوائل ، عائلته المكونة من خمسة اشخاص بدا وكأنه محسوداً لأنه تمكن من عبور الزاب في المعبر قبل غيره ، لكن المصادفة السيئة اقترنت بتقدم جحافل السلطة . لاذ علي مع ابنه الصغير بين الصخور أما زوجته وابنتاه فقد وقعن في الاسر . . انسحب علي يحتضن طفله بحنان باتجاهنا ، ثم بدأنا النزول سوية باتجاه قرية (داودكه) .

داودكه قرية كبيرة وجميلة جداً . محاطة بالقمم الجبلية ، تختفي ابنيتها بين اشجار الجوز الوارفة وبساتين الفاكهة والخضر ، أما جدول الماء الشديد الانحدار فيوّلد صخباً يملأ بطن الوادي . تضم بيوتها مؤن كثيرة وافرشة ولوازم أخرى وحتى اجهزة راديو وتسجيل ، كل شيء فيها ترك كما هو وغادرها اهلها . انها قرية كريمة مثل اهلها ، فاستظافت الوف المارة من النازحين إلى الحدود التركية خلال مصيبتهم المفجعة . اكلنا شيئاً من الرز المطبوخ وتناول كل منا قرصاً من الخبز وجاء أمر قيادة القوة بضرورة التحرك . فانقسمنا إلى مجموعات حسب التشكيلات المعهودة . سرية خوشناوتي ، سرية برايتي ، مفرزة كافيه . . . الخ . كل الطرق مسدودة ، نحن محاصرون ، لا يوجد طريق سالك . . . علينا ان نشق طريقنا بالقتال . لا سبيل آخر غير ذلك . . . خففنا اثقالنا واستأنفنا المسير بطابور طويل في السادسة مساءً ، تحفنا الاشجار الضخمة ونحاذي جداول المياه التي يصم الاذان صخبها . لم نكن وحدنا ، بل سبقنا ولحقنا الوف العزل من العوائل وبيشمركه من احزاب اخرى . . . استدرنا يميناً مع استدارة الجبل ، أضاء المنطقة والسفوح حريق هائل لف الاشجار والابنية : «كلي بالنده يحترق» كلي بالنده الذي استعصى ، قاوم ببطولة نادرة ، تلتهمه النيران الآن ،

وتتبـدد ظلمة الليل الداكنة نوراً للمقاتلين. . . عرفنا مكان العدو، فغيرنا خط سيرنا مما ضاعف علينا المسافة، كان المسير الليلي غير سريع، الاعصاب مشدودة ومتوفزة لمجابهة أي طارىء. وفي الثالثة بعد منتصف الليل حط بناءالرحال على ضفة نهر الشين (الازرق). انتشـرنا على رمال شاطئه وبين الصخور، لأخذ قسطٍ من الراحة حتى الصباح، النسيم هادىء. الشين يجري بهدوء،الظلام قاتم، لا صوت يسمع لا نقيق ضفدع ولا صوت طير، الرطوبة عالية جداً وعفونة الاغصان المتفسخة تزكم الانوف. حاولنا النوم كل على طريقته، الجـو بارد، استفقنا مع الفجر باجسام متخشبة، حاولنا النهوض مرات ومرات وتمنينا لو وجدنا بصيصاً من النار ندفيء فيه اجسامنا، أو، جرعة ماء حار نعبها في جوفنا لكننا كنا نتمنى المستحيل. . . انضمت وحداتنا وعاودنا السير بمحاذاة نهر الشين، وبدأ الصعود مرة أخرى. اجسام مرهقة، بلا طعام، الطوابير طويلة، والدرب واحد، اشعة الشمس أخذت تقسو علينا، وهكذا استمر السير حتى العاشرة صباحاً، إلى المعبر (التلفرك).

عند نقطة العبور الوحيدة على النهر الصاخب كان الازدحام على أشده: أكثر من ثلاثة الاف انسان، اضافة إلى احمال ومعدات الحيوانات. . . المعبر لا يتسع لأكثر من ثلاثة أو اربعة اشخاص، كان يعمل ليل نهار بلا توقف أو استراحة، لا يوجد نظام للعبور. تمكن القسم الاغلب من قواتنا من العبور وبقينا نحن حتى الساعة السادسة مساءً.

انكسرت حرارة الشمس واستطال ظل الصخور، الازدحام على أشده على جانبي المعبر، انتظرنا عبور الرفاق الباقين لنواصل الصعود إلى قرية سيريا التي تبعد عن بطن النهر مسافة ساعة واحدة. . .

احكمت القـوات المعادية علينا الطوق. لقد احتلت قرية سيريا والقمم المشرفة عليهـا والأمكنـة الستـراتيجية الأخـرى. . . ثلاث اطلاقات تنوير في الجو، كان انذاراً وتحديداً للاتجاه، ثم انهمر الرصاص علينا بغزارة، قذائف مدفعية صواريخ (آر بي جي)، اطلاقات اسلحة متوسطة، امتزجت حمرة الرصاص باصيل الغروب المحتضر، واصوات انفجارات القذائف بهدير (الشين) وعويل النساء وصراخ الصغار، فاختلط الحابل بالنابل كما يقال.

رفاق. . رفاق. . الشيوعيون إلى الامام. شق صوت الرفيق قائد القوة ذلك الصخب وغطى عليه، سرية برايتي، سرية خوشناوتي، إلى القمم. . وبسرعة فائقة التقط الانصار الشباب بنادقهم وهتفوا ثلاثاً: «بژي حزبي شيوعي» وانطلقوا كالسهام باتجاه العدو. بعد قتال قصير، ساهم فيه اربعة بيشمركه من حزب كادحي كردستان، تمكن انصارنا من تحرير قرية سيريا، ثم صعدوا بكماشة إلى القمة العالية التي تتمركز فيها قوة العدو. السطوة تكون للذي في المرتفع، رغم ذلك تمكن الانصار من اكتساح القوة المعادية التي انهزمت بدون

انتظام تاركة وراءها عدداً من القتلى والجرحى وكامل معداتها ولوازمها واغذيتها وما نهبته من القرى من حاجيات ثمينة اخرى. وعاد انصارنا بجهازي لاسلكي ولم يتمكنوا من سحب الغنائم الاخرى من سلاح وعتاد، اصيب اثنان من رفاقنا بجروح خفيفة.. بقايا المفرزة أخذت بالصعود.

كنت قلقاً على الرفيقة (ر) لعدم استطاعتها الصعود الحاد والطويل. اركبناها على ظهر الحيوان الوحيد المثقل باحماله، الموجود معنا، وسرت معها واثنان من الرفاق أحدهما غير مسلح. كانت النار كثيفة، ونحن لا نبالي بما يحدث فالظرف عصيب جداً، وعلى مشارف قرية سيريا توقفنا قليلاً لتدارس الموقف. لم نعرف الوجهة نحن الاربعة. بندقيتان فقط، الرصاص يمرق من فوق رؤوسنا ومن جوانبنا، اتخذنا قراراً سريعاً بضرورة النزول إلى حيث بدأنا، عسى ان نلتقي بالرفاق. وبالفعل التقينا بهم ثم بدأنا الصعود مرة أخرى.

الحقت الرفيقة (ر) بالعوائل، وبذلك تحررت للسير مع مفرزتنا السير باتجاه الشمال، فمررنا بقرية (سيدا) العليا ومن ثم قرية (سيدا) السفلى. وهما قريتان كبيرتان مهجرتان... كانت كل الطرق مسدودة تقريباً ولا يزال طوق الحصار مضروباً علينا من قبل قوات العدو الذي يتتبع باصرار آثارنا ويقصف كل قرية أو مكان نمرُّ فيه. لم يبق لنا سوى الاستدارة على سفح الجبل الحجري الاجرد المكون من الصخور البركانية المتكسرة، لا يمكن ان نسمي ذلك طريقاً لأنه لا يصلح حتى لمرور الحيوانات الجبلية. سلكناه مرغمين. وبجهد جهيد صعدنا إلى القمة ثم أخذنا بالنزول إلى الجانب الآخر.

كان القمر رائعاً والسماء صافية، السكون يلف كل شيء، سوى وقع اقدام المفرزة المتعبة التي امض بها العطش والجوع. قاربت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل عندما بلغنا بطن الوادي. التقينا أحد الفلاحين، ويبدو أنه مخبول أو يتظاهر بذلك. سألناه عن عين ماء فقادنا إلى الغرب باتجاه قرية (جمجو) قال ان عين الماء تبعد حوالي الساعة. كنا نجهل ان عين الماء كانت على مقربة منا، امض بنا العطش والارهاق وبالاخص النساء اللائي كن حوامل ومرضعات ويمشين بمساعدة ازواجهن.

عدنا من حيث اتينا خائبين، جلسنا لمناقشة الموقف، كان آمر المفرزة الملازم (ر) متردداً في اتخاذ القرار الحاسم.في الوادي، حيث نحن، طريق صالح لسير الآليات، وطريق مماثل على قمة الجبل المطل، وفي الجانب المقابل ما يماثله ويحتوي على نقطة رصد حكومية. نحن بين أمرين، أما البقاء بدون ماء ولا غذاء، واسلحتنا لا تصلح للمقاومة، وأما التحمل والصعود إلى القمة. لاحت في السماء الصافية خيوط الشمس

الحمراء تنبيء بميلاد يوم جديد. من شدة عطشي سحبت (زمـزمية) الماء من حزامي، عسى ان أجـد فيهـا ما يبل شفتي، افرغت القطرات في غطائها الصغير، كان الغـطاء بيدي، وبصورة لا ارادية تقدمت نحوي احدى الرفيقات، وهي شابة حامل من حزب صديق، وقد ثبتت عينيها على الغطاء، وبشكل عفوي، قدمت لها الوعاء الصغير

وبعد ربع ساعة تحركنا نحو القمة واختفينا بين الصخور والاشجار وارسلنا استطلاعاً إلى قرية (جي) في منـطقـة نيروه. كل شيء هادىء. كان ينبغي التحـرك لكن الـرفيق آمر المفرزة لم يصمد على قرارنا، عندما علم برجوع مفرزتنا التي خاضت القتال في سيريا ومشارفها. لقد عادت المفرزة جذلانة ومعها الغنائم التي كنا بامس الحاجة اليها، وعلى الفـور شغّـل رفاقنا المختصون أحد اجهزة اللاسلكي. غادرنا القمة بعد ان رأينا باعيننا القـوات المعـادية تتبعنـا فتسللنـا نزولاً إلى قرية جي.

ماذا، جري على معبر الشين؟

. الاف العوائل على جانبي النهر، القسم الأكبر تمكن من العبور ولم يفلح القسم الآخر عندما باغتت قوات السلطة بالهجوم.

هامت العوائل في شعاب الجبال اتقاء القذائف والرصاص، وتركت الاحمال ومعدات البغال على الضفاف. اختلط صراخ الاستغاثة ولعلعة الرصاص وهدير نهر الشين لحناً يصم الآذان ويمزق القلب. تريد السلطة ان تنتصر على العجائز والاطفال والمسنين العزل...

«اذا المنية انشبت اظفارها ـ الفيت كل تميمةٍ لا تنفعُ».

وقعت تلك العوائل في الطوق المحكم ونزلت وحوش السلطة الغاشمة لتنتقم منها، تقتيلاً، أو رمياً في النهر، دون تمييز، الكل في الاسر... واستسلم المسؤول عنها «رضا الزيباري». ولم تكفِ مأساة حلبجة ولا شيخ وسان أو كلي بازي... ولا... ولا... لتأتي مأساة النهر الازرق (الشين).

- والآن ندعـوكم لمـواصلة المسير معنـا، أو قل، مواصلة المأساة والالـم الممض استظافتنا بساتين القرية الزاهية (جي) بانواع الفاكهة والخضر والماء الغزير تناولنا بنهم وشراهة لا تصدق الطماطة بالملح، وروينا عطشنا من عيونها الصافية،وجلب بعض الرفاق القدور والرز والسمنة والطحين والسكر والشاي لعمل وجبة غذاء... الخامسة مساءً هو موعد التحرك.

وفي الساعة الرابعة ارسلنا كميناً إلى القمة المشرفة على طريق انسحابنا، تحركنا في الوقت المقرر، لكن القصف المدفعي لن ينتهِ. وجاءت كلمة السر والاشارة تنبيء بان الطريق سالك، وفي السادسة وعندما هـمّ كميننا بالانسحاب برزت من القمة المقابلة له قوات السلطة ومرتزقتها، سمعنا ثلاث اطلاقات اولاً وتبعها انهمار الرصاص علينا من مختلف الاسلحة، وبسرعة فائقة توزع بعض انصارنا النشطاء لأخذ مواقع قتالية. تبعثرت مفـرزتنا وانتشرت. الانبطاح على الارض لا ينفع، لا توجد سواتر أو مواضع، لا مجال للتراجع فنحن في كماشة تقريباً. حثثنا الرفاق على مواصلة السير، ومعظم الرصاص يتناثر بين الاجسام، والقذائف تنفجر على مقربة منا . . .

- استسلموا، عصاة، استسلموا

- جحوش، خونة، خونة، خونة

وتضيع الاصوات مع ازيز الرصاص ودوي الانفجارات، وبالرغم من كثافة النار لم تحدث أية اصابة وهذا محض صدفة. ومن غريب الصدف أن بالاضافة إلى قوات العدو كان كميناً لقوات (حدك) يطلق النار ايضاً، فاصبح من المتعذر فرز العدو عن الصديق، لكن الأمر لم يستمر طويلاً، اذ توحدت بنادقنا لمقاتلة العدو المشترك، وتابعت المفرزة سيرها. . . مشهد لا يمكن نسيانه: عجوز طاعنة في السن تتوكأ على عكازة، شيخ بائس يلتقط انفاسه وآخر يصلح من قامته، أم تحمل طفلتها في مهد خشبي على ظهرها، اب يحمـل طفله، وصغير يمسك بكف اخته. . رجال اشداء مسلحون، الكل تحت رحمة الرصاص والقذائف والصواريخ.

أثناء تلك المعركة التقط جهازنا مكالمة واوامر قيادة قوات السلطة:

- قصّر مدى المدفع، القذائف قرب الهدف.

+ لا يمكن ذلك. سيدي، هذا آخر مدى للهاون.

- اذاً استمر، نحن نعالج الأمر بالاسلحة الأخرى. . انتهى.

- ابيدوا المتمردين، لا تتركوا أحداً حياً.

+ سيدي، سامسك لك الشيوعيين واقودهم اليك من شواربهم.

- استمر بقوة.

ولم تتمكن قوات العدو من قلع شعرة واحدة من شوارب الشيوعيين. وعندما لف الظلام الجبل والشجر والوديان تمكنت المفرزة والاهالي جميعاً من النجاة. وفي الساعة الثانية بعد منتصف الليل وصلنا إلى قرية أخرى تقبع في وادٍ ضيق تكثر فيه اشجار الجوز والاسبندار (السرو) والجنار (الدلب) امضينا ما تبقى من ساعات الليل الموحشة في ذلك الوادي، اجساماً متسخة متعبة، وملابساً كالجلود المجففة تحت الشمس. . . وفي صباح

يوم ٨/٣١ التقينا ببعض الرفاق القادمين من كلي ساطور- قاطع بهدينان ومن الفصيل المستقل. توحدنا وسرنا سوية إلى لجنة كولان التابعة لـ (حدك)، على الحدود

والآن لنكمل المسيرة. . . ففي لجنة كولان عقد اجتماع لكل الانصار. المرضى والعوائل وغير القادرين على تحمل الظروف الجديدة يتسللون مع عشرات الالوف إلى الحدود التركية. أما الباقون فيستمرون في طريقهم نحو «خواكرك» كانت تلك لحظات حاسمة. وقرار الحزب لا لبس فيه، ولا يوجد مجال للنقاش. المتوجهون إلى تركيا نزعوا معداتهم القتالية العزيزة. واختلط الحزن والألم بالدموع وبالنشيج وكتم الانفاس. . . لقد ودعنا قواعدنا العزيزة، ودعنا كردستان تحتضن جروحها على أمل الرجوع. . .

لا ماء اعذب من ماء وطننا، ولا هواء انقى من هوائه ولا زاد اطيب من زاده، ولا أهل احب من اهلنا. . . دفنا ما حملنا من الاشياء العزيزة (وثائق وكتابات، واشرطة ذكريات، وصور) في أرض الوطن، حالمين بان ارضنا الطيبة سترحم ما اودعنا في ثنايا ترابها. وبقلوب دامية، دخلنا الاراضي التركية في الساعة الثانية عشرة والنصف من ظهر يوم ٨٨/٨/٣١، في نقطة «ارتوش». واجهنا الجندرمة الذين كنا نقاتلهم بالامس. . لكن ارتوش كانت تعج بالوف العوائل. النوم في العراء. . نذكر بامتنان كبير غوث الشعب الكردي في تركيا وبعض الاتراك وبعض الاحزاب لأرسال الاطعمة يومياً حتى ٩/١٤. ثم نقلنا بسيارات مكشوفة إلى مجمع «كفري» وهي منطقة جرداء كلياً، محاطة بالقمم الجبلية والحراسات المشددة والمخابرات التركية «ميت» تتابع الجميع وتركز علينا بشكل خاص. . . كان البرد في الليل لا يطاق، لا توجد اغطية ولا حطب، والماء قليل، وفي كل صباح كنا نودع طفلاً أو شيخاً أو عجوزاً إلى القبور. . .

فوزية

جبل شيرين، شاهد على أكثر من مأساة، صور كثيرة ومشاهد شتى.

● أم شابة تحتضن بعض حاجياتها، وعلى ظهرها مهد خشبي فيه طفلها الصغير وقد شدته بعناية فائقة، كانت تسير متحملة مصاعب الصعود وهجير آب والجوع. لا قطرة ماء تبلّ شفتيها ولا كسرة خبز تسد رمقها، لكنها تسير باصرار. بلغ بها الاعياء أشده فتوقفت تحت ظل شجرة بلوط على حافة الطريق الحجري. حلت الحزام بعناية ووضعت المهد على الارض. تحسست ثدييها عساها تجد فيهما قطرة لبن لطفلها. ازاحت قطعة القماش الخضراء التي لفت بها المهد والطفل، فكتّ الأربطة. . . وجه الطفل يميل للزرقة شفتاه

مفتوحتان وعيناه جامدتان في محجريهما مثبتتان في المجهول. . . افزعها منظر الطفل، ربتت على خده، لكن جسمه تيبس كغصنٍ قطع منذ سنة. ندّت منها صرخة عجلى مفزعة امتزجت مع انفجار القذائف من حولها. لقد مات وليدها، مات في مهده على ظهرها. اودعته بين صخرتين بلا آه ولا دموع . . .

● فتاة اصابها الاعياء من المسير الطويل، وتورمت قدماها الغضتان وامتزج الخوف بالجوع والعطش فسقطت كجثة هامدة خلف صخرة كبيرة، لا تعي ما يدور حولها. تبعثر اهلها بين القذائف والرصاص طالبين النجاة لانفسهم. . . دنا منها (بوتان) النصير الشاب، حسب انها ميتة لكن نبضها وشى بحياتها. حملها على كتفه، كانت فتاة شقراء مكتنزة جاوزت العاشرة من عمرها، ممزقة الثياب متسخة الوجه والشعر. . . فوزية بنت تاج الدين من العمادية. حمل رفاق بوتان بندقيته وعدته القتالية ليتفرغ لانقاذها. . . دفنت كفها الصغير في يده وسارت معه في شعاب الجبل الخالد، جبل شيرين. حسبته اخاها الكبير، يزقها كسرة الخبز قبل نفسه ويحرم نفسه جرعة الماء من أجلها، تنام على ساقه كحمامة اليفة. . . انتهى شيرين، وحملها على ظهره في قتال (الشين) صعوداً إلى قرية سيريا وداودكه و. . . دخلا الاراضي التركية وامضيا فيها ثمانية عشر يوماً، ومن ثم رافقته إلى زيوه في ايران. . .

كانت خيم اللاجئين في قرية زيوه الايرانية تنتشر في حقل حصد محصول الشعير منه للتو. وكالمعتاد سارت معه بين الخيم بوداعة فمرّا على خيمة اهلها فاذا بها مصادفة، ووجهاً لوجه مع ابيها المكدود. .. فوزية هكذا نطق الأب، خرجت امها من الخيمة مذهولة، غير مصدقة ان فوزية امامها. . . الصقت الطفلة جسمها بالنصير بوتان وتسمرت عيناها على والديها. . .

ـ أنا النصير الشيوعي بوتان من قاطع اربيل، اسلمكم الامانة. .

نيسان/ ١٩٩٠

ثيوان*

يوسف ابو الفوز

الفصل الاول

● حدثني الرفيق بسام :

حتى وصولنا تركيا كنا قد شهدنا عشرات القصص المحزنة. وفي تركيا سمعنا عشرات غيرها. وعن عائلة الطفلة ثيوان سمعنا القصة أكثر من مرة. وسمعتها من والدها حين التقيته هناك:

لما ضاق الحصار على الناس توجهوا لعبور نهر الزاب باتجاه تركيا. وعند الزاب كانت مئات العوائل تنتظر فرصتها للعبور. قرب أحد الينابيع كانت عشرات العوائل تزدحم، ومعها تقف عائلة ثيوان بانتظار الفرصة لشرب الماء. كانت اخت ثيوان الاصغر تقف هادئة تنتظر فرصتها دون مزاحمة الآخرين، رغم عطشها. ثم جاء دورها. وتقدمت للشرب. . . ما ان انحنت على النبع حتى سقطت قنبلة مدفع. . . وسط النبع تماماً! تطايرت اشلاء الطفلة وسقط بعضها على أبيها والناس القريبين الذين تراكضوا في مختلف الاتجاهات. ابوها اصيب بالوجوم، بقى ذاهلاً من فرط الصدمة لا يفقه حقيقة الذي حصل. ولما أفاق

* من مخطوط «ولدي اسئلة كثيرة».

من ذهوله بعد ثلاث ساعات، انتابته هستيريا حادة وأخذ يلطم ويطلب اطفاله . . .
حينها عرفوا ان ئيوان ايضاً ليس لها أثر!

الفصل الثاني:

● حدثني الرفيق أبو آمال:
مع انتشار قوات السلطة على اغلب الطرق والمسالك، صارت الظروف النفسية والعسكرية اشد تعقيداً وصعوبة. وفي يوم ٢٩/٨/١٩٨٨ كنا مفرزة شيوعية من ٢٩ نصيراً قرب الزاب نحاول العبور باتجاه الحدود التركية حسب توجيهات القيادة.
بعد استطلاع منطقة العبور عدنا إلى مكان اختفاء المفرزة على مقربة من قرية (شينا). وعند مقبرتها عثرنا على طفلة صغيرة لوحدها. كانت جائعة وعطشى. أعطيناها كسرة خبز وماءاً وقليلاً من اللحم المجفف على الطريقة الانصارية. ثم وضعناها على طريق بئر للماء، اذ نعرف ان هناك بعض العوائل. وطلبنا منها التوجه إلى هناك.
● الرفيق وصفي:
في ظهر اليوم التالي غادرنا المقبرة، فسمعنا طفلة تغني. تصورا غناء وسط اجواء «الكيمياوي» والراجمات والتوتر، وفي تلك المنطقة الخالية. اكتشفنا انها الطفلة التي عثرنا عليها أمس، اذ لم تبتعد كثيراً. وكان موقفاً حرجاً: لا يمكن تركها. وضيق الوقت لا يسمح بايصالها إلى العوائل التي اصبحت بعيدة، والطريق أمامنا وعرة ومليئة بشتى المخاطر.
● الرفيق ابو بشار:
ساعتها اندلعت نقاشات حادة وآراء متضاربة بدوافع مختلفة، وفي النهاية قررنا استصحابها، وبهذا لم نفعل إلا ما ينسجم مع مبادئنا. وتطوع الرفيق وصفي للتكفل بها في أثناء الطريق.
● الرفيق وصفي:
اسمها ئيوان وأبوها سيد نظيف، من بلدة زاخو. عمرها ست سنوات. في الصف الاول الابتدائي. كانت ترتدي فستاناً كردياً أحمر فوقه (٠١ ب) ابيض،نحيلة. قصيرة الشعر.
● الرفيق ابو آمال:
مساء الثلاثين من آب توجهنا إلى الزاب للعبور. حتى الساعة الثالثة فجراً لم يستطع العبور من المفرزة سوى تسعة انصار، فعاد الآخرون إلى مكان الاختفاء بعد ان اتفقنا مع الرفاق الذين سبقونا على مكان لقاء في اليوم التالي.
● الرفيق وصفي:

طيلة نهـار الحادي والثلاثين كنا مختبئين بين الصخور وثيوان معنا. بدأت تأنس الرفاق، وتثرثر. كانت لا تدعنا نتام، فاحاديثها لا تنتهي. وهي طفلة ذكية. فهمنا منها ان عائلتهـا مكـونة من أب وأم وأخ واختها. ابوها «بيشمه ركه» العائلة هربت من زاخو قبل الاحداث إلى منطقة العمادية. ومع هجوم السلطة على المنطقة هربت إلى (كافيه) ثم جاءت لعبور الزاب. قبل العبور قتلت اختها عند النبع فهربت من الخوف ولم تعثر على اهلها.

حين تتذكر اهلها تبكي بحرقة. وكثيراً ما حدثتنا عن تفاصيل حياة عائلتها، وعن مدرستها التي تحبها، وعن زملائها في الصف. وكان الرفيق ابو بشار، رغم مرضه، يتحمل ثرثرتها بشكل نحسده عليه.

● الرفيق ابو بشار:

أكرر بان ثيوان رغم سنها كانت ذكية، عرفت اننا شيوعيون واصبحنا نعني لها شيئاً. فهمتنا واحبتنا على طريقتها وأخذت تتصرف معنا بشكل يتجاوز عفوية وبراءة الاطفال. كانت مؤدبـة جداً ولكنهـا ثرثـارة، وتغني كثيراً. قالت لي أنها تغني حين تشعر بالخوف والوحدة. كانت شيئاً غريباً في اجواء واحوال المفرزة. أحياناً كنت لا اصدق انها معنا، أشعـر كأن الأمر كان حلماً. كنت رغم الملاريا اتحمل ثرثرتها. . اتذكر، كنا في مكان للاستراحة، وكل المفرزة غارقة في النوم ما عدا الحراس. كل واحد تحت صخرة أو ظل شجرة، ومواضع النوم مموهة بشكل جيد. ظلت ثيوان مستيقظة. كنت اراقبها من مكاني دون ان تراني. دارت فلم تجد احداً. أحست بالوحشة، تلفتت هنا وهناك ثم بدأت تغني. لم يظهر لها أحد. تهدج صوتها. كادت تجهش بالبكاء عندئذ ناديتها فانكشف لها مكاني، فأسرعت إليّ كالطلقة ضاحكة لترمي بنفسها عليّ.

● الرفيق ابو آمال:

المـوقف العسكـري يتعقـد. العدو يضيّق دائرة الحصار. مساء اليوم ذاته ارسلنا مجموعة استطلاع لاختيار نقطة لعبور الزاب. كان الموضع خطراً، لكن بقدر سلبياته كانت له ايجابيات. اذ لا يبعد أكثر من مئة متر عن أقرب ربيئة للعدو، ولذلك لا يتوقع اقتراب الانصار إلى هذا الحد. والمكان فيه امواج عالية تحَدث هريراً يغطي حركتنا والاصوات التي قد تصدر دون ارادتنا. اسوأ ما في المكان الضفة الثانية. صخور حادة عالية يضربها تيار الماء الجارف فتخلق امواجاً عالية.

من تراكتور متروك كنا قد حصلنا على اطارين مطاطيين نفحناهما بافواهنا للاستعانة بهما على العبور. فمن بين عشرين نصيراً لم يكن يعرف السباحة سوى تسعة. ولكننا قررنا العبور رغم المشقة والخطر. كان السبّاح يصارع التيار الشديد بيد واحدة ساحباً بالأخرى

الطوق المطاطي المثقل بالذخائر والسلاح والتموين أو يتعلق به الرفاق الذين لا يجيدون السباحة. عملية منهكة. فقدنا خلالها بعض ملابسنا، ومالية المفرزة، وبعض وثائق واوراق الانصار.

أخيراً. تبقى لنا نصيران وثيوان. عدت اليهم لاصطحاب ثيوان أولاً.

كانت ترتعش من الخوف. أوصيتها ان لا تصدر أي صوت مهما حصل، وطمأنتها اني سأنقلها إلى الضفة الاخرى حتماً. ربطتها باحكام فوق ملابسي واشيائي الخاصة على الطوق المطاطي وبدأت السباحة. بيد واحدة! كنت قد عبرت النهر ذهاباً واياباً عدة مرات. كان التيار شديداً. فالمجرى منحدر والمياه عميقة. حين اصبحت أقرب إلى الضفة الثانية استبدّ بيّ الارهاق. وصلت قرب احدى الصخور فداهمتني موجة عالية رفعتني أنا وثيوان معها، وأخذ التيار يجرفني بلا رحمة. امسكت بالطوق بكل ما املك من قوة. لكنه انقلب رأساً على عقب بثيوان والملابس والاشياء الأخرى. لم أتخل عن الطوق. انتبهت إلى ملابسي تفلت من رباطها وتطفو فوق الماء. لحظتها لو حاولت التقاطها افلت الطوق وهلكت ثيوان. كان التيار يدفعني رغماً عني إلى موضع أخطر، فيه صخور عالية وامواج أعلى. ثيوان ظلت تحت الطوق، تحت الماء، أكثر من دقيقة. ظننت انها ماتت. نسيت كل المحاذير الامنية وصرخت بهستيريا انادي الرفاق. لحسن الحظ لم تسمع الربايا. صخب المياه طغى على كل شيء. انتشلني الرفاق وثيوان من الماء. كانت على وشك الافلات هي الاخرى من رباطها. استطيع القول انها كانت على قيد شعرة من الموت. حالاً أفرغنا بطنها من الماء ونفخنا في فمها. لم نطمئن حتى صرخت وبكت. ثم تذكرت انها حافظت على الصمت، كما أوصيتها. لم يصدر عنها في اللحظات الحرجة سوى انين خافت.

● الرفيق وصفي:

بعد العبور سرنا بدون دليل، سالكين طرقاً شديدة الوعورة. كنت أحمل ثيوان على ظهري. ساعدني في ذلك الرفيق «س..». الذي فقدناه في المرحلة النهائية من المسيرة ولا يزال مصيره مجهولاً. كنت لا استطيع ان احملها على الدوام، فاضطر إلى اقتيادها إلى جانبي. كانت تئن بمرارة من التعب. في المسير الليلي كانت تهمس: ما تنامون؟. أثناء المسير قاسينا من العطش كثيراً. كان الرفاق يسقون ثيوان من حصصهم الشحيحة. وعند نفاد الماء تحملت مثلنا العطش الشديد. وبعد خمسة ايام قاسية وصلنا إلى نقطة معينة.

اتصلنا ببعض «المعارف» الذين ساعدونا على دخول تركيا. سلمناهم ثيوان وزودناهم بعنوان اقربائها.

● الرفيق ابو بشار:

حين تهيأنا للحركة، عرفت ثيوان اننا لن نأخذها معنا انخرطت في بكاء هستيري. ظلت تصرخ. تعارك. تحاول اللحاق بنا. تنادينا باسمائنا. تتوسل ان لا نتركها. كنا نسمع صوتها الحبيب حتى بعد ان قطعنا مسافة غير قليلة.

هل أنسى ذاك الرفيق. كان في البداية قد عارض بشدة استصحاب ثيوان. عندما غادرناها بكى هذا الرفيق بحرقة أشد، كأنه يكفّر عن ذنب ما!

لم تبق ثيوان معنا سوى خمسة أيام. لكنها ستظل في قلوبنا زهرة برية شذية على الدوام**.

أيران ـ مجمع اللاجئين في خوي
حزيران ١٩٨٩

** فيما بعد، علمنا، ان ثيوان وصلت إلى بيت خالها. كما ان اخبارها وصلت إلى ما تبقى من عائلتها الموجودة في تركيا حالياً.



وقائع من المخيمات*

كامل الركابي

- ٩ -

● كتلة بشـرية، هائجـة، متموجة، متشابهة الملامح والثياب، تقف على شكل طوابير متوازية قبالة آلة طبخ غربية الصنع يتصاعد منها بخار ضبابي يشبه إلى حدٍ ما، دخان مدفعية شرقية اطلقت آخر قذائفها هديةً من المقتدر على سقوف قرى غير آمنة.

إنها تتلاصق، ضاغطة، لا لشيء. سوى الحصول على مرق باهت هو ليس أكثر من ماء مغلي.

وحيث لكل عشرة اشخاص أو أكثر ثلاث غرفات من مرق الاتراك الابيض، تجد كل ممثل عن مجموعة يحمل بيده آنية من معدن رخيص أو خزف، وباليد الأخرى بطاقةً تؤمن لهُ ما لا يشتهي!

وما ان يصل دورك حتى يواجهك الموّزع، يتفحص الوجوه ويتمعن في البطاقات.. والبطاقات لا تحمل اسماً ولا صورة، انما رقم ممسوح من عرق اليدين.

ولا أدري، هل ان ذاكـرة السيد موزع المـرق، متوقدة، بحيث تختزن لكل رقم صورةً، أم ان ذلك التفرس مجرد اشارة تحذير من التلاعب بحصة الجائعين..؟

تلك الكتلة المتراصة المتاخمة للحدود تتهشم في الزمن الذي يطلق فيه منادٍ ما صرخةً:

جاء «لوري» الخبز!

* نشرت الحلقات السابقة من الوقائع في رسالة العراق

- ١٠ -

● الخيام صفراء، والليل اصفر، وحسين القروي يدخلُ كل ليلة غير خيمته متوهماً هي، فيخرج مرتبكاً، خجولاً، لاعناً علناً هذا التشابه الغريب.

بعدها جاء بخيط ابيض طويل، ربط أحد طرفيه بوجه خيمته، وثبّت الطرف الآخر في راس الشارع الترابي، كي يستدل.

إلا ان العابثين من الاطفال لم يدعوه يسترح.

فعندما يخرج من خيمته، يخرجُ على هدى الخيط إلى راس الشارع. وعندما يعود على هدى الخيط من راس الشارع؛ يدخل خيمة أخرى

فيسمع من بعيد قهقهات الصبايا
ويرمق في الوجوه، ابتسامات النساء
فينسل غريباً..

باحثاً عن خيمته
طارقاً باب خيمةٍ أخرى!

- ١١ -

● في سلوبيا

تلوب النساء القرويات من أجل قطعة خشب وفي احلامهن يهاجر ربيع الاشجار البعيدة.

البلوط
الحبة الخضراء، الاسبندار، تلك الشجرة

الفارعة الطول التي ما ان تُعرّى ويُقبِّل جسدها خيط الماء حتى تنفلق إلى جسدين رشيقين يعانقان باستحياء سقوف بيوت الطين.

تلوب النساء..

فالخشب في ندرته يضاهي قيمة الذهب، والمقاول الذي يُقيم في اطراف المخيم بناءً جديداً، ربما سجناً، أوقف العمل، واسكنَ الخشب خارج الاسلاك الشائكة إلى حين ترحيل النازحين.

ليلاً، يتسلل الصغار والكبار نحو مضاجع الخشب، والحارس الليلي يستنجد بالجنود.. ولا نفع.

فمواقد النار لا تضيء الليل إلا بالخشب
والشاي لا يحلو للساهرين إلا حول مواقد الجمر

و. . جاءت اعمدة الكهرباء، فاستضاء المخيّم

لم تكن الاعمدة شاحبة، بل كانت مُترفة، وسمينة، يتحسس الناس جسدها المكتنز بالخشب، ويحلمون بالمواقد. والكل يعلمون لماذا غدت تلك الاعمدة تعاني من النحول، وتذوي، شيئاً، فشيئاً.

ومنذ ان تجرأ «كاروان» لوحده، فأقتلع عموداً من جلده وطرحه ارضاً، وقطعه أوصالاً، واقتسمه مع عدة خيام متجاورة، كانت شاهدة،

حتى بدأت الاعمدة تختفي ليلاً، ويختفي معها الضياء

ولم يبق للساهرين إلا ضياء مواقد الخشب!

- ١٢ -

● في ماردين

كيف يتسنى للعازبين من الانْصار طهي طعامهم وسط تعليقات الاناث وهن يشاهدن الذكور الذين انعم السلطان العثماني عليهم بالسلامة! يؤدون وظائف النساء، تنظيف، طبخ، كنس، غسل الاواني، جلب الماء.

في المقرات «ليس للنحلة الشغول، وقتٌ للحزن»* إذ لا شيء يحول دون العمل سوى القتال، حيث يقتصر انذاك على اصحاب الكفاءات غير القتالية والسجناء.

أما هنا، في الخيمة التي يقطنها «جوتيار» يخجل الرفاق من طهي الطعام خارج الخيمة، إلا انه «بادر» ليكون الضحية الاولى.

تمرُ جوقات البنات، يقتربن من الطاهي، ويعلقن:

فاهي،
محروق،
باهت،
مالح..

ثم يتضاحكن بهمس خفيف مسموع.

في البداية، كانت تلك التعليقات تسبب الارباك لجوتيار الشاب، لكنه فيما بعد أخذ يستمتع، يلتذ» يطرب لذلك بل انه تجرأ ذات مرة وارسل صحني مرق ورز من طبخ يده هديةً لاحداهن، كانت جميلة، ولما امتدحت الطعام ورمقتهُ بنظرة اعجاب خجولة،

بدأت الفتيات يشاهدن كل يوم: طبّاخ جديد. فاتفقن فيما بينهن على قطع دابر التعليقات والهمس وبذا زرعن الحسرة في قلوب الطباخين الجدد، نزلاء الخيمة العازبة.

آذار - حزيران ١٩٩٠

* بيت شعر لا أدري لمن، سمعته من صديقي ابو طالب.



الاشوريون والمسألة الاشورية في العصر الحديث

تأليف: د. ق. ب. ماتفييف   مراجعة: جورج يوسف

صدر مؤخراً عن دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق كتاب (الاشوريون والمسألة الاشورية في العصر الحديث) لمؤلفه السوفييتي، الاشوري الاصل، الدكتور ق. ب. ماتفييف (بارمتي). وهو باحث معاصر معروف له العديد من الكتب والابحاث في مجال تاريخ الاشوريين. وجدير بالذكر ان اطروحته لنيل شهادة الدكتوراه، كانت بعنوان (حركة التحرر الوطني الاشوري في العصر الحديث). ترجم الكتاب باسم «الحركة الديمقراطية الاشورية ـ العراق». والكتاب من القطع المتوسط، ويقع في ٢٠٨ صفحة. موزعة على تسعة فصول هي:

- المراحل الاساسية لتاريخ الاشوريين في العصور القديمة والوسطى.
- مناطق اقامة الاشوريين وتعدادهم في الزمن الحديث والمعاصر.
- التركيبة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الاشوري ونشاط السكان في العصر الحديث.
- نضال الاشوريين ضد المبشرين الاجانب والاضطهاد العثماني ـ الايراني.
- الحرب العالمية الأولى وانتفاضة الاشوريين الوطنية التحررية.
- المسألة الاشورية في العراق ١٩١٠ ـ ١٩٣٢.
- هزائم الاشوريين في العراق عام ١٩٣٣.

ـ وضع الاشوريين في الشرقين الأدنى والاوسط والمؤتمرات الاشورية العالمية.
ـ الاشوريون في الاتحاد السوفييتي.

يستعرض الكتاب التاريخ الاشوري الذي تكوّن بعد السلالة الكيشية التي حكمت في بابل حوالي ١١٧٠ ق.م. بيد انه لم يرد ذكر التاريخ الاشوري إلّا في سنة ٨٩٣ ق.م. في نقوش لداريوش الأول، حيث يتكلم عن بناء القصر في سوزي. كما وردت الغزوات الاشورية في النقش الثالث لداريوش الأول نفسه في برسبوليس. بيد ان هناك معلومات ضافية، عن الاشوريين في كتاب هيرودوتس الذي قام بزيارة لبلاد الاشوريين بعد ١٥٠ سنة من سقوط دولتهم.

وكانت مدينتهم آشور قد اصبحت في مطلع القرن الثامن عشر قبل الميلاد عاصمة للدولة الاشورية (كانت العاصمة كلخا في البداية، ثم نينوى التي سقطت كما تؤكد المصادر في ٦١٢ ق.م.). وتقع العاصمة آشور على طرف منطقة جبلية تشرف على دجلة قرب الشرقاط الحالية. وهذه المدينة ذات موقع مهم اذ يدخل النهر اسفلها تماماً بين هضاب منخفضة، إلى منطقة من رمل أحمر وتلول من الحصى ولا يخرج منها حتى يصل السهل الرسوبي. وفي شمالي آشور توجد الوديان والسهول الواسعة التي صارت بلاد الاشوريين. وقد استوطن آشور (حوالي ٣٠٠٠ ق.م.) البدو الساميون من البادية العربية.

في القرن الاول الميلادي أخذت تنتشر تعاليم المسيحية في فلسطين وسورية وبين النهرين وايران. وكان الاشوريون من اوائل الشعوب التي اعتنقت المسيحية. إلا ان الطبقات الحاكمة في ايطاليا وفرنسا ودول أخرى ارسلت المبشرين في محاولة لاستخدام الكنيسة الكاثوليكية لغاياتها الخاصة في اخضاع شعوب الشرق لنفوذها وتعزيز مواقعها في الشرقين الاوسط والادنى. لذلك فان تغلغل اولئك المبشرين في اوساط الاشوريين لقي مقاومة. فعمد الكاثوليك الروم إلى شق الكنيسة الشرقية إلى قسمين: النسطورية واليعقوبية.

يكتب المؤلف نقلاً عن كتاب الديبلوماسي الروسي آداموف (العراق العربي، ماضي وحاضر ولاية البصرة) ما يلي: «لقد كان حظ النساطرة في النجاح للوصول إلى تطلعاتهم المشروعة يتعثر لصعوبة ايجاد ممثل ومدافع عن النساطرة في القسطنطينية، ناهيك عن غياب المحامي الاجنبي، كما هي الحالة لدى الكلدانيين والمتمثل في شخص السفير الفرنسي لدى الباب العالي، والقنصل الفرنسي في بغداد والموصل». ويبدو انه لهذا السبب لم تكن هناك صعوبة لدى المبشرين الاجانب للتوغل في اوساط النساطرة كمدافعين عنهم.

ويؤكد الكاتب على انه في بداية القرن التاسع عشر اشتد نشاط البعثات

البروتستانتية، التابعة للحكومات الاوربية والولايات المتحدة الامريكية، في تركيا العثمانية وايران لتكمل بذلك الغزو الاقتصادي والسياسي للشرقين الادنى والاوسط. ويؤكد الباحثون بانه منذ دخول المبشرين إلى المناطق التي يسكنها الاشوريون، تفاقمت الاشتباكات والصدامات بين الاشوريين والاكراد.

لقد فتح الاشوريون، وبمساندة الخلفاء العرب، المدارس والاكاديميات في مدينة اورفا، وسيليفكي، وبغداد، ونصيبين، وجند يشابور. . . وغيرها، حيث قاموا بتدريس اللغات اليونانية والعربية والقبطية وقواعد النحو والصرف والبلاغة وعلم المنطق والشعر والحساب والهندسة والموسيقى وعلم الفلك والفيزياء.

تقول الباحثة بيكوليفسكايا، ان مستوى المدارس الاشورية كان أرفع من مستوى جامعات القرون الوسطى، وعدد طلبتها أكثر. وتشير المصادر إلى ان الاكاديمية الاشورية في جند يشابور كانت تضم ثلاث كليات، هي كلية الطب ولها مستشفى، وكلية علم الفلك ولها مرصد فلكي. ويقول غابريل غارسيا ماركيس في روايته (الجنرال في متاهته): «ان الاشوريين قد توصلوا إلى أدلة تجريبية حول تأثير الكواكب في الامراض». كما تعرّف العرب على المخطوطات التاريخية البيزنطية عن طريق المترجمين الاشوريين وغيرهم. فقام الاشوريون بترجمة كتب ارسطو وافلاطون وغالدن وبارديسان وبارنيسان وغيرهم. كما ترجموا إلى اللغة المنغولية كتابي العهد الجديد والعهد القديم. وتشير بعض المصادر إلى ان بارديسان (١٩٤ ـ ٢٢٢ م) كان من رواد الأدب الاشوري.

أما اللغة الاشورية المعاصرة فتنتمي إلى اللغة الارامية. وكان الاشوريون القدماء يتحدثون بها قبل الفي عام من سقوط دولتهم، وعدد حروفها ٢٢ حرفاً صحيحاً، بينما تستعمل الحركات لحروف العلة. وقد نشأت الكتابة الاشورية في حدود منتصف القرن الثامن عشر قبل الميلاد.

يتناول الكاتب العلاقة بين الحضارتين الاشورية والاسلامية فيقول (ص ٣٠) ان للكنيسة الاشورية اثراً كبيراً على الاسلام فتعاليم هذه الكنيسة انتشرت بين عرب ما بين النهرين. واعتقد ان الاصح هو ان هذا التأثير لا يقتصر على الكنيسة بل يشمل المسيحية عموماً. ويبدو ان هذا الاستنتاج يرجع إلى ان البطريرك ايشو عيهاب الثاني زار في سنة ٦٢٨ النبي محمد. وبعد استلامه صك الامان منه كتب إلى جميع الاشوريين في العراق وايران وسورية «يطلب منهم تقديم كافة أنواع الدعم والمساعدة للعرب الذين حملوا لواء التحرر من ايران وبيزنطة، فهم (العرب) لم يقفوا ضد الديانة المسيحية بل على العكس أنهم يباركون ديانتنا ويحترمون المؤمنين والكهنة ويحسنون إلى الكنائس والاديرة» ص ٢٨. بيد ان المؤلف يعود ويذكر (ص ٣١): ان للاشوريين النساطرة تأثيراً كبيراً على الخان

المنغولي «فقد كلفوا ببعثات دبلوماسية مختلفة إلى اوربا من أجل عقد اتحاد مشترك في صراعهم ضد الخلافة العربية، وفيما بعد ضد المماليك في مصر».

يقول المؤلف (ص ٢٢): «لقد استقبل الاشوريون ومن بعدهم البابليون الاسكندر المقدوني كمحرر لهم...»، ثم يعود فيذكر في ص ٣١: «لقد نظر الاشوريون إلى المغول كمحررين لهم...».

يعتبر المؤلف ان الكلدان، والنساطرة، واليعاقبة و... كلهم اشوريون (ص ٣٨، وص ٧٦، وصفحات أخرى)، في حين يبين قاموس الدكتور معين بالفارسية م ٦ ص ٣٣٦ - ان اليعاقبة طائفة من المسيحيين تختلف عن النساطرة و«أساس ايمانها اتحاد الله والانسان في جبلة واحدة هو عيسى المسيح»، ومؤسسها يعقوب البرذعاني، وهو من قساوسة انطاكية في القرن السادس الميلادي.

أما الكلدانيون، كما يذكر الدكتور معين في قاموسه م٦ ص ١٥٨٩، فتسميتهم راجعة إلى كلده (بابل الحالية)، التي كانت تشمل القسم الجنوبي لما بين النهرين. وهم قوم أقاموا هناك قادمين من شمال شرق الحجاز. واغاروا على بابل للاستيلاء على تاج وعرش بابل من خلال تقوية العيلاميين، بيد ان الاشوريين حالوا دون ذلك».

في حين ان الكاتب يناقض ما كتبه بهذا الصدد في هذا الكتاب، حيث يقول في كتابه (تاريخ الاشوريين) ص ١٣: «وبعد انهيار الامبراطورية الاشورية وقع شعبها تحت سيطرة الميديين، ومرت عليه بالتعاقب العهود الكلدانية، والاخمينية، والمقدونية، والبارثية... الخ».

يتحدث الكاتب عن الانتفاضة الكردية التي قادها بدرخان بيك في عام ١٨٤٣ ضد الاتراك، فيقول في الصفحة ٧٠: «وبالمشاركة المباشرة الجماعية للمبشرين المتنازعين فيما بينهم عادة، استطاعت السلطات العثمانية شق صفوف المنتفضين وايقاع الصدامات بين بدرخان بيك من جهة وبين **النساطرة** من جهة أخرى [التأكيد منّا]. ولكنه يعود في ص ٧١، فيقول: «وانتهز بدرخان تشتت الممالك الاشورية حيث تمكن من الحاق الهزيمة بها كل على انفراد وبدورها تمكنت السلطات التركية من هزيمة الاكراد **والاشوريين** مما أدى إلى زيادة في استغلال سكان هذه المناطق وتعرض **الاشوريين** لاستغلال واضطهاد أشرس كونهم يدينون بالمسيحية». [التأكيد منّا].

وبصدد الاشوريين في الاتحاد السوفييتي، يقول الكاتب في ص ١٧٩: «لقد انقذت ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى الاشوريين من الضياع ووفرت لهم المساواة الحقيقية وامكانية التطور الوطني الحر». ثم يضيف في ص ١٨٣: «وبفضل مساعدات الدولة السوفييتية وجهود العلماء السوفييت اصبحت الثقافة الاشورية في الاتحاد السوفييتي

تقوم على أساس متين». ويختتم هذا الموضوع بالعبارة التالية: «ان البلد الوحيد الذي اصبح وطناً اصيلاً للاشوريين هو الاتحاد السوفييتي، حيث يتمتع الاشوريون السوفييت بكل ظروف التطور القومي الحر» ص ١٨٩.

ولكي لا نكون قساة في الرد على الكاتب، نقتطف عدة جمل من كلمة ميخائيل غورباتشوف (بصدد سياسة الحزب القومية في الظروف الراهنة) ـ في ١٩ ايلول ١٩٨٩: «ونشهد في الآونة الأخيرة، تزايد واشتداد الانتقادات عندنا للتشويهات التي اصابت مجال العلاقات القومية، وللعواقب الوخيمة التي أسفر عنها الافراط في المركزية والادارة البيروقراطية، والمظالم التي ارتكبت بحق عدد من الشعوب. وهي انتقادات مبررة، بل وأكثر من ذلك، انتقادات ضرورية» ص ١٣.

ويقول غورباتشوف في ص ١٧: «ولابد من الكلام هنا أيضاً عن وقائع الظلم والتعسف التي ارتكب في السابق بحق بعض الشعوب، ولاسيما في سني الحرب وبداية الفترة التي اعقبتها... ان وقائع التعسف وتهجير الشعوب من مناطق سكناهم في سني الحرب الوطنية العظمى، تستحق التنديد الحازم. وعلينا ان نقوم بكل ما في وسعنا من أجل اعادة الحقوق المسلوبة إلى الالمان السوفييت وتتر القرم والاتراك المسخيتيين والكليك والبلقار والكاراتشاي والشاشان والاينغوش واليونانيين والكوريين والاكراد [الاشوريين دون شك ـ ج. ي.]».

ان ما يؤخذ على الكاتب هو افتقاره إلى معلومات معاصرة عن الاشوريين (حياتهم، تعدادهم، اسباب الهجرة الدائمة، الاضطهاد الذي يتعرضون له في دول كالعراق، وتركيا، وايران، وبلدان أخرى)، ولربما يعود ذلك إلى عدم توفر المصادر والمعلومات أو شحتها (كما يشير المترجم إلى ذلك) إلّا انه برأيي قد يكون السبب مجاراته لمتطلبات السياسة الخارجية السوفييتية، ان من صلب عمل الباحث العلمي مواكبة هذه الأمور والتقصي عنها اينما كانت، لينتفادى هذا التكرار الذي نلحظه في أغلب كتب المؤلف، ومن ثم تقديم معلومات جديدة في كل مرة.

اضافة إلى ما ذكر، فقد اقحمت بعض التسميات باللغة الاشورية، سواء من الكاتب نفسه أو المترجم، فاربكت القارىء. فمثلاً يعتبر الجنس = توخما (ص ٤٦)، ثم الجنس = العائلة (ص ٥١) في حين ان الحديث يدور عن النسب. وليس الساعور حارس الكنيسة (ص ٥٤)، بل هو مديرها الاداري ان صح التعبير. وليس الشماس خادماً للكنيسة (ص ٥٤)، بقدر ما هو رجل دين يساعد القساوسة والمطارنة في التراتيل الكنسية ويقوم ببعض الاعمال الأخرى، كاشعال الشموع والبخور، وحتى جمع النقود من المصّلين أحياناً. كما يستخدم كلمات اشورية غير مفهومة للقارىء العربي، مثلاً (اكارا) والتي تعني

الفـلاح ، الكـرمة = البستان ، أورمي = اورومية ، آماديا = العمادية ، (وهي تسمية تركية) وتعني العلكة ، خوردقنه = الشيوخ . . . وذلك دون ان تحصر الكلمات داخل الاقواس أحياناً .

ولنعد إلى الترجمة ، فقد جاءت مقدمة المترجم منفعلة بعض الشيء ، حين يقول متحدثاً عن الكتابات والابحاث التي كتبت بهذا الصدد: «ان تلك الكتابات والابحاث التي جاءت من لدن كتّاب ان لم نقل معادين لكل ما هو اشوري فانهم أما متخلفون حضارياً وغير ملمين بالحقائق أو ان رائحة التعصب المقيت والاتجاه الشوفيني تفوح من كتاباتهم» ص ٦ ، ثم يردف قائلاً : «اذ لا يقون نعوتاً سيئة إلاّ ولصقوها بالاشورية والاشوريين بدءاً من كونهم اناساً جبليون» . . في حين ان مؤلف الكتاب نفسه يصف الاشوريين بالجبليين ، حين يقول: «ودفع الاشوريون الجبليون للسلطات التركية ١٦٠ الف ليرة تركية) ص ٤٩ .

ان ما اسلفنا ذكره من ملاحظات حول مادة الكتاب أو اسلوب ترجمته ، لا تقلل من أهمية الكتاب ابداً. فسيبقى ، دون شك ، اسهامة مفيدة في اغناء المكتبة الاشورية .



النظام العراقي يفتعل الازمات ويهدد الاشقاء العرب

ياجماهير شعبنا العراقي العظيم :

بعد أقل من شهرين على تاريخ انعقاد مؤتمر القمة العربي الطارىء في بغداد، تحت شعار «تعزيز التضامن العربي والدفاع عن الامن القومي العربي» . . وما رافقه من ضجيج اعلامي . . فوجىء الرأي العام العراقي والعربي والعالمي، باقدام حكومة صدام حسين، على اطلاق تهديداتها على دولتين عربيتين شقيقتين، هما الكويت والامارات العربية المتحدة، بحجة اغراقهما لسوق النفط العالمية، بمزيد من الانتاج، خارج حصتيهما المقررتين، في منظمة (اوبك) . . وبالتالي تدهور اسعار النفط تدهوراً خطيراً، واعتبار ذلك عدواناً مباشراً على العراق. واتهام الكويت بتحقيق زحف تدريجي وتجاوز مبرمج على اراضي عراقية، واقامة منشآت عسكرية ومخافر ومنشآت نفطية ومزارع عليها، واعتبار ذلك اعتداءاً، وبمثابة عدوان عسكري على العراق، وتعمد في تحقيق انهيار الاقتصاد العراقي .

ان هذه التصريحات تأتي بعد مرور أقل من سنتين على اعلان وقف اطلاق النار بين العراق وايران، لتدفع الاوضاع من جديد في الخليج العربي والمنطقة إلى حالة توتر شديد وصولاً إلى حافة العمل العسكري .

ياابناء شعبنا الباسل:

ان الدوافع الحقيقية لتهديدات السلطة العراقية، تكمن في النزعة العدوانية المتأصلة بشخص رأس النظام، ومعاناة نظامه من ازمة مالية واقتصادية خانقة يحاول تصريفها، والتهرب من ضغط رياح التغيير العالمية الرامية نحو إشاعة الديمقراطية، واقامة دولة القانون والدستور، واحترام الحريات العامة وحقوق الانسان.

وفي الوقت الذي يتبجح فيه صدام حسين بالدفاع عن سيادة وحقوق ومصالح العراق، فانه فرط ولا يزال يفرط بها طيلة السنوات الماضية لبعض الدول المجاورة، وتغطية سلوكه غير الجدي وغير المسؤول أمام موقف الحكومة التركية في حجب مياه الفرات عن العراق وسورية، والذي يهدد مصالح الملايين من ابناء القطرين الشقيقين.

ان سجل صدام حسين يؤكد كونه عامل توتر شديد في المنطقة، فهو لا يرغب في ان يعيش العراق في حالة استقرار، ويواصل باستمرار الاضرار بمصالح شعبنا، ومصالح الامة العربية.

ايتها الجماهير العراقية المناضلة:

ان افتعال النظام العراقي لهذه الازمة. لا يمكن إلا ان يُعد عرقلة للمساعي المبذولة من أجل تحقيق التضامن العربي، بعد ما تفتحت آفاق جديدة لتحقيقه وتعزيزه، كما ان توقيت اثارة هذه الازمة. من شأنه ان يصرف انظار الرأي العام عن قضية الشعب العربي الفلسطيني العادلة، وانتفاضته الباسلة، ومطامع اسرائيل التوسعية، وعن مخاطر الهجرة اليهودية إلى الاراضي الفلسطينية، ويضعف من قدرة الامة العربية على مواجهة المخططات الامبريالية والصهيونية.

وفي الوقت الذي اعطى النظام العراقي من خلال حربه مع ايران «مبررات» للتواجد العسكري الامبريالي في الخليج العربي، فان افتعاله للازمة الجديدة، وتلويحه بالحل العسكري يعطي المزيد من «الحجج» للامبريالية الامريكية لتعزيز تواجد قواتها العسكرية في الخليج، وتدخلها الفظ. في شؤون بلدان المنطقة.

ان ما أقدم عليه النظام العراقي مؤخراً، لا يثير قلق ابناء شعبنا العراقي، عرباً وكرداً واقليات وحسب، بل وقلق جميع ابناء الامة العربية وشعوب المنطقة، ويشكل تهديداً للامن العربي المشترك، وللسلم في المنطقة والعالم.

ياابناء الرافدين البررة:

ان الحركة الوطنية العراقية، اذ تدين اغراق السوق العالمية بالنفط، والتفريط به، تعلن عن دعمها للقرارات التي تنظم عملية توزيع حصص الانتاج النفطي العالمي في إطار منظمة (اوبك) وتدعو لتحقيق سعر عادل للنفط، فهي تؤكد في الوقت ذاته، نضالها

من أجل صيانة حقوق ومصالح وثروات العراق الوطنية، وانها مع حل جميع الخلافات بين العراق واشقائه بالطرق السلمية، وبالاحتكام إلى علاقات الاخوة والتضامن، والعودة إلى الهيئات والمنظمات العربية لحل المشاكل المستعصية، وترى ان طاقات جيش وشعب العراق، يجب ان توظف إلى جانب.اشقائه في مواجهة الاعداء من الامبرياليين والصهاينة، وتؤكد على ضرورة اقامة التضامن العربي المستند على اطلاق طاقات الجماهير الشعبية والقوى الوطنية. كما وترى ان تحقيق الديمقراطية وصيانة حقوق الانسان في العراق، والاقرار بالحقوق القومية المشروعة للشعب الكردي، في إطار الحكم الذاتي الحقيقي في كردستان العراق، هو الطريق الصائب لضمان سيادة واستقلال العراق، ودعم موقفه ليلعب دوره الفعال في حركة التحرر العربية، وضمان استقرار السلم والامن في المنطقة.

ياجماهير شعبنا المناضل:

ان فصائل الحركة الوطنية والديمقراطية والقومية التقدمية، العربية والكردية، في الوقت الذي تدين فيه افتعال حكومة صدام حسين للازمة الحالية،

التي تهدف إلى نشر قواتها واساطيلها العسكرية في منطقتنا، ونطالبها بالكف عن التدخل في شؤون المنطقة، وبسحب قواتها فوراً من الخليج العربي. فانها تناشد الرأي العام العالمي، وفصائل حركات التحرر الوطني العربية بشجب واستنكار تهديدات النظام العراقي، ومحاولته لاستخدام القوة العسكرية في حل المشاكل مع الاشقاء العرب، وهي تدعو الجامعة العربية للقيام بدور فعال لتطويق هذه الأزمة وحلها وفق ميثاقها. كما انها تعلن عن استنكارها للتدخل الامبريالي في شؤون منطقتنا، وتناشد الرأي العام العربي والعالمي مناصرة الشعب العراقي وحركته الوطنية، من أجل الخلاص من الدكتاتورية، وتحقيق السلم والديمقراطية والتقدم الاجتماعي.

٢٦/ تموز ١٩٩٠

الجبهة الكردستانية العراقية:

- التجمع الديمقراطي العراقي.
- حزب كادحي كردستان ـ العراق.
- الحزب الشيوعي العراقي.
- حزب البعث العربي الاشتراكي
- قيادة قطر العراق ـ
- الحزب الاشتراكي في العراق.
- الحزب الاشتراكي الكردستاني ـ العراق.
- حزب الشعب الديمقراطي الكردستاني.
- منظمة اقليم كردستان للحزب الشيوعي العراقي.
- الحزب الاشتراكي الكردي (باسوك).
- الحزب الديمقراطي الكردستاني ـ العراق.
- الاتحاد الوطني الكردستاني.



بيان الحركة الوطنية والاسلامية العراقية:

حول الاجتياح العسكري العراقي للكويت ومخاطر التدخل الاجنبي في المنطقة

أقدم النظام الدكتاتوري في العراق فجر يوم ٢/آب/١٩٩٠ على اجتياح اراضي الكويت الشقيق، وفرض حكومة عميلة عليه، ومن ثم اعلانه في ٨/آب/١٩٩٠ ضم الكويت قسرياً إلى العراق. وقد جاءت هذه العملية تعبيراً عن الازمة المستفحلة الاقتصادية والسياسية التي يعاني منها نظام صدام حسين، وكحلقة في سلسلة النهج السياسي الارهابي الذي مارسه النظام ضد جماهير شعبنا وتنفيذه لحملات القمع والاعتقالات والتعذيب والاعدامات بحق الالاف من خيرة ابناء العراق من مختلف الانتماءات السياسية والقومية والدينية، وتهجيره لمئات الالاف من العراقيين إلى خارج وطننا العزيز. كما انها جاءت بعد افتعال النظام حرباً مدمرة مع الجمهورية الاسلامية الايرانية الجارة، وتدخله في لبنان إلى جانب القوى الانعزالية، ومواصلة حربه الشوفينية ضد الشعب الكردي واستخدامه للاسلحة الكيمياوية ضده، وشعبنا العراقي عامة وامعانه في قمع الحريات السياسية وحرمان بلادنا من المؤسسات الدستورية المنتخبة.

ان احتلال الكويت ثم ضمها يشكل سابقة خطيرة، ويخلق بؤرة توتر شديدة في المنطقة، وهو يدلل بشكل ساطع على النزعة العدوانية والتوسعية لنظام صدام حسين، وميله لاستخدام القوة بشتى انواعها، داخلياً وخارجياً، لحل مشاكله ولصرف الانظار عن نمو التيار الشعبي المطالب بتحقيق الحريات السياسية واقامة دولة القانون في العراق.

ان الازمة التي فجرها نظام صدام حسين، وما نتج عنها من تطورات خطيرة، خاصة احتلال الكويت وضمها قسراً، والتي كان من أولى نتائجها الحضور المتعاظم للوجود العسكري الاجنبي في منطقتنا وما ينجم عنه من اخطار جسيمة تلحق بالعراق والمنطقة باسرها كل ذلك دفع الاوضاع إلى منعطف خطير ووضع يهدد الامن والاستقرار والسلم في المنطقة والعالم، وأثار مخاوف وقلق مختلف الاوساط العراقية والعربية والاسلامية والعالمية.

ويشكل احتلال العراق للكويت حرفاً للصراع العربي ـ الصهيوني، وتحويله إلى حالة صراع عربي ـ عربي، وقد وفر الاحتلال فرصة كبيرة للامبريالية الامريكية لتعزيز وجودها العسكري وتدخلها السافر في المنطقة والتحضير للقيام بعدوان وضرب المنشآت الاقتصادية والعسكرية، العراقية والعربية. كما يتيح الاحتلال فرصة جديدة للادارة الامريكية وحلفائها لتثبيت المزيد من الهيمنة والنفوذ، ولضرب الارادات والمصالح الوطنية والقومية لبلدان المنطقة.

ومن جانب آخر، يمثل العدوان على الكويت حدثاً خطيراً، عربياً واسلامياً، وخرقاً فاضحاً لمواثيق الجامعة العربية والمؤتمر الاسلامي ومنظمة الامم المتحدة وللقانون الدولي. وهو يشكل عرقلة للمساهي المبذولة من أجل تحقيق تضامن عربي واسلامي فعال ضد الامبريالية والصهيونية. كما انه صرف الانظار عن قضية الشعب العربي الفلسطيني العادلة وانتفاضته الباسلة، وفتح الابواب واسعة أمام الصهيونية كي تمعن في المزيد من عمليات توطين اليهود المهاجرين في الاراضي الفلسطينية المحتلة، والعمل على اضعاف قدرة الامة العربية في مواجهة المخططات الاستعمارية والصهيونية.

ان الحركة الاسلامية والوطنية العراقية، المعبرة عن مصالح وطموحات شعبنا العراقي، بعربه وكرده واقلياته القومية، ترى باقدام نظام صدام حسين على احتلال الكويت وتوتير الاوضاع في المنطقة، عملاً يتعارض مع ارادة وتطلعات جماهير شعبنا العراقي، وهي تحمّل الطغمة الدكتاتورية الحاكمة، وعلى رأسها صدام حسين، مسؤولية جميع الآثار التي تترتب على الاحتلال.

وفي ضوء المخاطر الجسيمة المترتبة على العدوان، واحتمالات التدخلات الاجنبية واندلاع الحرب في المنطقة فان فصائل حركتنا الوطنية والاسلامية العراقية تؤكد على ما يلي :ـ

أولاً : ادانة لجوء نظام صدام حسين لاستخدام القوة مع الاشقاء، واحتلاله وضمه الكويت. والمطالبة بسحب القوات العراقية، العسكرية وشبه العسكرية، فوراً من الاراضي الكويتية، وحل مشاكل العراق مع اشقائه بالاحتكام إلى الطرق السلمية وعلاقات

الاخوة والعودة إلى الهيئات والمنظمات العربية لحل الازمة الحالية، حفاظاً على التضامن العربي ولقطع الطريق على وجود القوات الاجنبية وهيمنتها على المنطقة.

ثانياً: التضامن مع الشعب الكويتي الشقيق في رفضه الاحتلال، وفي حقه من أجل تقرير مصيره بنفسه وصيانة إستقلاله وسيادته، واختيار النظام السياسي الذي يرتضيه.

ثالثاً: شجب أي وجود للقوات والاساطيل الغربية، وخاصة الامريكية، في منطقتنا، والمطالبة بان تكف الدول الامبريالية عن التدخل في شؤون البلدان العربية، وان تسحب جميع قواتها العسكرية فوراً.

رابعاً: دعوة الرأي العام العربي والاسلامي والعالمي لمناصرة نضال شعبنا العراقي والامة العربية من أجل انقاذ العراق والمنطقة بأسرها من الخطر الذي يهدد امنها والسلام فيها، ودعم جهود فصائلنا للخلاص من الدكتاتورية ومن أجل اقامة حكم الشعب ودولة القانون والحريات السياسية والمؤسسات الدستورية وحقوق الانسان التي يتمتع في ظلها الشعب الكردي بالحكم الذاتي الحقيقي. وكذلك لضمان مصالح وحقوق وسيادة شعبنا العراقي وجهاده من أجل صيانة ثروته النفطية الوطنية ووضعها إلى جانب طاقات اشقائه من أجل التنمية ولمواجهة مخططات الامبريالية والصهيونية.

خامساً: المطالبة بالكشف عن مصير ابناء شعبنا من المقيمين في الكويت الذين اختطفتهم اجهزة صدام حسين واطلاق سراحهم، وتحميل السلطة العراقية مسؤولية أي أذى يلحق بهم.

ان الحركة الاسلامية والوطنية العراقية اذ تنبه إلى المخاطر المحدقة بشعبنا ووطننا وبالامة العربية جراء ما سببته سياسة صدام حسين العدوانية، فانها تدين أي تدخل اجنبي في شؤون العراق، تحت أية ذريعة كانت، وتهيب بابناء جيشنا العراقي المقدام، والذي تربى على المبادىء الوطنية والقومية والاسلامية، ان يرفضوا تنفيذ هذه السياسة، وان يواصلوا دورهم في الدفاع عن استقلال شعبنا وسيادة بلادنا والمساهمة الجادة في معارك الامة العربية العادلة والمشرفة. وان فصائلنا تؤكد ان جماهير شعبنا وجيشنا الباسل وقوانا السياسية هم المعنيون والمطالبون بمعاقبة صدام حسين وطغمته الفاسدة على كل الجرائم التي اقترفوها.

وفي هذه الظروف الخطيرة والعصيبة، فان الحركة الوطنية الاسلامية العراقية، تدعو جماهير شعبنا العراقي وقواه السياسية للمزيد من اليقظة والحذر ازاء المخاطر الجسيمة

التي تجابه منطقتنا، والعمل المشترك في سبيل انقاذ وطننا والاطاحة بنظام صدام حسين، ومن مخاطر التدخل العسكري الاجنبي.

١٤ آب ١٩٩٠

- حزب البعث العربي الاشتراكي «قيادة قطر العراق».
- الجبهة الكردستانية العراقية.
- الحزب الاشتراكي في العراق.
- الحزب الشيوعي العراقي.
- القوميون المستقلون.
- المجلس الاعلى للثورة الاسلامية في العراق.
- الحركة الاسلامية العراقية.
- التجمع الديمقراطي العراقي.
- حزب كادحي كردستان ـ العراق.



تصريح

حول الازمة العراقية الكويتية

نحن مع حل الخلافات العراقية الكويتية في إطار العلاقات العربية، والحيلولة دون تدخل القوى الاجنبية في الازمة المتفاقمة بين البلدين الشقيقين الجارين التي نشبت خلال الاسبوع الاخير.

ورد ذلك في تصريح لناطق باسم الجبهة الكردستانية الصادر في ٢٥ تموز الجاري، والذي جاء فيه:

ان الجبهـة الكـردستانية العراقية التي هي جزء من الشعب العراق وقواه السياسية الديمقراطية، تتابع بقلق شديد تطورات الازمة الناجمة بين العراق والكويت وبهذه المناسبة تؤكد الجبهة الكردستانية على رفضها الشديد لاستعمال السلاح لحل هذه الازمة. وتدعو الجبهة إلى حل الازمة في إطار الخيمة العربية، والحيلولة دون تدخل القوى الاجنبية التي تسعى للاستفادة من الازمة وذيولها.

ان الشعب العراقي عرباً وكرداً واقليات قد ذاق ويلات الحرب ومرارتها لذلك فانه يرفض اشعال حرب أخرى. فقد كفاه ما عاني من مآسي وكوارث الحرب العراقية ـ الإيرانية التي بدأها النظام الدكتاتوري العراقي عام ١٩٨٠ تلك الحرب التي الحقت ببلادنا اضراراً بشرية ومادية جسيمة وخلفت تركات ثقيلة جداً ومنها العوامل الكامنة في ازمات متعددة تظهر بين فترة وأخرى، سواء في السياسة الداخلية للنظام أو في السياسة الخارجية. ان

مخلفات الحرب تقف وراء الازمة العراقية ـ الكويتية الراهنة منها مسألة الديون، والحدود، كذلك اسعار النفط التي انخفضت ايضاً في ظل الحرب ونتائجها. كما ان الجبهة الكردستانية العراقية تؤيد نضال حكومات وشعوب منظمة البلدان المصدرة للنفط (اوبك) من أجل اسعار عادلة لثروة النفط التي يقع احتياطي ضخم منها في بلادنا بالذات. ان تعزيز الجبهة الداخلية للعراق هو وحده السبيل الصحيح لتعزيز دور بلادنا في منظمة (اوبك). . . فلا يتعزز هذا الدور بتصريف الازمات الداخلية من خلال مشاكل خارجية، بل ان ذلك يتطلب اولاً وقبل كل شيء الغاء الاوضاع والقوانين الاستثنائية واحترام حقوق الانسان واطلاق الحريات الاساسية لكافة قطاعات الشعب العراقي وابنائه بدون استثناء لأي سبب كان، والعمل لتحقيق الديمقراطية واشاعتها في الحياة الاجتماعية والسياسية على اوسع نطاق وتمكين الشعب من ممارسة ارادته الحرة في تقرير مصيره، وتشكيل مؤسساته الشرعية في ظل الدستور، والغاء كافة اجراءات الترحيل والتهجير والتعريب في كردستان العراق لتغيير طابعها القومي، واعادة كافة السكان المرحلين والمهجرين إلى مناطق سكناهم الاصلية وتمكين شعب كردستان من اقامة حكم ذاتي حقيقي في إطار الوحدة الوطنية العراقية. .

١٩٩٠/٧/٢٥

حول غزو نظام صدام للكويت

تعقيباً على تصريحنا المؤرخ في ١٩٩٠/٧/٢٥ حول الازمة العراقية الكويتية، حيث دعونا إلى حل الخلافات في إطار العلاقات العربية ورفض اللجوء إلى الحل العسكري، وأكدنا على ان النظام يحاول تعريب ازمته الداخلية في خلق المشاكل في الخارج.

وفي صباح ١٩٩٠/٨/٢ اقدم نظام صدام على خطوة خطيرة جداً بالغزو العسكري للكويت الجارة بذريعة الاستجابة لدعوة ما اسماه النظام بثورة الكويت.

وازاء هذا الوضع الخطير فان الجبهة الكردستانية العراقية تعلن ما يلي :

١ ـ نعتبر التدخل العسكري في الكويت عدواناً سافراً من قبل النظام العراقي ضد دولة عربية شقيقة للعراق، ذات سيادة وعضو في هيئة الامم المتحدة. ان الاحتلال العسكري للكويت يناقض مصالح الشعب العراقي عرباً وكرداً واقليات الذي يرفض رفضاً

قاطعاً هذا الاعتداء على بلد شقيق مجاور، مثلما يرفض خوض حرب عدوانية جديدة يفرضها النظام في غياب الارادة الشعبية.

٢ ـ الغزو العسكري للكويت يناقض المواثيق والاعراف الدولية، والتوجه العالمي نحو حل المسائل سلمياً، مثلما يضع المنطقة برمتها على حافة حرب جديدة مدمرة ستلحق اضراراً كبيرة بشعوب العراق والكويت وبقية بلدان المنطقة، وهو ما يهدد الامن والسلام في العالم بأسره وليس فقط في الخليج والشرق الاوسط، ان الغزو يفتح المنطقة أمام تدخلات اجنبية يتحمل النظام العراقي نتائجها الوخيمة على العراق وبلدان المنطقة.

٣ ـ في الوقت الذي نعرب، باسم الجبهة الكردستانية وشعب كردستان العراق، عن ادانتنا الكاملة للغزو العسكري للكويت من قبل نظام صدام فاننا ندعو إلى الانسحاب الفوري من الكويت وحل الخلافات بالمفاوضات الاخوية. واحترام سيادة واستقلال الكويت شعباً وحكومة.

٤ ـ ترى الجبهة الكردستانية العراقية ان جذور العدوان الجديد للنظام تكمن في السياسة الدكتاتورية والشوفينية لهذا النظام الذي دأب عليها منذ أكثر من عشرين عاماً، وان شعوب المنطقة والمجتمع الدولي يدفع ثمن السكوت عن الجرائم والاعتداءات المتواصلة. التي مارسها النظام الذي اعتدى على الشعب الكردي سنوات طويلة وشن ضده حملات الابادة في هدم القرى والقصبات الكردية وابادة السكان بالاسلحة الكيمياوية والتقليدية والتهجير والترحيل لكن المجتمع الدولي والكثير من حكومات الدول المجاورة ظلت صامتة ازاء ذلك. وظل اهمال حل القضية الكردية في العراق ولجوء النظام إلى استعمال السلاح والقوة لحلها بؤرة داخلية يؤججهاالموقف الشوفيني للنظام نفسه. مثلما ان الشعب العراقي عرباً وكرداً واقليات طالما عانى من الارهاب والقمع على ايدي النظام واجهزته، وطالما ناشد دول العالم ومنها الدول المجاورةلدعمنضاله الديمقراطي ضد الارهاب الرسمي للنظام الذي ظل مع ذلك يتمتع بمساندة ودعم العديد من هذه الدول. وشن النظام حربه العدوانية ضد الجارة ايران، فقامت الدول الامبريالية بمساندته ودعمه مما ساعده على ان يتقوى حتى صار قوة عسكرية خطرة تهدد المنطقة بأسرها مثلما تجلى ذلك في احتلال الكويت. ان النظام العراقي يعزز اليوم احتلاله العسكري للكويت في الوقت الذي يشدد الخناق على الشعب العراقي في الداخل بذريعة حالة الطوارىء ويجند مئات الآلاف من الشباب في صفوف القوات المسلحة تمهيداً لحروب جديدة. ففي الوقت الذي كان الشعب العراقي ينتظر بلهفة صدور دستور دائم يضمن له حقوق الانسان والحريات العامة ومستلزمات حياة كريمة آمنة في ظل الديمقراطية فان النظام سواء بمشروع دستوره أو بهذا الغزو العسكري قد خيّب الآمال ووضع جماهير الشعب أمام كارثة رهيبة أخرى. وبهذه

المنـاسبة فان الجبهة الكردستانية العراقية تناشد جماهير الشعب العراقي رفض سياسة النظام وادانة احتلاله العسكري للكويت والوقوف ضده، وتدعو القوات المسلحة العراقية إلى رفض اوامر رأس النظام ومخططاته العدوانية، مثلما تدعو قوى المعارضة العراقية على اختلاف تياراتها واتجاهاتها للاسراع إلى اتخاذ موقف موحد من الوضع الخطير الذي تعيشه بلادنا بسبب نهج النظام والعمل لانقاذها من هذا النظام الشرس وحل المشاكل مع الجيران بطريقة سلمية واستعادة ارادة شعبنا العراقي في تقرير اموره بنفسه. كما نناشد المجتمع الدولي عامة والرأي العام العربي خاصة التضامن الفعال مع نضال الشعب العراقي عرباً وكـرداً واقليات في سبيل اهدافه الوطنية الديمقراطية ومن أجل انهاء التدخل العسكري العراقي للكويت الجارة...

الجبهة الكردستانية
٣/٨/ ١٩٩٠



حول الغزو الصدامي لدولة الكويت

(. . .) وحل ما كان متوقعاً عند الحركة الاسلامية العراقية من نظام عدواني شرير. . . فقد اجتاحت قواته في الساعة الثانية من فجر اليوم المذكور، الحدود البرية مع الكويت ودخلت اراضي هذا البلد، واتجهت بسرعة كبيرة صوب العاصمة الكويتية، لتحتلها، وتعلن سيطرتها عليها وسط ذهول عربي واقليمي ودولي! . . . وتوالى سيناريو العدوان الصدامي، فاعلن نظام بغداد عن اسقاط إمارة الكويت! وتشكيل «حكومة حرة مؤقتة. . . » وفي اليوم التالي احكمت قوات صدام سيطرتها على مدينة الكويت وضواحيها، وعلى الموانىء النفطية في الاحمدي والشعيبة فيما أعلن عن مصادرة الاموال المنقولة وغير المنقولة لامير الكويت واعضاء الحكومة. وعلى الرغم من إعلان النظام عزمه على سحب قواته من الكويت ابتداء من يوم غد الاحد الخامس من آب عام ١٩٩٠، وسط ضغط إقليمي وعالمي واسع، إلا اننا نعتقد ان النظام يمارس باعلانه هذا مناورة جديدة تستهدف كسب الوقت، وامتصاص ردود الفعل الغاضبة، أملاً في توفير الفرصة لاتمام تنفيذ خطته التوسعية، التي تمثل الحلقة الأهم من مشروع خطير يشارك في رسمه وترتيبه، المهزومون الثلاثة صدام وعرفات وحسين، وهو مشروع يستهدف الاستيلاء على مصادر القوة في المنطقة للتخلص من أزمات الداخل، والانطلاق من أجل الوصول إلى هدف صدام الموهوم المتمثل في فرض زعامته على العرب بالقوة، لاثبات أهليته من جديد أمام القوى

الاستكبارية، في مواصلة دوره المشبوه على الساحتين العربية والاسلامية.

واذا كانت خطوة صدام الاخيرة، التي عبو عنها اجتياحه الشامل للكويت، لم تترك مجالاً للشك في حقيقة شخصيته الشريرة وحقيقة اهدافه المريبة، حتى عند اولئك الذين وقفوا معه بالامس القريب، فإن من الضروري الالتفات للحقائق التالية:ـ

١ ـ ضرورة عدم الانحناء أمام عدوان صدام ونزواته البربرية بأي شكل من الاشكال، لأن ذلك لن يزيده إلا غروراً وعنجهية وطغياناً، فضلاً عن انه سيدفع شخصيته الشاذة للذهاب إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير.

٢ ـ عدم الانخداع بسياسة الترويض المخادعة، التي يمارس دوره فيها «العرّاب» ملك الاردن، سعياً وراء كسب الوقت من أجل تهيئة غطاء مفتعل للغزو الصدامي للكويت، والاستعداد لتنفيذ الحلقة الثانية من هذا المخطط العدواني، التي تشير التقارير العالمية إلى ان السعودية قد تشهد فصله الثاني قريباً.

٣ ـ العمل الحقيقي والمسؤول على ايجاد موقف عربي واسلامي موحد، يغلق الابواب أمام أي تدخل اجنبي في المنطقة، لأن ذلك يجرها للمزيد من اخطار الهيمنة والنفوذ الخارجي، ولعل سلاح صدام الوحيد الآن يتمثل في غياب ـ أو تغيب ـ هذا الموقف، مما يتيح المجال أمام هذا الخيار الرهيب الذي قد يؤدي إلى تدمير المنطقة وثرواتها بالكامل، الأمر الذي لا يفكر به صدام بمسؤولية (. . .).

٤ ـ في مثل هذه الظرف الخطير والحساس، وأمام هذا المصداق الجديد لعدوانية صدام وإجرامه، فاننا نحذّر جميع القوى الاقليمية المعارضة لهذا النظام والمختلفة معه، وخاصة الجمهورية الاسلامية في ايران، من مغبة الوثوق أبداً بهذا الحاكم المتفرعن، ونؤكد ضرورة مراجعة موقفهم الخاص بتطبيع العلاقات مع هذا النظام، الذي ليس في نيته يوماً إحترام المبادىء والاعراف الدولية، ولابد من ترتيب حساباتهم وفقاً لابعاد ومدلولات الغزو الصدامي الواسع للكويت، وما ينطوي عليه من حلقات تآمرية ضد دول وشعوب المنطقة، وما يستوعبه من احتمالات خطيرة يمكن ان تهدد أمن واستقرار المنطقة.

٥ ـ وفي الوقت الذي لم يطل الاعتداء الصدامي دولة وشعب الكويت فحسب، بل تجاوز ذلك ليشمل المئات من الاسلاميين المجاهدين المقيمين في الكويت وغيرهم من ابناء العراق الشرفاء، نذكّر ان الحكومة الامريكية، لم تستبعد الخيار العسكري من أجل انقاذ نفر من رعاياها هناك، مما يستدعي من الجمهورية الاسلامية ايضاً ان تمارس الدور المناسب، لانقاذ هؤلاء المؤمنين الرساليين وتوفير الحماية لهم جميعاً من دون استثناء، وذلك انطلاقاً وانسجاماً مع مبادئها في حماية ورعاية امور المسلمين في العالم.

وأخيراً وليس آخراً. . . فاننا ندعو كافة فصائل وقوى التحرر والخير والسلام في

العالم للوقوف صفاً واحداً أمام الفرعون المغرور، مجرم الحرب صدام ، في وقت نؤكد فيه ان هذا الطاغية لا يسقط بحرب ، أو بعمل عسكري تقوم به الولايات المتحدة الامريكية أو الغرب نيابة عن اصحاب القضية الحقيقية، بل يسقط من الداخل العراقي ، الذي تغلي فيه دماء شعبنا الحر الابي ، هذا الشعب المجاهد الذي لم يبخل بالغالي والرخيص وهو يسطر الملاحم تلو الملاحم في مواجهته الرائعة لهذا النظام اللامشروع ، وهو مصمم أكثر من أي وقت مضى على مواصلة كفاحه الذي بدأه منذ تسلط هذه الفئة الباغية على الحكم ولن تنتهي إلا باسقاطها . .

ان فصائل وقوى المعارضة العراقية التي تخوض صراعاً دموياً عنيفاً مع صدام وزمرته، تطالب الرأي العام العربي والاسلامي والعالمي ، بالوقوف بشكل جدي إلى جانب قضية شعبنا العادلة وتبدي استعدادها للتعاون مع كل القوى الشريفة والخيرة التي تعمل باخلاص من أجل اسقاط نظام صدام، واعادة الحياة الحرة الكريمة لعراقنا المقدس .

التجمع الاسلامي العراقي
٤ آب



بيان من الاحزاب الشيوعية والعمالية في البلدان العربية

عقدت الاحزاب الشيوعية والعمالية في البلدان العربية اجتماعاً طارئاً تدارست فيه الوضع الخطير في منطقة الخليج، الذي نشأ في أعقاب اجتياح القوات العراقية لدولة الكويت والحاقها بالقوة ضد ارادة شعبها.

وقد خلق هذا التصرف الذي نشجبه وضعاً جديداً في المنطقة وفي الوطن العربي يتميز بالخطر الحقيقي لاشعال المنطقة والتهديد المباشر للشعوب العربية واستقلالها وامنها وحقها في تقرير مصيرها بنفسها، وذلك بسبب احتلال اجزاء واسعة من الاراضي العربية في السعودية والخليج من قبل القوات الامريكية المدعمة بقوات حلف الاطلسي. وهو ما نعتبره تدخلاً سافراً وفظاً في شؤون الاقطار العربية، يؤكد الطبيعة العدوانية للامبريالية الامريكية، ودور الوصاية الذي تلعبه في منطقة الشرق الاوسط والعالم أجمع. كما يؤكد تواطؤ الانظمة العربية الرجعية والاسر الحاكمة في الخليج مع الامبريالية حفاظاً على مصالحها وامتيازاتها الضخمة على حساب مصلحة الشعوب العربية.

ان هذا الوضع بمجموعه يخدم، مباشرة، اسرائيل الحليف الاستراتيجي للامبريالية الامريكية، ومن شأنه مواصلة وتصعيد ممارساتها الوحشية ضد الشعب العربي الفلسطيني، وتوسيع نشاطها العدواني تجاه البلدان العربية، ويهدد بمزيد من المعاناة للشعب الفلسطيني داخل الاراضي المحتلة وباضعاف انتفاضته الباسلة وتهميشها. كما يهدد بنسف طاقات العراق ذاته التي ينبغي ان توظف كلياً ضد اعداء الامة العربية، ولخدمة قضاياها العادلة لا ضد دولة شقيقة مهما كانت الذرائع والتبريرات.

ان احزابنا الشيوعية والعمالية تعبر عن رفضها الحازم للجوء إلى القوة العسكرية

واستخدام الوصاية على الشعوب وتطالب بالانسحاب الكامل والفوري للقوات العراقية من الكويت واحترام ارادة شعبه وحقه في تقرير مصيره، وحل الازمة بين البلدين بالطرق السلمية وبالتفاوض والحوار في الاطار العربي واستبعاد كل التدخلات الامبريالية.

ان غياب الديمقراطية وعدم احترام الارادة الشعبية في العديد من البلدان العربية من الاسباب الاساسية التي أدت إلى هذا الوضع المتردي. وتعتبر احزابنا إشاعة الديمقراطية والتعددية السياسية في الوطن العربي، واطلاق الحريات العامة والفردية واحترام حقوق الانسان العربي، من شأنه ان يعزز الجبهات لداخلية ويستنهض طاقات الجماهير الشعبية ويخلق ظروفاً أفضل لوضع حد للتدهور الحالي والتصدي للتدخلات الامبريالية، وحماية الاستقلال الوطني.

وأمام هذا الوضع الخطير وشعوراً منها بمسؤوليتها الوطنية والقومية، فان احزابنا الشيوعية والعمالية تتوجه بنداء إلى كافة القوى التقدمية والديمقراطية في الوطن العربي لتعمل جنباً إلى جنب مع كل من يؤمن بقضايا العدل والحرية والاستقلال الوطني ومع الانظمة المعادية للامبريالية للتنسيق فيما بينها من أجل التصدي للتدخلات الامبريالية وتعزيز التضامن بين الشعوب العربية ومعالجة الاسباب العميقة التي قادت إلى هذا الوضع، وتضع كل إمكاناتها في معركة شعوبنا الراهنة التي تستهدف:

- طرد القوات والقواعد العسكرية الامبريالية من الخليج ومن المنطقة.

- وحل الازمة بين العراق والكويت في إطار الجامعة العربية، على أساس سحب القوات العراقية وضمان حق الشعب الكويتي في تقرير مصيره.

١ - الحزب الشيوعي الاردني.
٢ - جبهة التحرير الوطني البحرانية.
٣ - الحزب الشيوعي التونسي.
٤ - حزب الطليعة الاشتراكية في الجزائر.
٥ - الحزب الشيوعي في السعودية.
٦ - الحزب الشيوعي السوري.
٧ - الحزب الشيوعي السوداني.
٨ - الحزب الشيوعي العراقي.
٩ - الحزب الشيوعي الفلسطيني.
١٠ - الحزب الشيوعي اللبناني.
١١ - الحزب الشيوعي المصري.

اوائل آب ١٩٩٠



بيان حول الاجتياح العراقي للكويت
وخطر العدوان الامبريالي

نعم للحل العربي، لا للتدخل الامبريالي الامريكي

تتابع فصائلنا، بقلق بالغ، اقدام النظام العراقي على اجتياح واحتلال الكويت فجر يوم ٢/آب/١٩٩٠، وما ترتب عليه من تطورات خطيرة تنذر بأوخم العواقب، حيث تحضر الامبريالية الامريكية وحلفاؤها لعدوان عسكري يهدد الامن والاستقرار في المنطقة مما يستدعي الوقوف بحزم أمام هذه الاخطار المحدقة بالمنطقة، واستباحة الاراضي العربية من قبل القوات العسكرية الاجنبية، وخاصة الامريكية.

ان قوانا السياسية، المجسدة لصالح وأماني جماهيرنا، ومن منطلق المسؤولية، تعبر عن موقفها النابع من حرصها على مصلحة الشعبين الشقيقين، العراقي والكويتي بشكل خاص ومصالح الامة العربية عموماً، في اعتبار احتلال الكويت بادرة خطيرة عربياً، واستخداماً مداناً إلى اعتماد القوة العسكرية اسلوباً في حل الخلافات العربية، وخرقاً فاضحاً لميثاق الجامعة العربية والمواثيق الدولية.

لقد أحدث الاجتياح العسكري العراقي للكويت، وبسبب الخلافات بين البلدين، تداعيات في الوضع العربي، أخطر مظاهره، حالياً، قيام عدد من الدول الخليجية العربية خصوصاً السعودية، بفتح اراضيها وتقديم تسهيلات عسكرية واستدعائها لقوات الغزو الامريكية - الاطلسية - وحلفائها، واعطاء «المبررات» لحشد واسع من الاساطيل الحربية الغربية في مياه المنطقة، لتكريس المزيد من هيمنة المصالح الاستراتيجية الاقتصادية

والعسكرية للامبريالية، وخلق الظروف المواتية لاشعال حرب مدمرة ضد مصالح وسيادة شعوب المنطقة ولتدمير طاقاتها العسكرية والاقتصادية، وتحويل الصراع مع العدو الصهيوني - الامبريالي إلى صراع عربي - عربي. كما انه يتيح الفرصة للعدو الصهيوني بتحقيق اهدافه التوسعية والعدوانية واجهاض الانتفاضة الفلسطينية الباسلة.

وفي ظل هذه المخاطر والتحديات الكبيرة، فان فصائلنا تؤكد ما يلي:

أولاً: ادانة النظام العراقي في اجتياحه واحتلاله للكويت الشقيق، والمطالبة بسحب جميع قواته العسكرية وشبه العسكرية فوراً من الاراضي الكويتية، والاحتكام إلى روابط الاخوة العربية والاسلامية وميثاق الجامعة العربية في حل النزاع العراقي - الكويتي.

ثانياً: مساندة الشعب الكويتي الشقيق واحترام سيادته وارادته وحقه في تقرير مصيره بنفسه، واختيار النظام السياسي الذي يرتضيه، ورفض ضم الكويت للعراق قسراً.

ثالثاً: مساندة الحركة الوطنية والاسلامية في الخليج العربي في نضالها العادل ضد الانظمة القمعية والاستبدادية الحاكمة والمطالبة باطلاق الحريات الديمقراطية للجماهير الشعبية واحترام حقوق الانسان فيها.

رابعاً: دعوة حركات التحرر العربية والاسلامية والصديقة، كافة، لنصرة الشعب العراقي، بعربه وكرده وأقلياته القومية، في نضاله من أجل الخلاص من الدكتاتورية وتحقيق الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي الحقيقي لكردستان.

خامساً: شجب وادانة تدخل القوات الامريكية والحليفة لها في شؤون منطقة الخليج العربي، تحت أية ذريعة، والمطالبة بسحبها فوراً، وكذلك ادانة استنجاد بعض الحكام العرب بالعدو الامبريالي.

سادساً: ادانة الدول العربية النفطية، الخليجية وغيرها، المتلاعبة بالثروات النفطية. واعتبار النفط العربي ثروة وطنية وقومية لا يجوز التفريط بها. ويجب استخدامه استخداماً عقلانياً في تنمية بلداننا، وفي تعزيز المواجهة ضد العدو الامبريالي والصهيوني.

سابعاً: المطالبة باطلاق سراح جميع المعتقلين من المواطنين العراقيين والعرب المقيمين في الكويت، من الذين ساقهم النظام العراقي إلى داخل السجون العراقية، وتحميل السلطة العراقية مسؤولية ما يلحق بهم من أذى.

ثامناً: ان ضمان الحريات الديمقراطية ودولة القانون المستندة إلى المؤسسات الشرعية المنتخبة في أي بلد عربي هو وحده الكفيل بتحقيق استقرار المنطقة وتجنب انفجار الازمات فيما بين البلدان العربية إلى حد اشعال الحروب.

تاسعاً: الدعوة لتحقيق تضامن عربي فعال مستند إلى ارادة الجماهير الشعبية على قاعدة معاداة الامبريالية والصهيونية. وتجنب سياسة المحاور والتكتلات الاقليمية التي

أثبتت فشلها في مواجهة التحديات لاعتمادها على مصالح آنية، ولخدمة أغراض ذاتية وسلطوية.

اننا في هذه الظروف العصيبة، نعلن عن تضامننا مع الشعب الكويتي في محنته، ونؤكد على ضرورة العمل على حل النتائج المترتبة على التدخل العراقي في الكويت، عربياً وفي إطار ميثاق الجامعة العربية لقطع الطريق على الامبريالية. وندعو جماهيرنا للمزيد من اليقظة، والتوجه الجاد للتصدي للغزو الامبريالي - الاطلسي وللعدوان الصهيوني المرتقب. ونطالب الرأي العام العالمي بادانة العدوان الامبريالي، خاصة الامريكي، على منطقتنا.

- الحزب الشيوعي العراقي.
- الجبهة الكردستانية العراقية.
- حزب البعث العربي الاشتراكي - قيادة قطر العراق.
- الحزب الاشتراكي في العراق.
- حزب كادحي كردستان - العراق.
- التجمع الديمقراطي العراقي.
- الكتلة الاسلامية في العراق.
- الجبهة الشعبية لتحرير عُمان.
- الجبهة الشعبية لتحرير البحرين.
- جبهة التحرير الوطني البحرانية.
- الجبهة الاسلامية لتحرير البحرين.
- الحزب الشيوعي في السعودية.

٩/ آب/ ١٩٩٠

عمان في رياح الحدث العراقي:

طلال سلمان

امضى رئيس التحرير (طلال سلمان   ثلاثة أيام في عمان حيث القى محاضرة عن «لبنان والوضع العربي ـ مخاطر وتحديات» بدعوة من «مؤسسة عبد الحميد شومان».

ولقد كانت فرصة للاقتراب من مركز «الحدث العراقي» ولسماع الاصداء والهواجس والتمنيات والمطامح، ففي عمان تتكاثف وتتقاطع هذه جميعاً بما يسهل القراءة والاستشراف.

هذه حصيلة مناقشات امتدت على مدار الساعة في العاصمة المهمومة، وشملت العديد من المثقفين والكتاب والصحفيين واصحاب التجربة من قدامى الحزبيين والسياسيين بينهم بعض الرسميين.

*   *   *

لكأنك في مرصد أو مختبر! فعمان فلسطينية بقدر ما هي اردنية، والرياح الاسرائيلية تمرق في جنباتها بلا انقطاع فتمنعها من ان تنسى... ودمشق على مرمى حجر، مثل الضفة التي تكاد تسمع في عمان انفاسها، ثم ان لبغداد حضورها الثقيل، لاسيما بعد الحرب العراقية ـ الايرانية التي جعلت عمان قاعدة خلفية وخط امداد حيوي، وربطتها بالدينار العراقي في صعوده وهبوطه.

ربما لهذا تحس في اللغة السياسية نبرة «عراقية» وتستشعر حيثما جلست ان «الهوى» عراقي، ولا تذكر الكويت، وبالذات اسرتها الحاكمة المتهاوية، إلا عبر موجات متدافعة من الاحقاد والكراهية يختلط فيها الخاص والعام، وشيء من الشماتة بمن «اعطي حكماً فلم يحسن سياسته. . .».

واللغة موحدة، تسمعها رصينة وبرنة حزن من الملك حسين، وتسمعها متوترة ودفاعية من رئيس الحكومة مضر بدران، وتسمعها حماسية من النواب والاعيان ورموز القوى السياسية، وهم خليط من قدامى البعثيين والقوميين العرب والشيوعيين ومن الاسلاميين بطليعتهم (الاخوان وحماس). . . كذلك فانت تسمعها «سادية» ومطعَّمة بمرارة التجربة الشخصية من كل فلسطيني أو اردني ساقه سوء حظه للعمل في الكويت: «فليأخذها صدام!! ولتتهاوَ هذه الكيانات الكرتونية، ولتندثر هذه الاسر التي سرقت ثروة الامة واساءت إلى سمعتها وكرامتها».

ينسى محدثك انه يعيش في ظل كيان غير مصفح وتتلاعب به الريح، وان الحكم في كيانه لاسرة مالكة، وان كانت فقيرة بحيث تكاد تستمر بالمساعدات التي يأخذ بعضها طابع الصدقة.

لا مجال، في عمان، للنقاش حول «الماضي»، أي حول ما قبل فجر الخميس ٢ آب ١٩٩٠: لكأن الكويت كانت مجرد غلطة سياسية فتم التصحيح، ولو متأخراً. . . ولكأن مساوىء اسرتها الحاكمة تحجُب مساوىء الحاكم العراقي الذي خلعها بـ «ثورة» اصطنعها في بغداد. لكأن الاقليمية النفطية الكويتية بكل آثارها الضارة على الواقع العربي (والفرد العربي) اخطر بما لا يقاس من غطرسة صدام حسين ومن تفرده ومن الحيثيات «العراقية» جداً و «الاقتصادية» جداً جداً لقراره النابوليوني باقتحام الكويت، وإن غُلِّف بذرائع قومية.

يبدأ التحفظ ومن ثم القلق، متى انفجر السؤال المهوم طوال الوقت فوق الرؤوس: وماذا عن اسرائيل؟! كيف تكون حركتها وفي أي اتجاه؟! وهل ستكون مجرد عصا غربية واداة امريكية للتأديب؟! وهل ستضرب العراق وفيه، ولحساب غيرها، أم اساساً لحساب مشروعها الامبراطوري وتسريعاً في شطب الموضوع الفلسطيني؟! وفي هذه الحالة ألا يكون الاردن هو مسرح الحرب ـ الرد وضحيتها، وأين يقف الفلسطيني بالضبط اذا ما وقع البلاء؟! هل يُدفع لان يقبل بجائزة ترضية تتخذ شكل «الوطن البديل» أم تراه سيرفض مع تفاقم شعوره بالذوبان والاندثار كقوة سياسية؟!

واستطراداً: من هو الحليف الفعلي لصدام حسين في حركته المستقبلية، الملك الهاشمي المهزوز عرشه والمتردي اقتصاده والمتزايد عجزه عن السيطرة، أم «الرئيس

الفلسطيني» الذي مهما ضعف تبقى قضيته الاولى والاقدس والاعظم شعبية وتأثيراً؟! .

. . . وبماذا يمكن تفسير هذه «المزايدة» بين الفلسطيني وبين الاردني في تأييد الاجتياح العراقي للكويت، وهل بين دواعيها التنافس على نيل حصة ما من تركة آل الصباح، أو بالاحرى التنافس على موقع نفوذ اضافي في «الكويت العراقية» على حساب «الاصدقاء الراحلين» من آل الصباح؟! .

. . . وهل هي حركة تهدف إلى احتواء الصدمة العراقية والتهيؤ، من بعد، للعب دور الوسيط مع القوى المتضررة منها، سواء في منطقة الجزيرة والخليج أم في مراكز القرار الدولي وبالتحديد في واشنطن؟! .

* * *

في مجال سرد الوقائع التي تصلح قاعدة للتحليل والاستنتاج، يورد بعض المتصلين بالملك حسين ما يأتي :

● انه حاول جهده تنبيه الكويتيين إلى ان صدام حسين جاد في مطالبه، وانه لن يتراجع، وانه قد يقدم على أي شيء، بغض النظر عن المخاطر، وان قراءته الخاصة للوضع السياسي الدولي تجعله يُقدم ولا يُحجم، خصوصاً وانه مطمئن إلى قدرته على فرض أمر واقع جديد قبل ان يتحرك «الحماة الكبار» للكويت الصغيرة.

● ان الامريكيين هم الذين خربوا المساعي الملكية لحصر الازمة واحتوائها، ومن ثم محاولة توفير مخرج عربي، حتى لا نقول حلاً عربياً لها. وفي هذا المجال تردد عمان كلها حكاية تبدل الموقف المصري بعد اتصال اجراه الرئيس الامريكي جورج بوش مع الرئيس المصري حسني مبارك، وان بوش الح على استصدار قرار ادانة للغزو العراقي من مجلس الجامعة العربية (الذي كان منعقداً) بأي ثمن، وان الدكتور عصمت عبد المجيد قد ابلى بلاء حسناً لاستصدار هذا القرار وبالسرعة المطلوبة واعلنه فسقطت الوساطة الاردنية أرضاً.

(للمناسبة: تطالعك الصحف الاردنية يومياً بهجمات حادة ورسوم كاريكاتورية لاذعة ضد القيادة الامريكية، وتقرأ في التعليقات كما في بعض التصريحات الرسمية تعابير لم تكن مألوفة في الاردن أو في الدول العربية ذات الهوى الغربي عموماً) . .

ربما لهذا تسمع من بعض المسؤولين الاردنيين اتهامات جارحة للرئيس مبارك، وادانات قاطعة لبعض اركان نظامه بانهم «عملاء اميركيون»، وفي بعض الحالات يشار إلى «اختراقات اسرائيلية» لهذا النظام! .

تكاد عمان تقول ان واشنطن تريد للازمة ان تتكامل فصولاً وان تظل بلا حل، حتى اشعار آخر على الأقل.

وتكاد عمان تقول، بلسان الملك، ان لصدام حسين «ديونه» على الامريكيين، فهو بحربه ضد ايران الثورة الاسلامية قد حمى الاستقرار والمصالح الغربية بأكثر مما فعلت الانظمة التافهة المحسوبة على الامريكيين والتي كشفت دورهم وفضحتهم حين استعارت منهم العلم الامريكي لتستظل به، ثم حين دعتهم - بعد التدخل العراقي - إلى احتلال الكويت ومحاربة العراق (والعرب) من أجل اعادتهم هم إلى سدة حكمهم في الكويت.

● ان صدام حسين ابلغ الملك حين زاره آخر مرة، يوم الجمعة الماضي، ان القوات العراقية لن تتردد في تلغيم النفط بالكويت، حتى اذا ما وقع عدوان امريكي وانها اعدت صواريخها لضرب آبار النفط السعودية، اذا ما جاء الغزو الامريكي عبرها... ويرددون في عمان ان صداماً أبلغ حسيناً: «عليّ وعليهم»!!

● ان اسرائيل لعبت دوراً خبيثاً، وانها حرضت البيت الابيض الامريكي على اضافة شرط عودة آل الصباح إلى حكم الكويت إلى مطلب الانسحاب العراقي الفوري وغير المشروط من اراضي «دولة الكويت». وان الغرض من اضافة هذا الشرط دفع صدام حسين إلى الرفض، وبالتالي ترك الازمة تتفاقم واستعداء العالم كله ضد العرب جميعاً، وليس ضد صدام أو حتى ضد العراق وحده.

● ان السعوديين لم يكونوا متحمسين للحل الذي كان يجتهد لتمريره الملك (القمة المصغرة - الرباعية - في جدة)، خصوصاً وان صدام حسين كان يرفض مبدأ مشاركة آل الصباح فيها.

ويستذكر مشايخ السياسة في عمان ان آل سعود وآل الصباح (ومعظم مشايخ الخليج العربي) ينتسبون إلى القبيلة ذاتها اصلاً (عُنِزَه)، فهم اقارب، ثم ان لآل الصباح جميلاً على الاسرة السعودية لا ينسى، فهم قد استقبلوهم وساندوهم ايام حربهم ضد ابن الرشيد، مما عرضهم لغضب هذا الاخير الذي هاجمهم وقاتلهم في عقر دارهم (معركة الجهرا؟!) ولولا الطيارة الانكليزية والتهديدات المباشرة لكان آل الصباح قد قضوا ضحية انتصارهم لابناء عشيرتهم المطاردين!.

أما المخضرمون فيضيفون ان السعوديين لا يستطيعون التسليم ببساطة باسقاط اسرة «ملكية» حاكمة على يد نظام جمهوري قام أصلاً على انقاض اسرة ملكية اخرى (الهاشميون في بغداد)... وانهم مع اعجابهم بمرونة الملك حسين والتي تمليها عليه ظروفه الخاصة، فانهم يرون انهم سيكونون اللاحقين ان لم يتصدوا لوقف الغزو الجمهوري المسلح للممالك والامارات الغنية.

● وفي الاوساط الاردنية المغلقة تسيطر على الحديث اجواء الريبة في الموقف الفلسطيني، وتكتسي التساؤلات ثوباً من الخبث وسوء الظن والتوجس... فاحتمال قيام

أو توطد تحالف عراقي فلسطيني يمتد من الاردن إلى الكويت (حيث يشكل التجمع الفلسطيني ذو النفوذ الواسع نقطة ارتكاز مهمة) هو مصدر جدي للقلق على مصير العرش الهاشمي الذي يعيش في قلب العاصفة، والذي لا يمانع الغرب (ومعه اسرائيل) في التضحية به اذا ما كان «بديله» يضمن تصفية القضية الفلسطينية: اذا كان المطلوب دولة، مجرد دولة، فلتقم مثل هذه الدولة في الاردن (او بعضه) وليكن سندها الفعلي عراق صدام حسين ومددها الفعلي ما يمكن اقتطاعه لها من ثروة الكويت الهائلة، بموافقة اصحاب الشأن الغربيين جميعاً.

* * *

خارج الاوساط الملكية يتخذ الحوار منحى مختلفاً تماماً يتوحد فيه الصوتان الاردني والفلسطيني وراء التمنيات (أو الاوهام) القومية المستعادة من ذاكرة الايام الخوالي أكثر مما تستند إلى وقوعات اليوم والغد.

وتهتز جنبات المقاهي والمكاتب والمطاعم باحلام ليالي الصيف: ـ مع كل التحفظات على صدام وتاريخه فيا ليته لا يتوقف إلا بعد ان «يقش» الخليج كله ويرمي بحكامه جميعاً إلى البحر!!.

وبعد استمطار اللعنات على النظام السعودي «الجبان» و«العميل المكشوف للمصالح الامريكية» ترتفع اصوات المتحمسين (وكأنهم على ابواب مكاتب التطوع) تطالب بالقتال لاسقاطه.

ومع كل نشرة اخبار تبثها اذاعة اسرائيل، أو غيرها من الاذاعات الغربية، متضمنة هجوماً على العراق أو تجريحاً شخصياً لصدام حسين، كمثل وصفه بـ «المجنون» أو بهتلر (وبعضها شبه الملك حسين بانه موسوليني صغير إلى جانب هتلر صغير)، تتزايد العواطف التهاباً وتتماهى الحدود بين الاوهام والوقائع، فالحملة الغربية المسعورة تشهر بكل عربي وتستفز كل عربي، على الاطلاق، لانها تستهدف الامة كلها، بتاريخها ومستقبلها. . . وهذه اعظم تزكية لصدام حسين. والدهاة في عمان يرونها مقصودة، خصوصاً في غياب أي اجراء رادع على الارض، وبغض النظر عن القدرة وعن التوقيت المناسب.

عن (السفير) ٨/٤



«حرب الخليج» الجديدة .. وواشنطن البداية والنهاية

محمد مشموشي

يبدو مؤكداً، وبعد أكثر من ٣٦ ساعة على التدخل العراقي في الكويت، ان هذا التدخل يضع الولايات المتحدة الاميركية، وليس غيرها، في المواجهة. فاذا لم تحرك واشنطن ساكناً انتهى ما كان يسمى بدولة الكويت، واذا فعلت انتهى ما كان يسمى بالأستقلال والسيادة والثروة القومية في منطقة الخليج كلها لأن التدخل الامريكي سيكون هذه المرة احتلالاً لمنابع النفط وربما دائماً، وليس مجرد حماية لضمان استمرار تدفقه إلى العالم.

ووحدانية واشنطن هذه في الساحة تعود إلى ثلاثة اسباب:

● العجز العربي عن معالجة الوضع الناشيء عن التدخل، بعد عجز مماثل عن معالجة الوضع الذي سبق التدخل، سواء على مستوى مصر التي بادر رئيسها الرئيس حسني مبارك إلى التوسط أو على مستوى الجامعة العربية، أو على مستوى المجالس الاقليمية وفي مقدمتها مجلس التعاون الخليجي الذي تعرض أحد اعضائه (الكويت) للاجتياح ومجلس التعاون قام احد اعضائه (العراق) بهذا الاجتياح.

والعجز العربي ليس جديداً، اذ اعترف به العرب علناً واعترفت به كل دولة عربية على حدة من زيارة انور السادات للقدس، إلا انه يهبط إلى درك الشلل التام ازاء عملية صدام حسين في الكويت وتشير تداعياته ان المزيد من التدهور هو الذي سينتظره في

المستقبل في ما لو تطورت عملية الكويت. . . سواء في اتجاه الغاء دولة من على الخريطة أو في اتجاه استعادتها على يد واشنطن.

● خروج الاتحاد السوفييتي من سياسات المنطقة، وبخاصة من سياسات البحار الدافئة ومنابع النفط والخاصرة الجنوبية لـ «الدولة العظمى الثانية»، بعد تطورات العام ٨٩ في اوروبا الشرقية والعام ٩٠ في الاتحاد السوفييتي نفسه.

هذا الخروج جعل الولايات المتحدة تشعر بانها طليقة اليد في المنطقة العربية، ويزيد من شعورها بذلك تسابق دول المنطقة على كسب ودها، ولم تكن دعوة الكويت لواشنطن بالذات للتدخل عسكرياً إلا التجسيد العملي لهذا الشعور الامريكي.

واذا كان وزير الخارجية الامريكي جيمس بيكر قد قطع زيارته لمنغوليا وانتقل إلى موسكو، بعد ساعات من انتهاء زيارته اليها، لاصدار بيان مشترك مع زميله السوفييتي ادوارد شيفاردنادزه فالاعتقاد السائد هو ان ذلك كان من قبيل مجاملة موسكو من ناحية، ومن قبيل الحصول على موافقة علنية منها على هذه اليد الطليقة من ناحية اخرى.

● انشغال اوروبا بقضاياها ـ الوحدة الالمانية المخيفة من جهة والوحدة النقدية المختلف عليها من جهة اخرى ـ مما يجعل اوروبا وهي المعتمدة بشكل اساسي على نفط الخليج عاجزة على الاقل في هذه الفترة الزمنية الفاصلة بين وحدانية النفوذ الامريكي في العالم والوحدة الاوروبية المنتظرة في العام ١٩٩٢، عن تأكيد وجودها في منطقة الخليج.

ومثل هذا الانشغال يشكل فرصة ذهبية للولايات المتحدة تكرس من خلالها سيطرتها على الشريان الحيوي لاوروبا مجدداً، أي تضع اوروبا الموحدة ـ اليابان ايضاً ـ في قبضة يدها النفطية الطويلة من آبار تكساس إلى آبار الخليج.

لهذه الاسباب كلها تبدو واشنطن الاقدر على الفعل، وعلى عدم الفعل ايضاً، والضامنة في الوقت نفسه بان النتائج ستكون في الحالين لصالحها.

ولعل هذه هي الاجابات الصريحة عن الاسئلة الغامضة التي تتردد منذ فجر يوم الخميس الماضي، ساعة بدء الاجتياح العراقي للكويت، عن دوافع واشنطن وراء ترك الامور تسير سيرتها هذه في منطقة الخليج.

واذا صح ما تردد من ان واشنطن ابلغت حلفاءها في الاطلسي بانها ستتدخل عسكرياً في ما لو هدّد العراق حدود أية دولة خليجية أخرى.

وما تردد من انها اطلعت على التحضيرات العراقية، سواء بواسطة المخابرات أو عن طريق الاقمار الصناعية، إلا انها لم تحرك ساكناً لمنع دخول التحضيرات حيز التنفيذ.

وما تردد من انها نصحت الكويت بعدم الرضوخ لمطالب العراق في أثناء المفاوضات التي جرت في جدة قبل يومين فقط من بدء العمليات العسكرية.

وما يبدو واضحاً الآن من ان ادارة بوش تعتمد اساليب العقوبات الاقتصادية ـ على طريقـة العقوبات التي فرضت على جنوب افريقيا على امتداد سنوات عديدة ـ وتجميد الودائع المالية ـ كما حدث بالنسبة لايران منذ العام ١٩٧٩ ـ ومنع تزويد العراق بالاسلحة واصدار قرار من مجلس الامن يدعو للانسحاب الفوري من الكويت ـ رحم الله القرارات ٢٤٢ و٣٣٨ بالنسبة للصراع في المنطقة والقرار ٤٢٥ بالنسبة للبنان ـ . .

اذا صح ذلك كله، ويبدو انه صحيح ، تكون حرب الخليج الجديدة نسخة منقحة ومزيدة عن حرب الخليج السابقة ، إلا ان قراراً نهائياً سيكون هذه المرة امريكياً فقط بينما كان القرار بالنسبة للحرب الماضية امريكياً ـ سوفييتياً معاً .

لكن موسكو العام ١٩٩٠ ليست موسكو العام ١٩٨٨ .

وبالتالي فواشنطن ليست هي واشنطن قبل عامين .

. . . وكل عام وعرب امريكا، ونفط امريكا ، ومنطقة امريكا، بخير! . . .

عن (السفير) ٨/٤



من السادات إلى صدام ... دورة تراجع كاملة!

محمد مشموشي

مهما يكن من أمر الماضي والحاضر، وطموحات صدام حسين واخطاء آل الصباح وعجز آل. . . «العرب» كلهم، تبدو خطوة الرئيس العراقي في ارسال قواته المسلحة لاجتياح الكويت أشبه بنتائجها وتأثيراتها على القضايا العربية بزيارة انور السادات للقدس. فكلتا الخطوتين اجتياحٌ للقضية العربية الاولى والأهم: وحدة الموقف في مواجهة عالم خارجي لا يريد للعرب ان يتوحدوا ولا لمواقفهم ان تكون موقفاً.

ولا يختلف اثنان، من العرب أو من هذا العالم الخارجي، على ان اسوأ ما حل بالمنطقة منذ انشاء اسرائيل العام ١٩٤٨ تم في الفترة التي اعقبت زيارة السادات للقدس، من اتفاقات كامب ديفيد إلى حرب لبنان إلى حرب الخليج إلى مسلسل التنازلات الفلسطينية ـ بعد العربية طبعاً ـ عن جوهر القضية الاساسية، قضية فلسطين.

الآن، وبعد الاجتياح العراقي للكويت، تعلن المرحلة الجديدة عن نفسها استكمالاً منطقياً، وربما متعمداً، للمرحلة الاولى التي اعتقد بعض السذج في السياسة العربية ـ ونحن منهم ـ بانها انتهت عندما توصل العرب إلى حد ادنى من التضامن في قمة الدار البيضاء العام الماضي، وظنوا ان القمة الثانية التي عقدت في بغداد لم تنسفه، وكانوا ينتظرون ان تعززه القمة المقبلة المقررة في القاهرة بعد شهرين.

بعد زيارة القدس كان العرب عربين، مع الزيارة بحياء أو ضدها بحياء، ومعها إلى آخر الخط أو ضدها إلى آخر الخط. أما الآن، وسيزداد العدو في المستقبل ولا شك،

فالعرب عربان كثر. البعض ضد صدام ومع آل الصباح، والبعض ضد صدام وضد آل الصباح، والبعض مع صدام ومع آل الصباح، والبعض معه وضدهم، البعض مع الاجتياح العسكري، والبعض مع الاجتياح السياسي والاقتصادي. البعض ضد القوة ومع تحقيق المطالب بالسياسة، والبعض ضدهما معاً. والكل خائف في النهاية، من طموحات صدام السياسية أو من قدرات آل الصباح المالية، أو على الثروة النفطية، أو على نظام الحكم، أو على سلطة العائلة. . . والقليل القليل ـ ونحن منهم مرة أخرى ـ يخشى من ان يكون ذلك كله ذريعة لتدخل امريكي، واوروبي غربي، يعيد الارض والشعب والكرامة في المنطقة العربية إلى زمن الاحتلال الاجنبي الغابر.

ولعل ما يسمعه البعض، وما يقرأه خاصة في الصحف المصرية ـ وربما في غيرها ايضاً ـ من دعوة إلى «التوجه إلى البيت الابيض في اليوم الاسود» أو من مطالبة «بغزو امريكي يضع حداً لهتلر العراق»، دليلاً ليس على اليوم الاسود هذا ـ وهو اسود فعلاً ـ بل على المستقبل الكالح السواد للأمة كلها، ولكل قطر بل لكل فرد فيها على حدة.

وفي مثل هذا الغد الكالح، لن يستغرب أحد اذا ما عمدت اسرائيل إلى اعدام الانتفاضة في الاراضي المحتلة، باسلوب الاعدام العلني المستند إلى حكم قضائي تصدره محكمة اسرائيلية ـ أو غير اسرائيلية ـ تشكل على طريقة «الحكومة الثورية المؤقتة في الكويت».

ولن يستغرب أحد ان تدفع اسرائيل بالآف المهاجرين اليهود ليس إلى الضفة الغربية وقطاع غزة فقط، بل إلى جنوب لبنان والجولان والاردن أيضاً، لأن مثل هؤلاء يستحقون العيش ويستحقون،أكثر من ذلك،المساهمة في «تحضير» العرب والاستفادة من ثرواتهم التي يبددونها على مذبح الملذات أو الطموحات الشخصية، ولن يستغرب أحد ان يبرر المدافعون عن التنازلات الفلسطينية المزيد من هذه التنازلات، والساعون للحماية الاجنبية المزيد من هذه الحماية، والرافضون للرابطة القومية في لبنان أو في غيره المزيد من رفضهم لهذه الرابطة. . . والسلسلة طويلة طويلة في هذا المجال.

* * *

البعض يحصر المسألة في مطامع صدام،

والبعض يحصرها في اخطاء، وربما خطايا، آل الصباح،

لكن السذج، مثلنا، ينظرون إلى المسألة من هذا المنظار. . . الضيق، كما قد يظن أهل السياسة العربية الميامين.

وتلك هي المسألة التي تجعل «اجتياحاً» مثل زيارة السادات للقدس، ممكناً واجتياحاً آخر مثل اجتياح صدام للكويت ممكناً بدوره.

عن (السفير) ٨/٨



المعادلة الجديدة؟

غسان مكحل

تبدو المبادرة التي اطلقها الرئيس العراقي صدام حسين تجاه ايران خطوة طبيعية، بالنسبة للظروف التي وضع نفسه أو ربما وضِع فيها!

فهو جعل نفسه في مواجهة حامية مع الولايات المتحدة والغرب، عبر تهديده لـ «خزان النفط» الذي يعتبره الغرب ملكاً له في منطقة الخليج! ووضع نفسه في مواجهة مع غالبية الدول العربية عبر انتهاكه لمحرمات في النظام العربي، وعزل بلاده ضمن غالبية دول العالم عبر انتهاكه لسيادة دولة عضو في الامم المتحدة، متناسياً ان مثل هذه المزية ليست سوى من حق الدول العظمى.

وبالتالي فانه لم يجد طريقاً في ظروفه الحالية، سوى الالتجاء إلى عدوه القديم مستعيراً حتى الخطاب السياسي الذي اعتمدته الثورة الاسلامية الايرانية.

والرئيس العراقي يعرف ان دولة بحجم ايران لا يمكن ان تبقى على الهامش في الصراع الحالي في الخليج، وهي في الوقت نفسه لا يمكن ان تأخذ جانب الولايات المتحدة الامريكية لاسباب مبدئية وسياسية، حتى وان كانت على عداء معه ونظامه، وبالتالي فانه رأى في الظرف الايراني فرصة للنفاذ من الحصار الدولي الذي تقوده واشنطن ضده.

وما يساعده في ذلك ان الولايات المتحدة كانت حتى ما قبل بدء الصراع الحالي في

الخليج تواصل حربها السياسية والاقتصادية بهدف تركيع طهران.

وبالرغم من ان الغرب خطا خطوة رئيسية باتجاه طهران في الايام الاولى لبدء ازمة الخليج، عبر الاعتذار الذي وجهته الحكومة البريطانية إلى ايران مما فتح الطريق أمام عودة العلاقات الدبلوماسية بين لندن وطهران، إلا ان العقبات ما زالت لا تحصى أمام تحسن اساسي في العلاقات بين طهران والغرب عموماً والولايات المتحدة خصوصاً، وربما كانت احدى ابرز هذه العقبات استمرار احتجاز الارصدة الايرانية في المصارف الامريكية والغربية.

فصدام حسين الذي خاض حرباً ضد ايران استمرت ثماني سنوات، بالنيابة عن الغرب، وبدعم من الغرب لم يجد أمامه سوى منافسة الغرب على خطب ود طهران في الازمة الحالية، وهو بالتالي اعطى الايرانيين ما سعوا اليه حرباً وسلماً منذ العام ١٩٨٠.

وعلى الصعيد الاقليمي فان احتمال نجاح صدام في الوصول إلى علاقات حسنة مع طهران، يخفف إلى حد كبير من الضغط الذي يمكن ان تشكله انقرة التي اخذت علانية جانب الولايات المتحدة في ازمة الخليج.

والمبادرة العراقية تجاه ايران والخطاب السياسي الذي تتحدث به بغداد حالياً، يهدف ايضاً من بين ما يهدف، إلى استمالة التيارات الاسلامية في الوطن العربي وخارجه، وتستطيع بغداد في حال نجاحها في هذه الخطوة التخفيف إلى حد كبير من اندفاع دول عربية في خوض الصراع ضدها.

ولا شك ان الرئيس العراقي لم يجد من سبيل للخلاص من الازمة العالق بها سوى حشد دعم القوى التي قاد الصراع ضدها طوال العقد الماضي. »

والمهم في المبادرة العراقية انه في حال نجاحها، فانها ستحول دون فرض حصار جدي على العراق، وهي ايضاً ستزيد من موقع طهران في الخريطة السياسية للمنطقة.

عن (السفير) ٨/١٦



كي لا يستمر الهروب إلى الامام
أليس الامر عسير الهضم جدا؟

عميد خولي

في التعامل مع الحدث الخليجي، تحليلاً ونتائج وتقويماً وتوقعات، والذي سميّ دبلوماسية ومجاملة، الاجتياح العراقي للكويت، يصعب على أي منا تحديد نقطة البدء، ويصعب بالتالي بل يستحيل الزعم أو التكهن بالكيفية التي ستنتهي اليها الاحداث والصورة التي سيُغلق عليها المشهد.

ذلك ان الحدث في خطورته المُتخيلة مفتوح على كل أنواع المجاهيل، مفتوح على الكارثة القومية الشاملة إذا اصرّ صدام على الاستمرار في هروبه إلى الامام ورفض الحل العربي الذي اعتمد في قمة القاهرة، والحل الدولي الذي تمثل بقرار مجلس الامن ٦٦٠.

ويبدو ان صدام لا يفكر بالالتفات إلى الخلف نهائياً، بمعنى إنه مستمر في تحديه كل أنواع المنطقيات في العمل السياسي، مستمر في اصراره على تحدي امتنا وتحدي العالم والمعادلات التي تحكم الامة والعالم وهي موضوعيات لا يتاح لاحد القفز فوقها وخاصة في عقد المتغيرات الدولية.

وهو بالتالي، وربما كان الاخطر، ينقلب على شعاراته، على حجته الوحيدة في القفز إلى المجهول حين اجتاح الكويت بحجة وحدوية وقومية. فاذا به ينقلب على هذه الحجة، بل تتكشف الحجة عن فراغ قومي وحدوي، وعن كراهية للعمل القومي الوحدوي عبر انكشاف رغبة جامحة في الضم والاحتواء دون أية أرضية وحدوية أو بعد قومي اصيلين،

فهكذا ممارسات تكاد تكفّر الامة وجماهيرها بهكذا وحدات.

نعود إلى البداية إلى المجهول المخيف الذي يزج به صدام امته ويدفعها دفعاً إلى اتونه دون اية مصلحة مرئية قطرية أو قومية لأي من اقطارها. ومن ثم يدفع شعب العراق إلى الموت المجاني، إلى الدمار الشامل بغير أي افق أو طموح أو مستقبل أو قضية يموت من أجلها!

ولعلها كانت واضحة تماماً الاشارة إلى مثل هذا الاحتمال في بيان قمة الاسكندرية الرباعية حين حمل بيانها تحذيراً، أو أملاً من الرؤساء الاسد ومبارك وبن جديد والقذافي بان ينسحب العراق من الكويت لدرء الاخطار عن شعب العراق.. ولا شك انهم يدركون جيداً تلك الاخطار.

وحين نعود إلى يوميات الاجتياح، وتطور الموقف العراقي منذ ما سمي «الحكومة الحرة المؤقتة» إلى اعلان عملية الضم والالحاق.. إلى رفض الحل العربي والدولي إلى العودة إلى اتفاق الجزائر مع ايران.. بكل ما تحمله هذه المواقف من دراماتيكية، وعناصر الدهشة والذهول، نجد ان صدام لا يزال مصراً على الهروب إلى الامام وعلى المبدأ الشائع «عليّ وعلى اعدائي».

وواضح من خلال هذا الاصرار ان الامة كلها صارت عدواً يجب الانتقام منه لان الانفجار لن يوفر أحداً، وهو في تداعياته وشظاياه الجانبية سيطال المزيد من الدعم العربي ويوسع دائرة الموت. ويستحيل في حالة كهذه ان يُسيطر على الموقف فتنفلت الغرائز على كل ممارسة. وستكون الفرصة سانحة لاسرائيل للتسلل واداء دور قذر وفي أي اتجاه يخدم مصالحها واستراتيجيتها ويعمم الموت على العرب!

والغريب في سياق الحدث الاخطر، ان يحمل العراق على القوات الغربية التي استقدمها بنفسه عندما اجتاح الكويت، ويخوض معركة طواحين الهواء، وهو يدرك جيداً ان قراراً كهذا بابتلاع الكويت لابد ان يؤدي إلى استقدام القوات الاجنبية، خاصة وانه رفض كذلك القوات العربية. وتم تأخير عقد القمة العربية حتى استكملت القوات الغربية أخذ مواقعها في الخليج.

وحين يشترط صدام انسحاب هذه القوات لا يسمح لنفسه بأن يربط انسحابها بانسحاب القوات العراقية من ارض عربية شقيقة وأخت وجارة شاركت بسخاء في تمويل حربه ضد ايران والتي خاضها بشعارات ليست أقل تسطيحاً وبهوتاً من شعاراته التي يغطي بها الآن اجتياح الكويت.

أليس جديراً به ان ينسحب من أرض عربية دون شروط قبل ان يطلب من القوات الاخرى الانسحاب وهي التي حرضّها على دخول الخليج عبر اجتياحه الكويت!

لن نتحدث عن السبب والنتيجة، وضرورة معالجة السبب أولاً، وهو صدام والاجتياح، ومن ثم نلتفت إلى النتيجة وهي هذا الاحتقان الخطر في الخليج . . وهو الذي استدعاه عملياً لأن السياسة بنتائجها. وهذا الحضور الغربي المكثف ألم يكن موجوداً خلال حربه مع ايران. بل ألم يكشف أحد وزراء الخارجية العرب انه أي صدام هو الذي سعى بالحاح لديه ولدى حكومات خليجية أخرى بالعمل لدى امريكا من أجل احضار الاساطيل إلى المنطقة.وقد امتلأ الخليج بقعقعة السلاح الغربي الذي أدى خدمات معروفة جيداً لصدام في المعارك الحربية أنئذ. ثم ألم يطلب من الكويت ان ترفع العلم الامريكي على ناقلات النفط؟

. . . صيف وشتاء على سطح واحد!

صحيح ان السياسة بنتائجها وصحيح أكثر ان اجتياح الكويت هو الذي أدى إلى هذه العمارات البحرية والترسانات المسلحة الموجودة الآن. وصحيح بالتبعية ان سياسة بهذا الارتجال والغريزية قد تقود الامة إلى كارثة قد لا يستطيع أحد ضبط مفاعيلها ومضاعفاتها وتداعياتها.

هل التبست الرؤية وضاع السمت فانتقلت فلسطين المحتلة من موقعها على الجغرافية العربية إلى مكان آخر؟ ألم يكن الاجدر ان تسقط التحالفات وتعقد التحالفات الجديدة والاتفاقات على أساس يوفر التفرغ للعدو الرئيسي والوحيد اسرائيل؟

أليس من الضرورات الاستراتيجية ان تكون كل الاتفاقات والتحالفات والجهد العربي لصالح المعركة الام والوحيدة؟

قد يكون مقبولاً ومبرراً عربياً وجماهيرياً ان يلغي العراق ما يشاء ويعقد ما يشاء من اتفاقات وصفقات من أجل مصلحة قومية عليا، وان ينقلب على الاساس الذي خاض عليه اشرس الحروب مع ايران فيغير كل بنائه الدعائي ويلغي خطابه السياسي كله لسنوات طويلة، فيلغي اتفاق آذار مع ايران من أجل التفرغ لاسرائيل والمعركة المصيرية. . أما من أجل الكويت؟! فهذا أمر يحتاج إلى مزيد من الوقت للتعامل معه. . لانه عسير الهضم جداً. . أليس كذلك؟!

عن (الثورة) دمشق في ٨/١٨



... ومن يحرر الامة من أسر الحروب الامريكية؟

طلال سلمان

مفرح هو خبر «تحرير» اسرى الحرب العراقية ـ الايرانية، بمعزل عن ملابساته السياسية. لكن هذه البشرى باطلاق عشرات الوف الضحايا للحرب الخاطئة تتضمن أكثر من مفارقة محزنة.

● المفارقة الاولى ـ ان الاسرى العراقيين، تحديداً، انما يطلقون فيستعادون لكي يشاركوا في حرب خاطئة أخرى، قد تودي بهم وبالعراق الذي يرى فيه الكثير من العرب «ترس الأمة».

● المفارقة الثانية، وهي الاقسى ـ ان هؤلاء الاسرى يطلقون بينما يتسبب قرار جديد لصاحب «القادسية» ذاته في اسقاط الأمة برمتها ـ هذه المرة ـ في الاسر.

ان الأمة، الآن، في الشرك الامريكي: مهيضة الجناح، مرتهنة الارادة، غير قادرة على المقاومة لأن الحرب قد فرضت عليها، مرة أخرى، في الزمان الخطأ والمكان الخطأ وبالشعار الخطأ.

وليس من العدل ان نخسر الأمة بحجة اننا نريد ان «نربح» الكويت، وليس منطقياً ان نواجه العالم كله بذريعة اننا نريد «منازلة» الامبريالية.

ويوم كانت هذه الامة تخوض نضالها الحق، بشعاراتها الصحيحة، ضد الامبريالية والصهيونية والاستعمار، قديمه والجديد، كان «العالم» كله إلى جانبها، يسلم لها بجدارتها

وحقها في ان تكون طليعته لصلابتها ووضوح الرؤية لدى قيادتها التاريخية.

ألم تكن الولايات المتحدة الامريكية، بكل جبروتها (ومعها اسرائيل) اقلية ضئيلة في الامم المتحدة لا تستطيع تعطيل قرار ولا تملك تزوير ارادة المجتمع الدولي وادعاء النطق باسمه وتنفيذ احكامه، كما تفعل اليوم؟!

كان كل ما تملكه هو حق الفيتو في مجلس الامن الدولي، ولقد استخدمته حتى استهلكته، وكان اسرافها في استخدامه يؤلب عليها الشعوب في اربع رياح الارض ويظهرها في صورتها الحقيقية: قوة غاصبة وعاتية تسخر قدراتها غير المحدودة لاذلال الانسان في كل أرض، ولقهر الشعوب ومنعها من ممارسة حقوقها الطبيعية في التحرر والتقدم والاسهام ـ بقدراتها، مهما تواضعت ـ في صنع الحضارة الانسانية.

اليوم، وبأفضال صدام، تقدم الولايات المتحدة نفسها للعالم بوصفها مجسدة ارادة المجتمع الدولي، وتكاد تضربنا ـ نحن الضحايا ـ تحت علم الامم المتحدة وباسم تنفيذ قرار مجلس الامن، الذي كان ملجأنا وملاذنا الاخير!!

ألم يكن اعز مطالبنا حتى الأمس القريب «تنفيذ قرارات مجلس الأمن الدولي» وبالتحديد ما يتصل منها بنتائج الحروب الاسرائيلية على الأمة، أي باستمرار الاحتلال الاسرائيلي لاراضي ثلاث دول عربية اضافة إلى فلسطين من النهر إلى البحر؟!

لقد تحول الضحايا إلى عصاة خارجين عن الارادة الدولية!!

ومن العبث اليوم ان نحاول تذكير العالم بقرارات الامم المتحدة ومجلس الأمن الخاصة بتقسيم فلسطين أو باجلاء الاحتلال الاسرائيلي عن الاراضي العربية المحتلة بما فيها معظم الجنوب اللبناني.

وصحيح ان صدام حسين ليس هو المسؤول عن التحولات المذهلة التي جعلت الامبريالية الامريكية سيدة الكون، ولكنه بتصرفه الاخرق اعطاها الذريعة لأن تأسر الأمة العربية جميعاً، وتسترهن ارادتها وثروتها بوضع اليد، مموهة تدخلها الفظ بالراية الزرقاء للامم المتحدة ومبرقعة هيمنتها العسكرية المباشرة بقرار مجلس الامن ٦٦١ المعبر عن «ارادة المجتمع الدولي».

لقد سعى صدام حسين وراء بعض اوهامه فكانت النتيجة ان حقق للامبريالية الامريكية بعض اعز امنياتها واحلامها في السيطرة المباشرة والكلية على الأمة والمنطقة برمتها.

ولقد نجح في اجتياح الكيان الكرتوني لدولة الكويت «العظمى»، ولكنه وضع العراق في مهب الريح العاتية، بشعبه وجيشه وامكاناته التي كانت الأمة تعتز بها وتفاخر.

ومن حق العرب اليوم ان يخافوا على عراقهم خوفهم على سائر اقطارهم المهددة

بويلات لا يمكن حصرها ولا هم بقادرين على جبهها.

فالعراق أغلى على قلب الامة من صدام حسين وأي حاكم آخر.

والامة تريد سلامة العراق ولو من دون الكويت، حتى اشعار آخر، لأن الكويت ـ على فرض انها سلمت ـ لن تعوض العراق اذا ما تعرض للدمار، لا سمح الله.

والهم، مرة أخرى، كيف ننقذ العراق، وليس بأي حال كيف ننقذ آل الصباح ومن ماثلهم من شيوخ النفط السفهاء!.

* * *

حربان ضدك!!

. . . وبالتداعي المنطقي فقط يمكن التوقف أمام بعض الظواهر الملفتة والمفسرة لسياق الاحداث الساخنة التي ترج ارضنا وكرامتنا وعقولنا وعواطفنا. . . وبينها:

●●● عندما هاجم صدام حسين ايران، لم يحشد الرئيس الامريكي الشرس رونالد ريغان الاساطيل ولم يرسل القوات المجوقلة ولا تلك المدربة على الحرب الكيمياوية ولم يستدع الاحتياطي، ولم يستعن بالطائرات الشبحية التي لا يلتقطها الرادار.

كانت حرب صدام حسين لوحدها قادرة على حماية المصالح الحيوية للولايات المتحدة الامريكية والغرب عموماً، واسرائيل ضمناً.

بل لعلها كانت افعل من الجيوش والاساطيل الامريكية والغربية مجتمعة.

ولم نشهد على امتداد السنوات الطويلة لتلك الحرب المدمرة والمريرة تظاهرة كراهية حربية هائلة كالتي تتصدر صحفنا وشاشات التلفزيون وتتسلل كوابيس إلى اذهان اطفالنا واطفال الدنيا بأسرها مؤكدة جبروت الطاغوت الامريكي.

●●● أكثر من هذا: لم يقلق ريغان، لحظة واحدة، على النفط (الشريان الحيوي للحضارة الغربية!!) وهو يرى آباره في قطرين اساسيين من الاقطار المنتجة مهددة بالدمار والنسف والتدمير الشامل وضياع الذهب الاسود هباء!

كل ما فعله السيد الامريكي انه انصرف إلى جني الثمار الشهية لحرب القادسية ومن بينها:

● نتائج المواجهة المفتعلة بين العروبة والاسلام، وكأنهما عدوان لدودان، في حين انهما حليفان تاريخيان طبيعيان مجدهما واحد وعزهما واحد لا ينهض واحدهما على حساب الآخر ومن دون الآخر فاذا ما سقط اسقط معه الآخر بالضرورة، ذلك ان حبل السرة بينهما لا ينقطع فاذا ما انقطع أو اصابه وهن كان «التوأمان» عرضة للتهافت وفقدان المناعة والاندثار.

● اضعاف الامة العربية بافقادها أحد أهم اصدقائها، ايران خصوصاً وقد اعادتها

الثورة الاسلامية إلى الصراط المستقيم فخرجت من تل ابيب حيث وضعها الشاه طالبة القدس الشريف، أول الحرمين وثاني القبلتين للعرب والمسلمين.

● انهاك الامة العربية باشغال واحد من أهم جيوشها في حرب بلا نهاية ضد بلد كان آتياً إلى صداقتنا فذهبنا إلى معاداته أو تركناه يذهب إلى معاداتنا إلى حد التدمير الشامل للامتين الجارتين والشريكتين في الاسلام وفي المصالح الحيوية وفي العداء للامبريالية والصهيونية والاستعمار، من حيث المبدأ.

● ضرب فكرة الثورة في ايران، وتشويهها ومقاتلتها لحرفها عن مسارها واجبارها على الارتداد إلى الفارسية ومن ثم على العودة إلى احضان الامبريالية ساحبة معها سائر الاقطار الاسلامية التي ينظمها المؤتمر الامريكي اياه.

● فرض مزيد من الخلخلة والاضطراب على المجتمع العربي، واستحداث المزيد من اسباب الشقاق والتباعد والتباغض والتناحر بين الانظمة، بل وحتى بين «الشعوب» العربية ودفعها إلى مواجهة بعضها البعض بقوة السلاح احياناً.

● هدر ثروة العرب القومية وثروة ايران في حرب لا يفيد منها إلا اعداء الطرفين وفي الطليعة منهم الامبريالية الامريكية والاستعمار الاستيطاني الاسرائيلي.

واستطراداً تمكين الامريكي من شفط النفطين العربي والايراني، ومن ثم نفط العالم الثالث، على حساب حق شعوب هذه المنطقة في التقدم واللحاق بالعصر.

اليوم وعبر الحرب الثانية التي يورط صدام حسين الامة فيها، ومرة أخرى في الزمان الخطأ والمكان الخطأ وبالشعار الخطأ، تتحقق للولايات المتحدة الاهداف التي قصرت الحرب الاولى في تحقيقها، ومن بينها:

●● السيطرة المباشرة على المشرق العربي برمته، سياسياً وعسكرياً واقتصادياً.

●● تطويع دول العالم كلها في حملة كراهية عز نظيرها ضد العرب، كأمة، .

●● تدجين دول اوربا الغربية واليابان واستخدام الثروة العربية (المصادرة) لفرض التبعية عليها والتسليم بالهيمنة الامريكية المطلقة.

●● فرض مزيد من التفكك على المجتمع العربي بحيث يكاد ينكر الاخ اخاه، ويحاول كل حماية رأسه ولو على حساب الآخر أو مجموع الأمة.

فوسط هذا الحشد من الجيوش والاساطيل التي تفرض الحصار على الأمة، لا يستطيع أي عربي ـ حاكماً كان أو محكوماً ـ اني يدّعي بعدُ ان قراره حر، وان ارادته غير مرتهنة، بمن في ذلك اولئك الذين استدعوا العسكر الامريكي لحمايتهم مستجيرين به (!!) من اطماع الشقيق ذي المليون جندي وأكثر!

. . ومع ذلك فان بوش يتابع ممارسة هوايته في لعب الغولف ويطلق تهديداته بابادتنا

بين طابة وأخرى!!

* * *

تقدم إلى . . . القرن الماضي!

من قال اننا لا نتقدم كفاية؟!

ها هو النظام العربي العظيم يحقق بعض أهم انجازاته، عبر مغامرة صدام حسين وانداده الميامين، فيعيد الأمة قرناً كاملاً إلى الخلف. .

أليست صور الوقائع اليومية التي تفقأ عيوننا كل لحظة مشابهة تماماً لتلك التي شهدها اسلافنا في القرن الماضي (مع فارق في الحجم والاعداد ووسائل التقدم الحضاري)!!

على ان اجدادنا كانوا أسعد حظاً منا اذ لم تكن هناك عدسات واقمار صناعية وتلفزيونات واذاعات وصحف ومجلات ملونة، وهكذا لم «يخلد» أحد قضيتهم وعار استسلامهم لقوة القهر الاجنبية، في حين ان عار جيلنا الذي تقدم مائة سنة إلى الخلف سيخلَّد بالصوت المجسم والصورة الملونة قياس الف بوصة!.

* * *

اللحى والوطن!

خبران من اسرائيل يستوقفان ويدفعان إلى التأمل:

● الاول جاء على شكل تصريح لرئيس دولة اسرائيل وقال فيه هرتزوغ، مستخلصاً بعض وقائع غزوة صدام: ان الاحداث الجارية الآن، ومن قبلها حرب الخليج، تدل بما لا يدع مجالاً للشك على ان الصراع العربي - الاسرائيلي ليس هو القضية المركزية لدول الشرق الاوسط وشعوبها،

(. . . ولولا بعض التحفظ لقال هرتزوغ ان الصراع العربي - الاسرائيلي لم يعد القضية المركزية لنضال الامة العربية، ولم يعد تحرير فلسطين بين اهتمامات قياداتها الفذة). . .

● الخبر الثاني يفيد ان اقنعة الغاز لا تحمي اصحاب اللحى، اذا ما وقعت حرب كيمياوية، ولهذا فقد نصح كبير الحاخامين اصحاب اللحى من المتدينين اليهود بان يحتفظوا بمقصات في جيوبهم لاستخدامها عند الحاجة!

الحرب أهم من اللحية عند الحاخام،

وفي بعض انحاء بلادنا يضع البعض لحاهم فوق الوطن والأمة والدين ذاته!

* * *

خيار بين مقامرَيْن؟!

هل جاءكم خبر ذلك النفطي «العربي» الذي خسر ١٦ مليون دولار على مائدة القمار في كازينو «كارلتون» بمدينة كان في جنوب فرنسا؟!

وهل خيارنا حتمي بين طاغية فرد مقامر بمصير وطن ومصير أمة ارضاء لطاووسيته،

وبين نفطي سفيه يقامر بمال عام سرقه من ثروة الامة ذهب يبدده مبدداً معه كرامتها وجدارتها واهليتها بان تكون ذات دور؟!

كلاهما مقامر، وكلاهما يعمل لالحاق الهزيمة بالامة،

. . . ومن هنا صعوبة الحرب المفروضة عليك، فجبهاتها أكثر مما تطيق، خصوصاً وانها قد فتحت عليك معاً!.

ولعل بين ما يعزيك القول: لو لم تكن قوياً (بمعنوياتك!) إلى هذا الحد لما استلزم الأمر كل هذا الحشد المهيب من الداخل والخارج!.

عن (السفير) ٨/١٨

حرامي بغداد

بعد مرور ما يقرب من عشرةاعوامعلى الاجتياح العراقي لايران، في ايلول من عام ١٩٨٠ ، عاود الرئيس صدام حسين الكرّة، بارسال قواته لاحتلال امارة الكويت الصغيرة الغنية. ومنذ عشرة أعوام كان رجل بغداد القوي، قد ادعى لنفسه الحق بالدفاع المشروع، وكان قد أكد انه سيضع حداً للانتهاكات الايرانية المستمرة التي تتعرض لها حدوده.

وقد استخدم العراقيون، هذه المرة، ايضاً الحجج نفسها، ولم يترددوا باتهام الكويتيين بسرقة نفطهم، منذ عام ١٩٨٠ ، وبقضم اراضيهم ايضاً. لكن من هو، في الحقيقة، الذي يهدد الآخر، أهو العراق أم الكويت؟ ان نظرة بسيطة إلى الخارطة تكفي لمعرفة من هو المعتدي ومن هو اللص، فعلاً، كما ان هذه النظرة تكفي ايضاً لمعرفة ميزان القوى بين البلدين.

ومن أجل ان يخفي الرئيس صدام حسين اطماعه بشكل أفضل، فانه ادعى انه منقذ، وأكد ان تدخلهُ جاء بناء على «طلب الحكومة الكويتية الجديدة الحرة والموقتة» لكن ماذا تمثل هذه الحكومة الجديدة، ان وجدت، والتي أعلن عن وجودها لتبرير اعتداء واجتياح؟

يريد الرئيس صدام حسين، وببساطة، ضم امارة الكويت الواسعة الثراء، محققاً بذلك حلم الدكتاتور العراقي السابق عبد الكريم قاسم، الذي كان قد اكتشف، بعد بضعة

ايام فقط، من اعلان الاستقلال الكويتي، ان الامارة «جزء لا يتجزأ من العراق».

ويبدو ان كل شيء يشير إلى ان الرئيس حسين قد وصل إلى نتيجة مفادها أن الوضع المأساوي للاقتصاد العراقي، وهذا أمر ناجم عن الحرب الباهضة الثمن مع ايران، لا يمكن علاجه إلا عن طريق اجتياح جديد، يكون هذه المرة مربحاً لانه يستهدف الصناديق الحديدية للكويت.

والاسابيع الثلاثة التي سبقت هجوم يوم الخميس والتي كانت غنية بالتهديدات العراقية، المقنعة تقريباً، قد اظهرت للرئيس صدام حسين انه يستطيع التصرف دون ان يقف في وجهه أحد تقريباً. وعدم الاكتراث، غير المعقول، وحتى المداهنة، للعالم العربي، أمام التصرفات العدوانية لرجل بغداد القوي، الذي يريد ان يصبح الحارس الجديد للخليج، قد سهل بدون شك اتخاذ القرار باجتياح الامارة.

وكذلك الأمر فان تشكيل برلمان كويتي، لا حول له ولا قوة يعمل بناء على اوامر العائلة الحاكمة، قد ساهم في اضعاف مكانة آل الصباح في نظر السكان، وحمل الأمل إلى العراقيين بانهم سيجدون في الكويت تفهماً ما. ومن المحتمل، ان يكون الأمر هنا خطأ في الحساب لأنه من النادر ايجاد هؤلاء الذين يقبلون التعامل عندما تكون بلادهم تحت احتلال قوة عسكرية.

افتتاحية (لوموند) ٨/٣

ندم متأخر

رد المجتمع الدولي بشكل نشط على ضربة صدام حسين للكويت، فقد جمدت الولايات المتحدة الامريكية وفرنسة. وبريطانيا الممتلكات العراقية والكويتية، وقرر الرئيس بوش فرض مقاطعة اقتصادية شاملة على العراق، وطالب بعقد اجتماع طارىء لمجلس الامن الدولي الذي تبنى قراراً سريعاً يدين الاجتياح العراقي وذلك باجماع نادر الحدوث، بشكل خاص. وأخيراً، فان الاتحاد السوفييتي، اظهر تضامناً فعالاً وفورياً للرفض الدولي للاجتياح وهذه بادرة جديدة، وفرض حظراً على ارسال السلاح إلى بغداد، شريكه التجاري الرئيسي في المنطقة.

هذا التصرف لم يؤثر، مع ذلك، حتى الآن، على السيد صدام حسين. لقد رد المجتمع الدولي. بعد ان اصبح من الصعب السكوت على الجريمة، لكنه لم يعرف كيف يتداركها. أما اسرائيل، فانها تستمتع باحتقار سلبية العالم الغربي في الاسابيع الماضية الاخيرة وتتهمه، بشكل خاص، بمداهنة صدام حسين، بشكل كبير في الفترة الماضية وفي

المقام الاول فرنسا، وتقارن بين تصاعد قوة هذا الرجل الذي يطرح نفسه كرجل قوي جديد في المنطقة، وبين تصاعد قوة هتلر التي ساهم فيها العالم بخموله في اعوام الثلاثينات.

لكن ضحية العراق، هذه المرة، ضحية غنية والرهان الاقتصادي بالنسبة للغربيين رهان ضخم. اذا كانت شكوك اسرائيل وتشاؤمها، لها ما يبررها، فان المجتمع الدولي لديه اوراقاً ليلعب بها، مع ذلك.

لقد كانت الاولوية، بالنسبة للوقت الحاضر، وبشكل خاص في المنظور الامريكي، لعزل العراق سياسياً. لكن هناك صوت واحد مفقود، بشكل يثير القلق في سياق حفلة الادانات، انه صوت العالم العربي، الذي استنكرت منه لبنان والمغرب والجزائر الاعتداء، بينما اظهرت دوله الاخرى، حتى الآن، تحفظاً كبيراً، خشية تدخل خارجي يعصف بالمنطقة، أو بسبب الخوف من العراق.

والولايات المتحدة الامريكية بحاجة ماسة لتعاون بعض هذه الدول وتعاون اوربا واليابان من أجل انجاح المرحلة الثانية من ردها، وهي مرحلة العزل الاقتصادي للعراق. وهذا الاجماع يمكن ان يتعرض لخطر الكسر في الواقع، أمام ظهور ازمة بترولية عالمية ثالثة في الافق، وارتفاع اسعار النفط، الذي سينجم عن فرض الحظر الشامل على النفط العراقي، يجب ان يجد له تعويضاً بالعامل الموازن لزيادة انتاج النفط في العربية السعودية. اذن فالرياض هي في المحل الاول. وهذا يؤدي إلى احتمال فرض حماية دولية على حقول النفط السعودية.

وهكذا، فاننا لا نعرف كيف سيقوم المجتمع الدولي، اذا قرر العمل بشكل فعال، بفرض حظر اقتصادي، دون ان يزمع في الوقت نفسه بدعم هذا الحظر عسكرياً. لكن الامم المتحدة، قد اسست اصلاً. من أجل هذا الهدف.

افتتاحية (لوموند)

٨/٤



هل ولى النفط الزهيد الثمن؟

ليه بروس

استنادا إلى المحللين والاقتصاديين ستقرر نزوة الرئيس صدام حسين ومقدرة المجتمع الدولي على ممارسة ضغط قوي عليه ما اذا كان الارتفاع الكبير لاسعار النفط سيبقى على حاله بعد غزو العراق للكويت.

ان الاقتصاديين متفقون على انه اذا ما وصل سعر برميل النفط الواحد إلى ٢٥ دولار أو أعلى من ذلك وبقي على هذه الحال بضعة أشهر فالنتيجة ستكون ركوداً عظيماً في العالم الصناعي.

والمحللون يقولون ان السؤال الرئيسي هو ما اذا كان السعر سيبقى على ذلك المستوى أم انه سيتراجع إلى ٢١ دولاراً للبرميل الذي وافقت عليه منظمة الدول المصدرة للنفط في الاسبوع الماضي في جنيف.

واستناداً إلى تقديرات (كيث شيوك) الاقتصادي الرئيسي في سوق المال جيمس كابل وشركاه في لندن فان سعر ٢٥ دولاراً للبرميل الواحد سيزيد نسبة التضخم في العالم ٢ - ٢,٥ في المائة في نهاية العام القادم وسينخفض الانتاج بنسبة ٢ في المائة.

فقد قال «ليس ثمة موضوع سوى ان ارتفاع اسعار النفط سيضاعف الضغوط على معدلات الفائدة ويعزز التضخم في العالم.

فالدولار قفز أكثر من ٢ في المائة في اوربا بسبب هروع المستثمرين لضمان

السلامة في النقد الامريكي. وفيما بعد اغلق سوق نيويورك وسعر الدولار ١,٥٩ مارك الماني. وكذلك ارتفع سعر الدولار ما يزيد عن ينين وسط مخاوف من ان تصاعد اسعار النفط سيؤدي إلى تضخم في سوق اليابان وإلى الحاق الاذى بالتوازن التجاري في اليابان.

كما أدت انباء الغزو إلى حدوث سلسلة من ردود الفعل أدت إلى هبوط اسعار الاسهم أولاً في آسيا ومن ثم في اوربا وأخيراً في الولايات المتحدة.

وقد تقرر في اجتماع الاوبيك الذي تم عقده في جنيف ان يكون سعر برميل النفط ٢١ دولاراً وان يكون الحد الاعلى للانتاج ٢٢,٥ مليون برميل في اليوم للدول الثلاث عشرة الاعضاء، وقد تم التوصل إلى الاتفاقية بسبب قعقعة السيوف العراقية الموجهة إلى الكويت والامارات العربية بسبب تجاوزها منذ فترة طويلة حصتها من الانتاج.

ومع نفط الكويت فان العراق يسيطر الآن على ٢٠ في المائة من الاحتياطي العالمي المكتشف وعلى حوالي ربع انتاج الشرق الاوسط وهو في ذلك الثاني بعد العربية السعودية. ولكن خلافاً للسعوديين يتمتع صدام حسين بمكانة قوة عظمى عسكرية محلية واستعداد أكيد لاستخدام القوة.

«حتى صبيحة هذا اليومعهدنالدى الاوبيك مفهوماً واقعياً ولكن ماذا لدينا الآن»؟ تساءل ريتشارد جونز الذي يعمل في كاونتي ناتويست وودماك. واضاف قائلاً: «اننا لا نتعامل بالضرورة مع اشخاص عقلانيين هنا».

وقال «اذا كان الخياران ان يكون صدام حسين في الرياض أو ان نحصل على ٤ دولارات اضافية للبرميل الواحد فالخيار واضح».

وقد أيد هنري هاريسون المحلل الكبير في شركة نفط يعمل في لندن ايد ذلك الرأي واضاف قائلاً: « ربما صدام وجيشه المحتل لن يبقى فقط في الكويت فربما اختار فيما بعد ممارسة ضغط على العربية السعودية أو تركيا أو سورية».

أما ستيف تورنر الذي يعمل في سميث نيوكروت في لندن فقد قال انه نتيجة للغزو فهو يتوقع ان يصل سعر النفط إلى سقف العشرينات من الدولارات في الشهرين التاليين بسبب حالة عدم الاستقرار والجهود المحتملة لزيادة البلدان الصناعية مخزونها الاحتياطي.

إلا انه يصر هو وآخرون ان سعر البرميل ما بين ٢٣ دولار و٢٥ دولار وسيبقى كذلك في العامين القادمين.

ورغم ذلك فان الصقور المسيطرين على اسعار النفط التي تضعها الاوبيك والذين يندفعون وراء التحالف غير المحتمل بين العراق الذي يعاني من نقص في الاموال وبين ايران والذين تدعمهم العربية السعودية هم الذين يسيطرون سيطرة تامة على المنظمة،وقد

قالوا ان عهد اسعار النفط المعتدلة والمنخفضة وعهد ضعف الاوبيك قد وليا.

ونتيجة لذلك فان الموضوع القديم المتعلق بامكانية الاعتماد على دعم الشرق الاوسط قد برز إلى المقدمة ثانية» هذا ما قاله السيد تورنر الذي يردد وجهات نظر العديد عندما تنبأ ان الازمة الاخيرة ستفجر جهوداً خطيرة مدعومة لدى البلدان الصناعية فيما يتعلق بتخفيض استهلاك النفط.

أما آلاستيّر هاريس الذي يعمل في تبادل النفط الدولي «انترناشيونال بيتروليوم ايكستشينج» في لندن فقد قال ان البلدان الغربية لا يحتمل ان «تدع نفسها فريسة لتضخم الانكماشي من جراء الاعمال العراقية وقد قال ان العالم الصناعي سيعمل على الحصول بسرعة على وقود بديل وعلى اجراءات وقائية».

ويتفق المحللون على ان الغرب ليس عرضة للهزات الناجمة عن النفط في الشرق الاوسط في الوقت الحاضر كما كان عليه في السبعينات وهم يقولون ان بلوغ سعر البرميل الواحد ٢٥ دولاراً ولكن انواع البدائل، من التكنولوجيات الحديثة، إلى المصادر البديلة عن النفط، اصبحت تجارباً متوفرة. والنتيجة قد تكون وفرة في النفط الزهيد الثمن في بضعة اعوام.

وقد علق السيد هاريسون قائلاً «ليس ثمة شك في ان حسين يؤذي على المدى الطويل نفسه وبقية اعضاء الاوبيك».

يقر معظم المحللون ان البلدان الصناعية قررت تخفيف استهلاكها للنفط من قبل لتعود إلى سابق عهدها عندما هبطت اسعار النفط في النصف الثاني من الثمانينات. إلا انهم يقولون ان الازمة الاخيرة جاءت تماماً عندما كانت الحكومات تعمل جاهدة لتخفيف استهلاك النفط بسبب الضغوط السياسية الممارسة حول البيئة.

هذا سيدفع كل شيء قدماً ليس فقط ارتفاع اسعار النفط الذي توقعنا حدوثه في اواخر التسعينات بل ردة فعل الحكومة ايضاً هذا ما قاله فيونا نيكول التابع لسبي ـ ال. سي.

ولكن مما يدعو إلى السخرية ان العديد من المحللين قالوا ايضاً انهم اعتقدوا ان حسين قد يصبح براغماتياً مشيرين في ذلك إلى بحث العراق وايران بصورة يائسة عن الاموال لاعادة بناء اقتصادياتهما المتداعية نتيجة للحرب وان من المستبعد ان تدعما تطوراً قد يؤدي إلى ركود عالمي وإلى تضاؤل الطلب على النفط.

وقال السيد جونز انهم تلقوا دروساً منذ فترة غير بعيدة في السبعينات والثمانينات. عندما أدت اسعار النفط المرتفعة إلى مشكلات اقتصادية عالمية اضافة إلى ان انخفاض الطلب على النفط سيشجع العراقيين للاتجاه إلى الاعتدال».

وبالرغم من ان قوة النفط معززة جداً الآن-يقول بعض المحللين انهم يعتقدون ان السيد حسين لا يستطيع ان يتجاهل تماماً وجهة نظر حلفائه الرئيسيين داخل الاوبيك : ايران والعربية السعودية .

ان دعم السعوديين للاسعار وكان حاسماً لخرق الكويت والامارات العربية لحصصها من الانتاج إلا انهم كانوا يصرون منذ زمن طويل على ان يرتبط ارتفاع الاسعار مباشرة بالزيادة على الطلب لتجنب هزة نفطية عالمية اخرى.

ولكن اتسمت وجهات نظر محللين آخرين بتشاؤم أكبر. وحسب السيد هاريسون : «ينقاد صدام حسين حالياً بضغط الحاجة القصيرة المدى والانتهازية وليس بفعل استراتيجية» .

عن (هيرالد تريبون)
٨/٣

النفط «المصدّم»

(. . .) ان تهديد الرئيس صدام حسين للاقتصاد العالمي يكمن في اربع أو خمس سنوات منذ الآن وذلك عندما تزداد قوة الاوبيك وكذلك مساهمة حقول نفط العراق والكويت الضخمة جداً في امداد العالم بالنفط.

ومثل هذه الآراء كانت بعيدة عن الذهن التجاري عندما انتشرت انباء غزو العراق الوقائي لجارته الصغيرة جداً فسعر نفط برنت ـ المؤشر لاسعار النفط في معظم العالم ـ ارتفع في الحال ووصل ٢٣ دولاراً للبرميل في حين كان فاترا قبل ثلاثة اسابيع حيث كان سعر البرميل دون الـ ١٦ دولاراً والذهب استعاد بحد ذاته عافيته في حزيران بعد الهبوط الذي مضى عليه عشر سنوات حيث ارتفع سعر الاونصة الواحدة ٥ دولارات ليصل إلى ٣٧٨,٥ دولاراً. والبورصة اهتزت إلا انها لم تنهار في الساعات التي تلت الغزو.

ومخاوف الارتفاع الفوري لاسعار النفط، والتضخم والركود اللذين سببانه مفهومه حتى ولو كانت وقائع الحالة الراهنة زائلة. فارتفاع الاسعار الثابت الذي وصل إلى ٢٣ دولار للبرميل قد يضاعف الضغوط على المصرفين المركزيين الياباني والالماني لرفع معدل فوائدهما. وعلى الرغم من ان امريكا تعتمد إلى حد ما على النفط المستورد فان اقتصادها اضعف من اقتصادهما، فزيادة اسعار النفط قد تعني انها لم تعد تستطيع المراوغة ما بين التضخم والركود فالاثنان معاً سيكونان لديها.

وفي الحقيقة هناك احتمال محاولة الرئيس صدام فرض رفع لاسعار النفط بممارسته سيطرته الجديدة على مخزون النفط العالمي. والبعض يقول ان زيادة في عائدات الاوبيك ستهدىء جاراته التي تنتابها الرهبة وستزيد من نفوذ العراق والشرق الاوسط بأكمله.

إلا ان ذلك مجرد فرصة فقط. والحقيقة هي ان وقف الامداد بالنفط لرفع اسعاره سيكون تكتيكياًباهظ الثمن بالنسبة إلى العراق اذا ما أراد اتباعه. ولفترة ما وبأي مقياس يتمتع مصدرو النفط بافضل حماية ازاء رئيس العراق الذي لا يرحم: فرفع الاسعار سيكون ضد مصالحه الفورية.

وفي اقتحام الكويت يحاول العراق ارضاء توقه للسلطة والمال. فحرب الخليج ضد ايران تركت الرئيس حسين يرزح تحت ديون تتراوح ما بين ٧٠ بليون دولار إلى ٨٠ بليون وهو يستطيع عن طريق عائدات النفط فقط تسديد دائنيه واطعام شعبه وملء مستودعاته بالاسلحة. واذا ما أراد العراق زيادة مكاسبه من النفط فلن يلزم العالم بالفدية بل سيضخ أكثر فأكثر.

ومن أجل استمرار الاسعار الباهظة يترتب ان يباري أي تخفيض للانتاج رفع لاسعار النفط. ولكن لفترة ملائمة من الوقت فان الامداد والطلب أو على الاغلب فرط الامداد والطلب الضعيف سيكونان كافيين لتقويض نتائج ترك النفط في أرضه. فقبل تهديدات حسين الاولية للكويت التي اطلقها في اواخر حزيران كان سعر البرميل الواحد من النفط ١٦ دولاراً. فاذا كان هذا هو سعره الضمني فان مطامح حسين النفطية التي صرح بها ذات مرة والتي يريد بموجبها ان يصل سعر البرميل الواحد إلى ٢٥ دولاراً تبدو بعيدة الاحتمال.

وقد انتجت الكويت والعراق في العام الماضي حوالي ٤,٥ مليون برميل في اليوم الواحد. وحتى لو تمكن السيد حسين في المضي بدون عائدات نفط الكويت التي تبلغ ٩ بليون دولار تقريباً عن طريق وقف تصديره كلياً فان العالم قد يتدبر أمره لفترة. وبدون غزو الكويت كان من الصعب تصور ارتفاع سعر النفط فوق ١٨ دولاراً للبرميل. واقتصاديو الاوبيك لم يقدروا فقط ان اعضاءها كانوا ينتجون فائضاً في معظم هذا الربع من القرن (ولو كان ذلك في الصيف عندما يكون الطلب ضعيفاً جداً) يقدر بـ ٢,٧ مليون برميل زيادة عن الطلب وبالاسعار الحالية - بل ايضاً بعد سنوات من انتاج فائض من النفط فان مستوردي النفط يجلسون فوق مخزون هائل.

ومثل هذه التقديرات ساعدت ايضاً الرئيس حسين على اتخاذ قرار الغزو وحتى قبل استهلال العراق هجومه اتفقت الكويت والامارات العربية المتحدة المملكة الصغيرة الغنية بالنفط في الخليج - على خفض انتاجهما النفطي بمقدار ٧٠٠.٠٠٠ برميل في

اليوم. ووزراء النفط الذين حضروا الاجتماع النصف السنوي الذي عقدته الاوبيك في جنيف في تموز حددوا سعر البرميل بـ ٢١ دولاراً. مع ذلك ولأن العالم مغمور بالنفط فان السعر سيستغرق كثيراً من الوقت ليصل إلى مثل هذه المستويات. ان الرئيس حسين يريد الاموال بسرعة وربما فكر انه من الافضل ان يضع يده على عائدات نفط الكويت الآن من ان ينتظر ارتفاع سعر نفطه.

والأمر القابل للتصديق هو ان الرئيس حسين سيحاول رفع اسعار النفط كما ان من المحتمل جداً ان يحافظ على الانتاج. يمكن القول ان مثل هذا الاستقرار سيلائم البلدان العربية التي تتطلع إلى استعادة توازنها بعد الغزو. فالهزات النفطية التي حدثت في السبعينات علمت الاوبيك حدود قوتها: فالنفط الباهظ الثمن يحفّز على استخدام الوقود الاخر.،، ويشجع على الاعتدال ويؤدي بآبار النفط غير المربحة، حتى الآن، إلى انتاج نفطها من دول غير الاوبيك. واذا ما انتشر العراق في الخليج فان الحديث عن أمن الطاقة لن يتأخر طويلاً وهذا لا يسر احداً.

والخطر الحقيقي يكمن أكثر في المستقبل. وسلطة الاوبيك مرشحة للنمو. فالطلب الحالي للعالم على النفط هو ٦٤ مليون برميل في اليوم. واذا استمر في الازدياد بالمعدل الذي كان عليه في العام ١٩٨٩ وهو ٥ , ١٪ في العام فسيزيد الانتاج في اليوم الواحد عشرة ملايين برميل بحلول العام ٢٠٠٠ ولذلك سيختفي الفائض النفطي الحالي في غضون بضع سنوات.

وفي الماضي زادت الدول خارج الاوبيك ذروتها في مساهمتها في السوق العالمي بمعدل مليون برميل يومياً في الفترة ما بين ١٩٧٨ ـ ١٩٨٥ ولكن في الآونة الاخيرة لم تكتشف هذه الدول نفطاً جديداً. وما لم تتم اكتشافات جديدة فان الكثير من الامداد الاضافي لمواجهة الطلب الكبير في التسعينات سيكون من قبل بلدان الاوبيك. والأكثر من ذلك ان ما ينتجه الاتحاد السوفييتي والذي وصل في العام الماضي إلى ما دون خمس نفط العالم قد ينخفض بسبب التكنولوجيا غير الحديثة والفساد السياسي.

والعدوان العراقي يظهر ان الاوبيك التي تتمتع بنفوذ قوي ستكون ايضاً اوبيك غير مستقرة ومتشددة. وهناك ثمة تهديد آخر وهو ان نزاعاً داخل الاوبيك ربما يوقع الفوضى في الانتاج. وحتى لو اقتنع العراق بهويته الجديدة فانه سيريد المزيد من الاوبيك. وتمتلك الكويت والعراق معاً حوالي ٢٠ في المائة من احتياطي النفط العالمي الثابت ـ وهذا ما لا تستطيع سوى العربية السعودية منافسته. والعراق يحاول منذ فترة طويلة اعادة، توزيع ثروة الاوبيك النفطية وفق متطلبات شعوب المنطقة. وبذلك يمكنه الفوز بحصة أكبر من الكمية التي تنتجها الاوبيك وقد كانت حصة كل عراقي ٢٧٥ دولاراً في العام الماضي من تصدير

النفط. وحتى لو اضفنا عائدات الكويت فهي ستترك العراق متخلفاً عن العربية السعودية بـ ٤٠٠ دولار حيث تبلغ حصة كل فرد فيها ١٤٤٠ دولاراً.

والقلق هو ان يقع العراق ثانية تحت اغراء استخدام التهديدات والتنمر لفرض ارادته داخل الاوبيك. لقد أعلنت العربية السعودية والامارات العربية المتحدة منذ الآن عن خططهما لتوفير المزيد من القدرة لمواجهة مثل هذا المطلب. والرئيس حسين لن يقف مكتوف الايدي.

وعلى الرغم من ان الاسواق لن تعاني فترة طويلة من ارتفاع اسعار النفط فان ارباكاً آخر يلوح في الافق. ماذا سيحل بالاستثمارات الكويتية التجارية المتعددة فيما وراء البحار التي تدز عليها ارباحاً معادلة لارباح النفط؟ السماسرة الغربيون يحاولون تخمين مقدار الاموال الكويتية المستثمرة في الغرب الرقم يصل كحد ادنى إلى ٥٠ -مليون دولار. كم يبلغ عدد المشاريع الاستثمارية التي يمكن بيعها الآن ؟في ٢ آب جمدت امريكا موجودات كل من العراق والكويت. وبريطانيا جمدت الموجودات الكويتية.

واستناداً إلى التقرير الاخير الصادر عن وحدة المعلومات التابعة للايكونومست بلغت المدخرات الكويتية في منتصف العام ١٩٨٨، تسعين بليون دولار وذلك المبلغ موزع بين الاحتياطي العام البالغ ٣٠ بليون دولار المستثمر في الممتلكات العربية غير النقدية التي تشمل، وياللسخرية قروضاً للعراق، وبين ٦٠ بليون دولار الاحتياطي المودع للاجيال القادمة الذي يفترض عدم المساس به) والذي هو مستثمر في اسهم الشركات وفي الاملاك. والاحتياطي المودع للاجيال القادمة ترتفع نسبته بموجب العائدات النفطية لكل عام.

وكلا الاحتياطيين تشرف عليهما السلطة الاستثمارية الكويتية. وعملياً فان معظم الاحتياطي المودع للاجيال القادمة يستثمره مكتب الاستثمار الكويتي وهو منظمة سرية تتخذ لندن قاعدة لها. وقد عمل مكتب الاستثمار الكويتي عبر البورصات الغربية. وأكبر مغامرة قام بها هي انه اشترى ما يزيد عن ٢١ في المائة من البريتش بيتروليوم التي ارغمتها الحكومة البريطانية على خفض انتاجها. وتماماً مثل الدعم المالي للبريتش بيتروليوم (الذي يقدر بـ٣,٣ بليون دولار) فان مكتب الاستثمار الكويتي، يملك اسهماً مالية في أكبر الشركات في المانيا الغربية بما في ذلك ديملر ـ بنز وهوكست وميتال كسلشافت. ان أحد المحللين يقدر ان قيمة المشاريع الاستثمارية التي يقوم بها مكتب الاستثمار الكويتي في اسبانيا وحدها تقدر بـ ٣ بلايين دولار.

ومن ناحية نظرية، فان المالك الشرعي لهذه الاستثمارات هو الاجيال الكويتية القادمة، وهي خارج قبضة الرئيس حسين. والنظريات المماثلة لم تحم كثيراً الشركات

التي في حوزتها فائض من الاموال التقاعدية من الغزاة المتعطشين للمال. إلا ان الرئيس حسين يواجه مشكلة ان السندات المالية التابعة لمكتب الاستثمار الكويتي يديرها الكويتيون البعيدون عن سلطته. فاذا ما أراد الافادة من رؤوس الاموال الاحتياطية للاجيال القادمة فان فرصته الوحيدة ستكون من خلال حكومة العوبة في الكويت تستطيع تغيير القانون لسلب الامتياز الذي يتمتع به الاطفال المولودون حديثاً. (...)

عن (الايكونومست) في ٨/٤



خبراء سوفييت حول ازمة الخليج

تقييم الوضع في الخليج بعد غزو العراق للكويت وتأثير ذلك على الوضع في العالم العربي وعواقبه بالنسبة لسوق النفط العالمية ومردود العقوبات ضد بغداد ورد فعل موسكو والسبل الممكنة لحل الازمة ـ كانت هذه النقاط وغيرها مادة الطاولة المستديرة التي نظمتها وكالة انباء نوفوستي في موسكو. وشارك فيها مسؤول في وزارة الخارجية السوفييتية وعلماء واختصاصيون في السياسة وخبراء في الشؤون السياسية الحربية والقضايا النفطية بارزون.

أشار غينادي ايليتشوف ـ ممثل وزارة الخارجية السوفييتية ـ إلى انه تم التعبير عن الموقف السوفييتي من ازمة الخليج بكل دقة في وثيقتين/ بيان الحكومة السوفييتية والبيان السوفييتي الامريكي المشترك. واننا ننظر إلى دمج الكويت بالعراق كعملية ضم قسري مباشرة وخطوة جديدة في سلسلة الاحداث المأساوية التي بدأت نتيجة غزو القوات العراقية للبلد الجار. وبما اننا لسنا من انصار استخدام القوة يدعو الاتحاد السوفييتي إلى حل الازمة بالطرق السياسية اعتقاداً منه بانه من الضروري استثمار كافة الطاقات التي تكمن في قراري مجلس الامن الدولي ٦٦٠ و٦٦١.

ولم يكن سهلاً على موسكو تأييد هذين القرارين لأن تطبيق العقوبات ضد العراق سيطال المضمون الحي للعلاقات الاقتصادية والعلمية السوفييتية العراقية المتنوعة التي نشأت وترسخت طوال سنين. وستتوجب علينا اعادة النظر في مجمل العلاقات مما

سيتمخض عن اضرار بالنسبة للاتحاد السوفييتي كما ان هذا سيستغرق من الناحية التنظيمية فترة طويلة لأنه من الضروري تنسيق عمل المصالح السوفييتية العديدة التي ترتبط بعلاقات عمل مع بغداد.

وتعقيباً على اقتراح الولايات المتحدة حول تشكيل قوات بحرية متعددة الجنسيات لغرض ضمان تنفيذ قراري مجلس الامن الدولي أعلن المسؤول في وزارة الخارجية السوفييتية ان موسكو تفضل العمل على أساس جماعي ضمن إطار الاجراءات المتفق عليها مع اعضاء مجلس الامن الدائمين. وهنا يمكن التفكير بمسألة استئناف نشاطات لجنة الاركان العسكرية لدى مجلس الامن الدولي. كما ان موسكو على اتصال دائم الآن مع ممثلي العربية السعودية عبر القنوات العادية في نيويورك.

وأعرب قسطنطين غيفاندوف ـ معلق صحيفة «ازفيستيا» ـ عن خيبة أمله من موقف بعض العرب وكذلك منظمة التحرير الفلسطينية. وقال ان العالم العربي يعجز حتى الآن عن بلورة موقف يتجاوب مع متطلبات هذه المرحلة الهامة للغاية. وأكد ان انعطاف الاحداث الحالي في المنطقة يزيح مسألة النزاع العربي الاسرائيلي إلى الموقع الثاني ويوفر لاسرائيل اوراقاً دعائية وسياسية معادية للعرب رابحة.

وتأييداً لما قال غيناندوف ذكر ليونيد سوكيانين ـ رجل قضاء سوفييتي متخصص في الشؤون الدولية ـ ان قرارات مجلس الامن الدولي الزامية لكافة اعضاء هيئة الامم المتحدة. وعلى ما يبدو ان هناك من يحاول الانتفاع من الوضع الناشيء. ومع ذلك ان وضع المصالح الخاصة فوق مصالح المجتمع العالمي ومبادىء القانون الدولي يعتبر قصر نظر وموقفاً خاطئاً. اذ يمكن ان تختلف التقييمات السياسية ولكن هناك المعايير الموضوعية المثبتة في ميثاق هيئة الامم المتحدة وقرارات مجلس الامن الدولي التي يجب ان تنطلق منها العلاقات بين الدول على الصعيد الدولي.

وموقف الاتحاد السوفييتي ثابت وصلب كما توجد لدينا مصالح معينة/ سياسية واقتصادية وغيرها ومع ذلك نحن تخلينا عنها من أجل الالتزام بالنظام القانوني العالمي وانطلاقاً من ان المنافع الآنية تعود في المستقبل بضرر كبير على كل من يخالف المبادىء.

ولهذا بالذات لا تنوي موسكو اليوم ـ كما أعلن بوريس راتشكسوف الاختصاصي البارز بشؤون النفط ـ استغلال الوضع الناشيء جراء ارتفاع اسعار الذهب الاسود. وهذا يحدده الموقف العام المتغير من التعاون الاقتصادي الدولي والرغبة في الانخراط في مدار الاقتصاد العالمي كعضو يتمتع بكافة الحقوق.

والاتحاد السوفييتي بعيد عن ان يكسب منافع في سياسته الخارجية نتيجة حالة السوق الراهنة. وأشار بوريس راتشكوف إلى ان صادرات الاتحاد السوفييتي من النفط

ستقل الآن لأسباب مختلفة ومن المتوقع ألا تزيد هذا العام على ١٨٠ مليون طن مقارنة بـ ٢٥٠ مليون طن عام ١٩٨٨ .

وان حالة السوق الراهنة يمكن ان تؤدي إلى ارتفاع اسعار المنتجات النفطية ولكن هذه الزيادة ـ حسب رأي راتشكوف ـ ظاهرة مؤقتة . لأن اجماع المجتمع الدولي على مقاطعة النفط العراقي يخلق وضعاً معقداً للغاية بالنسبة لبغداد . وقد يصل انتاج العراق والكويت من النفط إلى حوالي ٢٣٠ مليون طن . وهنا تبرز مسألة تصريفه ، بينما المقاطعة الدولية ستكون كما يبدو لفترة طويلة .

كما ان الطاقات الانتاجية الاحتياط سواء لدى بلدان «اوبيك» أو خارج اطر هذه المنظمة كبيرة جداً بيد ان استثمارها يتطلب في الحقيقية وقتاً طويلاً . ومن المستبعد التعويل على سوق النفط السوداء لانها حتى في افضل الاوقات قادرة على استيعاب بضع عشرات الملايين من الاطنان . ولذلك سيصطدم العراق ـ حسب رأي العالم السوفييتي ـ بمعضلات اقتصادية خطرة .

والعقوبات تستهدف ـ كما اضاف بافل بايف الخبير في الشؤون السياسية الحربية ـ لاخنق العراق في الواقع انما هي عبارة عن تحذير لقيادته كي تتخذ القرارات المناسبة .

ودحض مسؤول وزارة الخارجية السوفييتية الافتراض بشأن امكانية الغاء معاهدة التعاون والصداقة مع العراق التي وقعها الطرفان عام ١٩٧٢ والتي تمخضت عن الكثير من الايجابيات في مجال التعاون الثنائي . والعقوبات التي سنلتزم بتطبيقها لا تعني قطع العلاقات كلياً مع بغداد . واننا أرسلنا رسالتين على مستوى رئيس الدولة . وأعلن المسؤول ان باب الحوار لا يزال مفتوحاً ولا يستبعد تبادل الزيارات واجراء مباحثات بغية تسوية الازمة .

عن (نوفوستي) ٨/١١



١٨ دولارا للبرميل إلى متى؟

بوريس راتشكوف

اصبح العمل المنسق للبلدان العربية وغيرها من بلدان اوبيك في سوق النفط العالمية، أحد المجالات الحيوية للعلاقات الاقتصادية الدولية، في خطر من جديد جراء انفجار النزاع بين العراق والكويت حول النفط الحدودي. ويصيب النزاع جوهر مصالح بلدان اوبيك المشتركة ألا وهو سعر النفط الذي كانت بلدان اوبيك قد اتفقت عليه والذي سيؤدي هبوطه إلى انخفاض واردات النفط بالضرورة.

وبعد ان توقف التقلب الحاد لسعر النفط عقب ازمات الطاقة اتفقت بلدان اوبيك على بذل قصارى الجهد لابقاء سعر النفط على مستوى ١٨ دولاراً للبرميل وهو المستوى الذي يرضي البلدان المشترية ايضاً وخاصة ان سعر النفط كان يصل أثناء الازمات إلى ٣٠ وحتى ٤٠ دولاراً.

ويضمن هذا السعر (١٨ دولاراً) للمنتجين بمن فيهم بلدان اوبيك تعويضاً ثابتاً كافياً عن ثروتهم الطبيعية الرئيسية فيما يغني المشترين عن ضرورة انفاق اموال طائلة للبحث عن مصادر بديلة للطاقة.

من وماذا يستطيع الآن المحافظة على هذا السعر المقبول للجميع؟ الجواب واحد: ان استقرار السعر يتوقف أساساً على تضامن بلدان اوبيك التي تظل أكبر مصدر للنفط وخاصة انها تملك حصة الاسد من احتياطيات «الذهب الاسود» العالمية، وان انخفض

نصيبها من صادرات النفط العالمية.

وتبين التجربة انه كلما تمكنت بلدان اوبيك من الالتزام بحصص انتاج النفط، ولو باقل قدر ممكن، اقترب سعره من الـ ١٨ دولاراً أو حتى تخطى هذا المستوى قليلاً. ولكن ما ان يزيد بلد ما من بلدان اوبيك من صادراته ركضاً وراء الربح الآني حتى يتكبد الجميع خسائر بعد عدة أيام اذ تهبط الاسعار وتنخفض الايرادات فيما يوفر المستوردون مئات ملايين الدولارات بفضل انخفاض سعر النفط.

وتجدر الاشارة إلى ان الظروف التي تتهيأ الآن في العالم تتيح الحفاظ على مستوى الـ ١٨ دولاراً الأمثل وفي مقدمتها عدم وجود ذريعة رهيبة للخلاف بين بلدان اوبيك حول حصص التصدير مثل الحرب الطويلة الاخيرة بين ايران والعراق. ثانياً، الواضح ان الطلب على النفط يرتفع في العالم وان كان هذا الارتفاع بطيئاً. والملفت للنظر بشكل خاص ان الولايات المتحدة تستورد كميات متزايدة من مشتقات النفط الأمر الذي يجعل اسعار السوق العالمية ترتفع على الدوام. ثالثاً واخيراً يستمر الاتحاد السوفييتي للسنة الثانية على التوالي في تخفيض صادراته من النفط مساعداً بذلك على ازالة الفائض في سوق النفط العالمية. فقد خفض الاتحاد السوفييتي صادراته في العام الماضي ٢٠ مليون طن أو ٥٠٠ الف برميل في اليوم. وأعلن في مؤتمر نواب الشعب ان الصادرات السوفييتية ستنخفض هذا العام بمقدار ٥ إلى ٧ ملايين طن.

ونتيجة لضمور النشاط السوفييتي في السوق الخارجية خلال السنتين الاخيرتين لم يطرح على هذه السوق ما يناهز كمية النفط التي ينتجها اثنان من بلدان اوبيك مجتمعين هما قطر واكوادور.

وتوجد كل المبررات للقول ان تقليص صادرات النفط السوفييتي ليس أمراً طارئاً. فالاتحاد السوفييتي يتطلع إلى تحقيق مهام كبيرة على صعيد التنمية الاقتصادية الداخلية وخاصة في الصناعات التحويلية مع التركيز على التنمية العمودية على حساب عوامل التنمية الافقية ومنها مثلاً تضخم فروع استخراج المواد الاولية. ولا يستبعد ان يعود الاتحاد السوفييتي إلى الحجم السابق لتصدير النفط ولكن هذا لن يحدث في المستقبل القريب. وبالتالي يسهل على المصدرين الآخرين التحكم في تصدير النفط حتى لا تطرح على السوق العالمية كميات فائضة ولا تهبط الاسعار.

هذه هي الايجابيات الحالية الواضحة من وجهة نظر المصدرين. ولكن ثمة سلبيات ايضاً وفي مقدمتها ان نصف اعضاء اوبيك تقريبا امنوا بان ارتفاع الطلب على النفط في العالم سيغفر لهم، كما لو كان قاضياً، آثامهم الجديدة المتعلقة بتخطي الحصص. ونتيجة لذلك ورغم انخفاض الصادرات السوفييتية بحوالي ١٥ بالمئة لا يقل اجمالي النفط

في السوق العالمية عملياً وبالتالي يبقى السعر أقل بكثير من ١٨ دولاراً.

وبالاضافة إلى ذلك يبدو ان اوبيك ينشغل بمشاكله الداخلية أكثر من اللازم في حين يمكنه، كونه منظمة دولية متنفذة، ان يساهم بقسط أكبر في تنظيم سوق النفط العالمية عن طريق تنشيط التعامل مع مصدري النفط من غير اعضاء اوبيك. ولكن غياب هذا التعامل في الواقع يجعل من المصدرين الآخرين منافسين لبلدان اوبيك علماً ان هذه المنافسة الشديدة لا تفيد غير الاعضاء ايضاً في نهاية المطاف. والمقصود ليس فقط بريطانيا والنرويج بل والمكسيك ومصر وسلطنة عُمان. والحق مع العاهل السعودي فهد الذي أشار مؤخراً إلى ضرورة التعاون بين جميع مصدري النفط اذا ارادوا الاستفادة من ثرواتهم على أرض الواقع.

إلا ان النزاع العراقي الكويتي الذي يحمل في طياته الطموح إلى زيادة حصة الانتاج والتصدير قد يتجاوز كل العوامل السلبية الأخرى في ممارسة التأثير المأساوي على الاسعار والايرادات الأمر الذي يمكن ان يلحق الضرر بطرفي النزاع وسائر المصدرين.

هذا وكان نائب ادارة الاعلام في وزارة الخارجية السوفييتية قد قال في مؤتمره الصحفي في ٧/٢٤ «ان الاتحاد السوفييتي يشعر بالآسى بسبب التوتر الناشيء في العلاقات بين العراق والكويت. واعرب عن القناعة بان «هاتين الدولتين اللتين يجمع بينهما الكثير ستعثران على امكانية عدم السماح بتفاقم الوضع وحل القضايا الناشئة كجارين وبلدين عربيين شقيقين على أساس مقبول للطرفين».

واعلن ان الاتحاد السوفييتي باعتباره احدى الدول الكبرى المصدرة للنفط يدعو إلى عمل النظام الاقتصادي العالمي بصورة طبيعية واستقرار الاسعار على مستوى معقول».

عن نشرة وكالة نوفوستي في ١٩٩٠/٧/٢٥



نعم للسلام لا للمساومات على حساب شعبنا

تم تبادل الرسائل بين رأس النظام صدام حسين والقيادة الايرانية في الآونة الأخيرة حسب ما اوردتـه وكـالات الانباء وأعترف به الطرفان، بصدد فتح اتصالات مباشرة بين الحكومتين لتحقيق السلام بينهما . كما وتفيد آخر المعلومات ان اتصالات فعلية بدأت بين الـطرفين على مستـوى الخبراء الأمر الذي ورد في تصريحات الرئيس الايراني هاشمي رفسنجاني . وبالاضافة إلى هذه الجهود تستمر وساطات الامم المتحدة والكثير من الدول بين الجانبين لنفس الغرض والتي تمخض عنها لحد الآن لقاء مباشر بين وزيري خارجية البلدين في جنيف تحت اشراف سكرتير الامم المتحدة .

ان شعبنا الكردي رحب ويرحب دوماً بسلام حقيقي وعادل بين بلادنا والجارة ايران وقد عكست بيانات وتصريحات الجبهة الكردستانية هذا الموقف مراراً .

إلا ان الجبهة أكدت دوماً في مذكرات رفعت إلى السكرتير العام للامم المتحدة ومساعده الياسن وبعض الدول والجهات ذات العلاقة بانالشعب الكرديعانى الكثير من اتفـاقية الجـزائر التي جاءت على حساب مصالح بلادنا عامة ومصلحة الشعب الكردي المشروعة بشكل خاص، وكذلك من الحرب العراقية ـ الايرانية التي اصبحت كردستان ساحة لها في كثير من الاحيان، اضافة إلى حرب الابادة المفروضة عليه في العراق. وهو اذ يرحب بالسلام المنشود، يرى ان أي حوار جدي حول الموضوع يجب ان يتضمن في جدول أعماله نقطة حول شمول الشعب الكردي بهذا السلام اذا أريد له ان يكون شاملاً وراسخاً فعلاً .

ان الجبهة الكردستانية ترى من الضروري ان تكرر هنا تحذيرها لكل ذوي العلاقة من مغبة تكريس اتفاقية الجزائر التي قدم فيها النظام تنازلات عميقة على حساب مصالح الشعب العراقي عامة والكردي خاصة، أو عقد اتفاقيات شبيهة يصبح فيها الكرد ضحية . وتؤكد ان السلام الذي يراد بناؤه على حساب شعبنا وحقوقه المشروعة لن يكون مصيره بأفضل من السلام الذي أريد فرضه بعد اتفاقية ٦ آذار/١٩٧٥ التي عقدت في الجزائر.

عن صحيفة الجبهة الكردستانية

عدد تموز ١٩٩٠

افكار لستراتيجية كردية جديدة

(..) ان محدودية الكفاح المسلح اليوم في كردستان العراق فرضته الظروف ولم يأت نتيجة التخطيط. ينبغي على الذين يخططون للكفاح المسلح ان يفكروا كثيراً بآثار التهجير والاسلحة المتطورة واسلحة القتل الجماعي على شعبنا وبلادنا.

اننا نرى ان بقاء الكفاح المسلح المحدود في كردستان العراق في الظروف الراهنة ضروري على ان يكون ضمن ستراتيجية يشكل ذلك عنصراً واحداً منها إلى جانب عناصر عديدة أخرى يكون لكل واحد منها حصته من الجهود والامكانات والكوادر. وسنكون من الداعين إلى انهائه عن طريق التفاوض حالما تحل الفرصة للعمل بالاساليب الديمقراطية، نورد العناصر التالية للتفكير فيها ضمن ستراتيجية كردية جديدة قد تكون بعض عناصرها ليست جديدة تماماً ولكنها تكتسب في الظروف الراهنة أهمية اضافية أو دوراً ديناميكياً أو حجماً أصغر من السابق أو صيغاً جديدة.

أولاً ـ الكفاح المسلح المحدود وضمن الشروط المار ذكرها وان أمكن في بيت العدو وليس في بيتنا. ينبغي ان نقبل بتراجع الكفاح المسلح عن العظمة في فكرنا وعملنا.

ثانياً ـ الاهتمام المتزايد بالنضال على الصعيدين الاعلامي العالمي والدبلوماسي

وتخصيص حصة مناسبة من الطاقات والامكانات لهما، علماً ان الادراك العالمي لمأساة الأمة الكردية يتقدم بصورة مستمرة كما ان التفهم لعدالة القضية الكردية يتوسع، وثمة قناعة متناهية في الاوساط الدولية تفيد بانه لابد من ايجاد حل أو حلول لهذه القضية الملتهبة وفي هذه المنطقة الحساسة من العالم. ولكن هنا يتوقف الكثير على عمل فصائل ومؤسسات الحركة التحررية الكردية. في هذا المجال ينبغي ان نفهم الوضع الدولي الجديد ونهضمه ونعرف كيف نتحرك فيه. لقد انتهت الحرب الباردة التي في اجوائها لم يتحقق أي مكسب جاد وثابت لشعبنا. في الظروف الدولية الجديدة ينبغي عرض القضية الكردية على المجتمع الدولي بأسره، بمؤسساته وحكوماته وليس على طرف دون آخر وان يجري التأكيد على ما يتماشى مع روح العصر دون التخلي عن الاهداف الستراتيجية. فالتأكيد على الديمقراطية وحقوق الانسان والحقوق الثقافية لشعبنا لا يتنافى مع حق تقرير المصير، بل تحقيقها يشكل خطوات هامة على طريق ذلك.

ثالثاً - الاسراع ثم الاسراع في اقامة المنظمة المظلة للحركة التحررية الكردستانية، أي المنظمة التي تضم تحت ظلها مجمل احزاب وقوى وتجمعات حركة شعبنا بغية تسهيل كسب الدعم الدولي والتمثيل بصيغ شتى لدى المؤسسات الدولية كالأمم المتحدة واليونسكو والاشتراكية الدولية ومؤتمر عدم الانحياز،ونجرؤ ان نقول لعرض قضيتنا على منظمات وحكومات منطقتنا مثل جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الاسلامي.

لقد كان قيام كل من الجبهة الكردستانية العراقية و (تفكر) في كردستان تركيا خطوات كبيرة واساسية على هذا الطريق. كما ان اقامة الهيئات الكردستانية في العديد من البلدان الاوروبية والامريكية التي تضم الكرد من مختلف الاجزاء والتوجهات السياسية، مثل معهد باريس والمؤتمر الوطني الكردي في امريكا والمركز الثقافي الكردي في لندن والفدراسيون الكردي في السويد وغيرها، انجازات عملية وهامة على هذا الطريق أيضاً. ولكن المنظمة المظلة تنتظر جهود المخلصين وخاصة القيادات السياسية الواعية والمسؤولة، وينبغي ان تتسع لكافة التنظيمات دون فيتوات واستثناءات.

رابعاً - يعيش في كردستان تركيا نصف الكرد، وتركيا تريد ان تصبح جزءاً من اوربا وان تُحسب بلداً اوربياً وهي فعلاً عضو في المجلس الاوربي وفي مؤتمر الامن والتعاون الاوربي الذي انعقد في كوبنهاغن خلال شهر حزيران المنصرم، كما انها تريد الانضمام إلى السوق الاوربية المشتركة التي ستصبح موحدة عام ١٩٩٢. من ناحية اخرى فقدت تركيا الكثير من اهميتها وبالتالي من وسائل ضغطها كعضو في الناتو بالنظر لانتهاء الحرب الباردة، فعلى سبيل المثال تقلصت المساعدة الامريكية العسكرية لها إلى النصف لهذا العام بالمقارنة مع العام الماضي.

ان الرغبة في الانضمام إلى اوربا والدور الأقل أهمية في الناتو يجعل تركيا معرضة للضغوط بصورة مستمرة وربما متزايدة لاشاعة الديمقراطية واحترام حقوق الانسان في بلادها للترك والكرد، وكذلك الاعتراف بتواجد أكثر من (١٢) مليون كردي ومنحهم حقوقهم الثقافية على الأقل. ينبغي ان يضاف إن تركيا لن تقبل في السوق الاوربية المشتركة ما لم يرتفع مستوى معيشة شعبها إلى مستويات المعيشة في اليونان والبرتغال.

خامساً ـ دجلة والفرات لا ينبعان من تركيا بل من كردستان الشمالية واذا أضفنا إلى منابع دجلة الاساسية الزاب الأعلى (زى كه وره) والزاب الاسفل (زى بجوك) ونهر ديالى (سيروان) يتضح ان هذين النهرين العظيمين وروافدهما ينبعان كلياً من أرض كردستان، وهما مع النيل يشكلون الانهر الدولية الثلاثة العظيمة في منطقة الشرق الاوسط القليلة المياه والمتزايدة السكان. من المفروض ان يزيد ذلك من دور الحركة الكردية في العملية السياسية في هذه البلدان عندما تكون هناك عملية سياسية. ومن ناحية أخرى فان الاحتكاك المتزايد بين تركيا والعراق بسبب ماء الفرات ودجلة من شأنه ان يجعل التعاون والتنسيق بينهما ضد الحركة التحررية الكردية أكثر صعوبة علماً ان هناك العديد من الاتفاقيات الامنية والعسكرية تربط الحكومتين ضد نضال شعبنا من أجل حقوقه العادلة. جدير بالملاحظة ان مجابهة الحركة الكردية عبر الحدود ومشكلة الماء كانتا النقطتين الرئيستين في جدول اعمال زيارة رئيس الوزراء التركي الأخيرة إلى بغداد، كما ان مشروع (غاب) التركي الذي يضم اقامة (٢٠) سداً على نهر الفرات وفروعه، والذي يعتبر سد اتاتورك من أكبر سدوده، من المفروض ان يروي المناطق الكردية (اورفا وماردين وغيرهما)، بالامكان ان يكون ذلك نعمة اذا تم تنفيذه بصورة طبيبة أما اذا استغل المشروع لتتريك المنطقة الكردية وما يترتب على ذلك بالامكان ان يصبح نقمة.

سادساً ـ تهب على العالم موجة من الرياح الديمقراطية عصفت حتى الآن بينوشيه وتشاوشيسكو وآخرين وأخذت بالانتقال إلى العديد من بلدان العالم الثالث بدرجات متفاوتة، وثمة يقظة ديمقراطية عربية ومطالب ديمقراطية عراقية. لم تجر تغيرات كثيرة في منطقتنا بعد ولكن لا نعتقد انها مصانة بجدار حديدي لا يتسرب من خلاله هواء الديمقراطية. سيكون من مصلحة شعبنا وشعوب منطقتنا كافة كل تغيير ديمقراطي يتحقق فيها خاصة في البلدان التي يتواجد فيها الشعب الكردي.

لقد ساهمت الاجواء الديمقراطية الجزئية في تركيا مساهمة ملموسة في نهوض هذه الحركة العارمة التي تضم اوساطاً واسعة من ابناء وبنات شعبنا، وربما كان ذلك السبب المباشر لاجراءات نيسان التعسفية التي أعلنتها الحكومة التركية في كردستان وحدها. هنا ينبغي التأكيد مرة أخرى على أهمية التعاون والتنسيق واقامة التحالفات بين قوى حركة

شعبنا والقوى المطالبة بالديمقراطية والتقدم الاجتماعي كل في بلده.

سابعاً ـ لقد أثبتت انتفاضة الشعب الفلسطيني الباسلة في الارض المحتلة انها أنجع اسلوب نضالي لمجابهة الماكنة العسكرية الاسرائيلية والغطرسة الصهيونية. الانتفاضة هي اسلوب الكفاح الجماهيري المستديم. معلوم ان التجارب تدرس ويستفاد منها ولكن لا تنقل بصورة طبق الاصل. اننا نعتقد انه سيأتي يوم لا يستطيع فيه مضطهدو شعبنا معالجة القضية الكردية بالقسر والقوة فقط، وقد يكون ذلك بسبب الاجواء الديمقراطية والانسانية أو العلاقات الاقتصادية أو بسبب المصلحة الذاتية البحتة، أو هذه العوامل وغيرها مجتمعة، عند ذلك لن يكون صعباً على شعبنا خوض النضال الجماهيري (الانتفاضة) دون اللجوء إلى الكفاح المسلح لتحقيق حقوقه المشروعة. لو أخذنا المصلحة الذاتية وحدها في الاعتبار فانها كانت تفرض على أية حكومة مسؤولة في العراق ايجاد حل سلمي للقضية الكردية بدلاً من الخسائر المادية والبشرية والسياسية الكبيرة التي لحقت بالدولة العراقية عبر العقود الثلاثة المنصرمة.

ثامناً ـ كان ولا يزال ايجاد المصادر المالية النزيهة والثابتة لادامة وتطوير النضال الكردستاني على مختلف الاصعدة، مشكلة المشاكل والسبب في الوقوع في الكثير من الاخطاء السياسية القاتلة. ثمة زهاء (٧٥٠) الف نعم سبعمائة وخمسون الف انسان كردي في اوربا إلّا ان مساهمتهم في تمويل الحركة الكردية ضئيلة حقاً. لنفرض ان كل واحد منهم ساهم بدولارين شهرياً فان ذلك سيوفر (١٨) مليون دولار سنوياً وهو يكفي لتمويل الحركة الكردية ومضاعفة نشاطاتها وتعزيز استقلاليتها إلى حد كبير. ولكن تحقيق مساهمة الجماهير الكردية في اوربا لتمويل الحركة الكردية سيكون عملية شاقة وطويلة وتحتاج إلى صبر واساليب وضمانات تطمئن المتبرع على مصير كل قرش من تبرعاته والاحتفاظ بالسرية المستمرة بالنسبة إلى الكثير منهم... الخ. ولكنها أي المساهمة المالية الجماهيرية في اوربا لتسيير دفة الحركة التحررية الكردية ليست مستحيلة.

عن صحيفة
كه ل ـ الشعب

(لسان حال حزب الشعب الديمقراطي الكردستاني)
عدد تموز ١٩٩٠


أدب وفن

وداعا غائب

بعيداً عن وطنه أيضاً يموت أجمل من استحضر الوطن وجوهاً وحاراتٍ وأحداثاً وعادات لا تمحى. . يموت غائب طعمة فرمان أبنُ شعبنا وصورته النقيّة، ومرآته التي انعكست فيها همومه واحلامه المعذّبة، فكان في أدبه وطناً، وفي شخصه واحداً من اولئك الشخوص الاليفة المنفية ابداً، وهو في منفاه أقرب إلى أزقته وناسه، حتى لقد غدت تفاصيله تفاصيل واقعٍ وتاريخٍ حاضرين تتغلب فيهما الذاكرة على النسيان، والوطن على المنفى، والحقيقة على الزيف، فاكتشفنا فيه عراقنا الآخر. . عراقنا البسيط الطيّب المرح الصادق الحزين، واكتشفنا فيه حقيقتنا التي شغلتنا عنها الاحداث. .

ولكننا لم نكتشف فيه غير ذلك الغائب الحاضر في أوج مأساتنا بهدوء الراوي الذي ينسج الملحمة،ويستشرف الآتي ويقول حكمته لا ليمضي بل ليعود وهو أشد ثقة بنفسه وحكمته التي تخترق الواقع إلى الواقع نفسه بلا أوهام ولا أكاذيب. . بلا أفكار مسبّقة ولا تصوراتٍ شائعة، لانها معنيّة بالانسان، بانساننا العراقي، بنبضه ودمه. . بمسيرته الشاقة وخبرته أمام الاحداث. . بفعله البطولي وهزيمته الفاجعة. . بتفاصيله الصغيرة المؤرقة واحلامه المنكسرة. . فمن لا يتذكر سليمة الخبازة والسيد معروف وشخصياته العديدة الاخرى التي اصبحت وكأنها تعيش بيننا بملامحها التي نعرفها وعذاباتها التي لا تزال تناشدنا الخلاص. .

وهو في عالمه الاليف هذا ليس أقل غرائبية من أشد الكتّاب احتفاءً بالغرابة، فواقعه الكرنفالي.ضاج مليءٌ بكل ما هو غريب من شخوص واحداث، رغم الفته الحميمة وتفاصيله الواقعية ونكهته المحلية التي ظلّ غائب مخلصاً لها مما جعلته كاتباً شعبياً بحق، يقف في طليعه كتابنا المبدعين ممّن اسّسوا لقيمٍ أدبية وانسانية هي تراثنا الأدبي الذي نفخر به ونورثه الاجيال الآتية.

ولعل ما يفجعنا، في موته، ويزيدنا مرارة وحزناً انه غادرنا وهو أشد قلقاً على وطنه وشعبه في محنتهما الحالية.

وداعاً غائب

ولتزهر شجرة أدبك حيّةً في قلوب الناس.

أدب وفن

من المنفى إلى المنفى...
ثم إلى اين يا... غائب؟

هل هي صدفة ان تنشر في مجلة البديل ـ قبل عددين ـ سلسلة مراث: الاولى لشاعر شاب لم تبلغ قصيدته، بعد، اكتمال الطفولة، هو قاسم جبارة الذي انتحر في النمسا، والثانية لفنان تشكيلي هو ابو أيار الذي قتل في كردستان، أما الثالثة فهي لكاتب معروف قاوم منفاه بالانقطاع كلياً إلى الكتابة في منبر فلسطيني هو سعيد جواد، والرابعة تأبينية للقاص حميد ناصر الجيلاوي الذي استشهد، والخامسة للشاعر مصطفى عبد الله و. . و. . .

وقبل هؤلاء ودعنا اقلاماً اثيرة ومؤثرة حملها اصحابها كالسيوف البدائية، حادة وصارمة ومنهم الفقيدان شمران الياسري (ابو كاطع) ومصطفى عبود. . .

واليوم نجبر انفسنا على الرثاء ونشقى في مقاومة تكرار الموت فلا نجد غير كلمات بالزي ذاته والعباءة ذاتها، والعويل ذاته. . . ولا من جديد.

الكلمات. . النساء لا تنقطع عن العويل وتشييع الابناء في زمن عكر وحامض ومقلوب، وابن الكلمات ـ النساء اليوم هو غائب طعمة فرمان الذي يتأبى على سياق السطر وهدأة الكتابة.

من أين نأتي بالكلمات الدافئة لحزننا الممل والوفير، وماذا لو قرأ غائب الكلمات ذاتها وسمع العويل ذاته واصاخ لانكسار المرايا في الروح العراقية، التي لم يتبق فيها الكثير للحروب الغاشمة والاحتلالات «القومية» وفوق القومية، وكم على الامهات ان تنحب استعداداً لبيان التجنيد وحقائب النفي وشوارع الموت الخلفية في «أجمل» المدن.

لا نريد، ولربما لا نستطيع، ان نفلسف الموت ونحن الذين ما زلنا نجهد لمعرفة الحياة ودواليبها ووعودها المنسية واكاذيبها ومعانيها الشاقة، ولا ندري لماذا نستعير لاجمل كتابنا غائب، موكباً من الكلمات ـ النساء، ولكن لربما هو جدير

بمثل هذا الموكب لانه عاش وحيداً ولأكثر من نصف عمره منفياً خارج الوطن، وما سبق عاشه منفياً داخل الوطن. هل النفي رديف الوجدان الحالم بوطن بسيط يليق بمن جنّد ريشته وهاجسه ووعيه من أجل مثل هذا الوطن؟

لقد انتهبنا، حقاً، في لحظة سوداء مزمنة، تلك التي استسلم فيها غائب للرقدة القاسية الدائمة، الغاشمة، خصوصاً اذا ما عرفنا، والكثيرون يعرفون، ان كاتباً كغائب لم يهجر العراق حروفه وترميزاته طيلة مسيرة حياته صحافياً وكاتباً وروائياً واقعياً كان لخياله دور فاعل في اغناء هذا الواقع واعادة تكوينه. ألا يكفي غائباً انه جعل له وطناً من روايات بعداناستعصى الوطن: البيت، القضية، المستقبل، الابداع الحر حيث ولد وعاش وواجه ونفي؟

لغائب حيز ليس بالقليل في ذاكرتنا، وفي وعينا، وفي نفوس اصدقائه، عرباً وعراقيين، وفي ثقافتنا تضيء أعمال غائب الروائية وشخصياته واحزانه وفكاهاته مساحة للغبطة والتغيير ومسعى الابداع المجيد.

نرثيك ياغائب بما هو فوق الحزن، ونفخرَ بانك فقيد رابطتنا المؤمنين بضرورتها ووجودها، ومن أكبر الاسماء الابداعية فيها، وانك فقيد الثقافة العراقية والعربية حقاً.

حقاً ما قاله غائب في واحدة من ندواته العالمية: «. . ان المنفى يتكون في داخلنا، في وطننا، ولاسباب كثيرة، وينمو مع تقدم العمر. ان مواطني كتابتنا في المنفى هم تلك الاحلام التي عجزنا عن تحقيقها، مصطدمين بما يقلب الاحلام إلى كوابيس، ولكن تلك الاحلام تظل تلح على النفس في الداخل، والعواطف التي تتأجج وتحترق، ولا تجد مجالاً للظهور. تلك الصبوات، الافكار، الخيالا ت المجنحة، المشاريع غير المحققة لاسباب لا ترجع الينا وحدنا (. .) ومن تراث منفانا الاول الخاص بنا نستقي ما نكتبه بعيداً عن الوطن (. .) في ذلك المنجم النفسي داخل الصدر، داخل الذاكرة، هو بالدرجة الاولى يعطي الوقود ليتحرك القلم بين اصابعنا».

اذن من المنفى إلى المنفى، ثم إلى أين ياغائب؟

رابطة المثقفين الديمقراطيين

العراقيين

٢٠/ آب/ ١٩٩٠

نبذة عن حياة غائب طعمة فرمان

● ولد عام ١٩٢٧ .
● بدأ حياته الأدبية بكتابة الشعر.
● درس الأدب في كليـة الآداب بمصر وتعرّف هناك على كتابها البارزين، من أمثال نجيب محفوظ والزيات وعبد الحميد جودة السحار وغيرهم، كما نشر في مجلاتها قصصاً عديدة، ومن بين هذه المجلات (الرسالة).
● في عام ١٩٥٢ بدأ اطلاعه الجدّي على الآداب العالمية باللغة الانجليزية.
● بعد تخرجه عام ٥٣ ـ ١٩٥٤ رفضوا تعيينه في العراق فخرج منه على أمل ان يجد عملاً في سورية أو لبنان.
● قضى فترة في الصين.
● عاد إلى العراق بعد ثورة ١٤ تموز ولكنه لم يلبث ان غادره بعد سنة إلى الغربة مجدداً.
● يقيم في موسكو منذ أكثر من عشرين عاماً.
● وافته المنية في موسكو في يوم السبت المصادف ١٨/ ٨/ ١٩٩٠ .

مؤلفاته

حصيد الرحى	(قصص)	بغداد	١٩٥٤
مولود آخر	(قصص)	بغداد	١٩٥٩
النخلة والجيران	(رواية)	بيروت	١٩٦٥
خمسة اصوات	(رواية)	بيروت	١٩٦٧
المخاض	(رواية)	بغداد	١٩٧٤
القربان	(رواية)	بغداد	١٩٧٥
ظلال على النافذة	(رواية)	بيروت	١٩٧٩
آلام السيد معروف	(رواية قصيرة ومجموعة قصص)	بيروت	١٩٨٢

المرتجى والمؤجل	(قصة طويلة)	بيروت	١٩٨٦
المركب	(رواية)	بيروت	١٩٨٩

من مؤلفاته الأخرى:

الحكم الاسود في العراق (استعراض صحفي لاحداث العراق قبل ثورة ١٤ تموز) القاهرة ١٩٥٧

قصص واقعية من العالم العربي (اختيار وتقديم بالاشتراك مع محمود أمين العالم.

لا شين عملاق الثقافة الصينية القاهرة ١٩٥٧.

هذا بالاضافة إلى ترجماته من الاداب الاجنبية لعدد من الكتاب العالميين.



مساءات شامية

شاكر الانباري

يستيقظ بفم ملوّث بالزبد، العينان حمراوان، الملابس تفوح من ثناياها رائحة عطنة، الوجه حامض والهيئة منكسرة. ولمّا ألقي عليه تحية الصباح، يرد بتثاقل، يتحاشى الاقتراب، خوفاً، وكأنني شيطان وليس مجرد امرأة، ثم يمضي إلى المراحيض، وهي كائنة داخل البيت، قرب المدخل، ويتجه بعدها، هو ورائحته المنفرة، وشعره المنفوش، وعيناه المحترقتان من ندم طويل وسهر وتأرق، ليرش المياه على وجهه، ويقف لحظات صافناً على المياه الجارية في حوض الغسيل.

يقتحم المطبخ، فأتعمد الدخولَ وأجد حجّة بالحديث معه، بالتقرب منه، فالدار خالية، وأنا مليئة بالرغبة، فالسرقة لذيذة والقطاة سمينة، سمنها شبابها، لكنه مثل سمكة، يشم النيّة ويرى الشِباك. يقلي بيضة على عجل، يسلق لحمه، يفلّ جبنه ان كان الفطور جبناً أو يسكب دبسه ان كان دبساً، ويهربِ مني إلى الغرفة، سجنه، قنّه، حفرته.

افتقدته من البيت مرة واحدة فقط، ليلة رأسِ السنة، الشعّالات في السماء والنار على قاسيون، الطبول تقرع والسيارات تزمّر والضجة قادمة من باب توما، تساءلت في سريرتي أين أنت الآن، ترتدي قناعاً في زقاق من أزقة باب توما أم توقد ناراً على السفح حيث الشيخ محي الدين. لم يحضر إلى البيت تلك العشية، هو الذي كان حضوره أكيداً، وغاب في الليل، نجمة ضالة، قمر مكسوف، لا يجد من يعتني به، سألته قبل ان تتوطد

علاقتي به ان كان له مورد ثابت، مال، عمل، وظيفة، تجارة، فردّ أنه لا مال عنده ولا ضياع، لا ذهب ولا فضة، رأسماله رأسه، لكنه يزاول مهناً لا حصر لها، وذلك حسب الوقت والظرف والمزاج.

يشتغل قطّافاً ان كان الموسم موسم القِطاف، والقِطاف كما أوضح، حقول شاسعة من المشمش والتفاح والتين والعنب، النارنج والأجاص، التوت والكرمنتينا، سلال وصناديق من الخشب، سلالم يصعد بها المرء إلى القلب ليقطف العنب ويحوش التين، يلمّ النارنج أو يجمع الأجاص، يدان ذكيتان، لا تتعبان من القطف ولا تملّان الحوش. والمردود كما قال، لا يعدو أن يكون، ايجار البيت، شاي القهوة، سينما، ملابس. أما ما عدا ذلك فلم يصرح به، فثمة في دمشق أفواه لا حصر لها، تشفط النقود شفطاً: عاهرات المرجة، قمار النوادي، خمور وادي النصارى، زيتون حلب.

أما الصباغة والدهانة وتنظيف المطاعم وتجارة المسابح والمواد القديمة، فلا يود الخوض فيها، لأنها واسعة الحيل وكبّدته أهوالاً لا يرغب في ذكرها، ولكن ما باليد حيلة فهو بحاجة إلى أن يأكل ويشرب، حاله حال الآخرين، عندئذ، قلت لزوجي، عطفاً وكسب رضى وزُلفى، دعنا نعفيه من ايجار البيت، ثلثمائة ليرة لا تعني لنا شيئاً: فستان لسعاد، قطعة من قطع أثاث البيت، عقد لؤلؤ، جوهرة زينة، طنفسة، وليمة، يمكن الأستغناء عن واحدة من تلك الأشياء ببساطة. كما أن الغرفة وقبل أن نحوّلها إلى سكن، كانت مجرد مخزن، نضع فيه آلات الحراثة ومواسير المياه المطاطية، سرير ابني محمود الجندي في لبنان، علب المربى المصنوع من المشمش، لكنه، زوجي، رفض العرض، فقطرةً قطرة، تمتلىء جرة المال، قال لي ومحا زُلفاي.

رأيته فاشتهيته.

جسد حصان وقوة ثور، غريب عن البلد، فلا عين رأت ولا اذن سمعت، لكن حياءه الزائد أربكني، فهو لا يفتح الباب أبداً حين وقوفي في الحديقة.

كنت كعادتي، أنا المحصورة بين حيطان البيت لا همّ لي سوى المراقبة والحكي، التصيد سراً بين فترة وأخرى، كعادتي أرش المياه بالابريق الكبير فأسقي الأزهار، لسان الثور، الرازقي، الكرمة، العشب النابت بين الجذور، والصبّارات المثبتة على محامل من الحديد، فأكون أثناء العمل عيناً على بابه، أذنا على مكانه، أصغي لما يدور في غرفته فلا أسمع بكاءً ولا أنيناً، لا صوت صبيان ولا نساء، فحسّاسيتي من هذه الناحية شديدة. لا أغار، فالغيرة حمار هرم، لكنّ مؤجراً كان عندي، وهو من البلد نفسه، قد فعلها مرة وجلب إلى البيت امرأة غير محتشمة، وهذا ما دعاني إلى طرده. ويومها أوضح أنه لاجىء سياسي، ولم افهم حقيقة ما تعنيه هذه الكلمة، فهمت فقط انه غريب وبحاجة إلى رعاية

فمنحته اياهـا، وما كنت اظن ان اللاجئين السياسيين، يضاجعون العاهرات ويطاردون الصبية، ويتطلعون خلسة إلى البيوت والغرف. لكن هوا شبح في مقبرة، شجرة جافة، نهر ناشف، غيمة بلا مطر، لا نأمة، لا صوت، لا آهة، ان كان فيه موضع يشف عن مكامن روحـه فهـو عيناه. منهما أرى، شهوته العارمة إلى النساء، خوفه العميق، ضلالة روحه وتيهان أفكاره، أما ما عدا ذلك، فشبح في مقبرة، شجرة جافة، بلّوطة محترقة. وأحياناً، يخيل لي ما ان أقف لتنظيف المزرعة أو اسقيها، ان جسده منتصب وراء الباب، وبابه خشب عتيق عاصر بناء البيت أول مرة ولم نشأ استبداله، كان يحجب عني سر وقفته لكنه يشي بهـا. ما السر في وقفته، لست أعلم، فكلما انحنيت على الورد أو كنست أرضية الحديقة أو توضأت خلف عريشة الكرمة، يدور بخلدي أن عينيه الصقريتين ترقبانني من وراء الخشب وبألحاح وفحيح.

لمست غرابة ذلك الشاب في المرة الأولى التي دخلت فيها غرفته. صحيح أن لكل جديد غرابة، لكن غرابته من نوع آخر، نكهة ثانية، وقد تجلّت منذ طّلتي على محتويات الغرفة: رزم من قصاصات جرائد عتيقة، كتب وأقلام ودهونات للشعر والجسد، لحاف عتيق حامـل لتخـطيطات وخربشات ملونة، والرسم على اللحف والوسائد والأغطية من أعجب ما رأت عيناي، ثم تلك الملابس الرثّة التي فقدتْ مبرر وجودها، اللهم إلا أن تكون الوحيدة التي يمتلكها، وهذا ما تأكد لي لاحقاً. وفوق الكل، ذلك الشعور الذي يستولي على المرأة حين تجالسه منفردة. شعور لا أدري كيف أصفه. لقد أجتاحتني رغبة طاغية كادت أن تدفعني إلى الاستلقاء على سريره وفتح فخذي، خذني، كدت أقول.

الرائحةالرجولية، العطش القاتل للمرأة وهو ما كان جسده يصرّح به دون مواربة، التقديس الذي يعيشه في حضرة المرأة، خوفه، ضعفه، الوحدة الجرداء المسوّرة بجدران أربعة، اذ انه لا يملك مرايا ولا دواليب، وأثاثه حقيبة عتيقة فقط، أجواء تفتت صلابة المرأة وتحيلها إلى تراب.

أنا أعرف الرجال من عيونهم، وعيناه كانتا خائفتين، عيناه حرب شرسة، جبّانة مقفرة مستنقع، درة ساعة وساعة قبضة من الرماد، عيناه دلّتا على ريبة لا توصف بالناس، فهو يتلفت يميناً وشمالاً ما ان تتطلع الوجوه فيه، حتى انني سألته عما يريبه، عما يرعبه من هذه الحياة. والحق يقـال انني طمأنته لكسب رضاه وادخاله إلى اعتيادية المنزل، قلت له، البيت بيتك، كلنا عرب أمنا حواء وأبونا آدم، ولا فرق بين العرب والعجم إلا بالتقوى.

لكنه-ومنذ اليوم الاول لمجيئه أوحى بغرابته، مهنته قطّاف وسنه صغيرة، ما الدافع لمجيئه إلى هذا البلد، مَنْ هم أهله، امه، ابوه، كيف افلت من الحرب، كيف سافر إلى هنا، وما الدافع لمحنّتي عليه، أسئلة لا أريد التفكير بها، أما اغواؤه، أما شَبكه، أما ارواء

عطشه الجسدي، فتلك مسألة أخرى.

الغربة سم فليكن الله في عونه.

عندما جاء به الدلّال لرؤية الغرفة، وقفت أنا خارج الباب، في الحديقة، فغرفته تفتح بابها على حديقتنا، وراح يحدّق بالجدران والباب والأرضية، حدّق بخفة العارف بما تقع عليه عيناه. هنيهة، أحجم بصره بعدها عن شقوق الباب وارتد انتباهه عن بشاعة السقف، ثم أطال النظر ودقق، باهتمام مبالغ فيه، بحديقتنا المتواضعة. ظننته جاء ليؤجر الياسمين والرازقي أو يشتري الكرمة والصبّار. وهذا ما افرحني وجلا عني غيمة الكذب المتراكمة في رأسي، فلم يدلِ وكعادة المستأجرين، بملاحظات مملّة غرضها خفض سعر الايجار أو تجديد الأثاث أو صبغ الجدران. هو خبث قديم وافتراء ممل. كلا، لم يقم بألاعيب سمجة ولا مثلّ دور الراغب عن، بل قال انها مناسبة وسوف يؤجرها. لم يناقش السعر ولا تطرق إلى طلاء الجدران، أغنته ورودي عن المساومة وصرفه حرجه عن الجذب والمدّ، وفي تلك اللحظة كنت مستعدة لخصم خمسين ليرة لو أبدى أي اعتراض مهما ضَؤل، إلا انه لم يفعل. وهذا ما دعاني للحكم عليه بأنه غشيم، والغشيم أفضل من الذكي على أي حال، فهو سهل الاصطياد، يثق بطيبة البشر، ولا يميز الطين من العجين ونحن النساء نعشق النوعية هذه.

انها فترة لعب، فترة البداية تلك، كنت خلالها أتحين الفرص لدخول غرفته، لدخول سريره، وما منعني لا خوفي منه، من ضعفه، أما المرة الأخيرة التي دخلت فيها غرفته فكانت عقب تسليمه المفتاح. فاجأني قراره، أدهشني، طوّح بكل أحابيلي وخيوطي وأوهامي اللذيذة، فدون سابق انذار، دون اشارة تدل على ضجره منا، يأتي بوقت لا متوقع ويقول انني خارج، يفارق مساكن برزة والزقاق والبيت ويضيع في متاهات الشام بلا خبر عنه ولا دليل. أي عقوق يحمل هذا الشاب، أي نزق حمل حصاننا، شمعة حديقتنا، لعبتي وشاغلي، على المضي إلى الأبد.

المفاجأة، الخديعة التي جابهني بها، الفضول، استعجاله، حيرته، حشرجة صوته، قادتني ركضاً إلى غرفته، وبالهول ما رأيت، شيء لا يصدقه العقل، فالأرضية كانت مغطاة بديدان صغيرة ناعمة كالحرير وحيدة كسلاميات اصابعي، ملايين، مئات الملايين من الكائنات الضالة مبثوثة في كل مكان: على اللحاف الرث المزركش بالطيور والأشجار ووجوه النساء، تحت سجادتنا العتيقة التي اشتريناها قبل عشرين سنة من تاجر سجاد لبناني، وراء الباب، على الجدران، بين فجوات الورق الممزّق والأحذية المشتراة من الأرصفة، أرضية غرفتي، مخزننا العتيد نبع من السلابيح البيض أفقدني مرآها صواب العقل وأتزان الروح.

كلا. ليست من جسده. لا أريد أن أصدق ان ذلك الشاب كان مخزناً للدود.

كان شاغلي. أتأمله خلسة في المساء وهو وقته المحبب للوقوف في الحديقة.

عيناه لم تلمحانني قط، انني انزوي في الظلمة بلا نور، ويحدث هذا عندما انهي صلاة المغرب فأقوم إلى الستارة فأسدلها مبقية فرجة ضيقة للنظر. وكثيراً ما فاجأتني سعاد على هذه الحالة فكنت أتخذ دور من يتطلع إلى الجبل أو الجيران أو غروب شمس قاسيون الأحمر. السماء كانت محط بصره، يتأملها بخشوع قسيس وورع امام، كان يبدو وكأنه يلمح صوراً شريفة ووجوهاً اليفة، يقرأ طالعاً بعيداً، يتشمم ويتسمّع ويناجي، يصلي قائماً ويحج إلى مكانات قصية من مكان وقفته.

في مساءات ثانية أو صباحات أخرى، يغادر السماء وينخفض ليركع قرب ورودي، يحـدّق بالورد ويداعب الورق، يلمس الغصن ويمسك الساق، يصفن وليس من سبب لصفنـاتـه، في شجرة الكرم أو، يتشبّث كأنه مجنون بغصن جاف يظل ينكأ به الصلادة الكونكريتية من غير ملل. لكن رغم تشوقه الزائد إلى السماء، ضياعه في واجهات البيوت المجاورة، نظراته النارية إلى جسدي والنساء، إلا أنني ألمحه ناظراً إلى فوق، أي إلى الطابق الذي نسكن، مع ان ابنتي سعاد تغري الشباب الذين في سنّه. وهذا شيء أغاضني وأفرحني، أغاضني بسبب احساسي أن ابنتي لا تثير الفضول لديه كالأخريات مع ما لها من جمال واضح، وأفرحني لأنه يحبّ النساء المتزوجات، امثالي، كعادة الكثيرين ممن فقدوا حنان الأم ورعاية الأسرة، كما يجنبني في الوقت عينه، تقولات الشارع وفضائح النساء وألسنة المفلسين.

عندما اكتشفت تعاطيه الخمرة، فسرت سلوكه، جنونَ عينيه، اهماله لنظافة جسده، هذيانه وصفنته وطوفاناته المسائية في سماء دمشق، نتيجة أكيدة سببّها ذلك السمّ، السائل القبيح الـرائحة، فقلت لنفسي ان الواجب يدعوني لتحذيره منه. جعلتني أمه، أسرته، وطنه، إلا ان الذي اعتاد على سيئة لا ينفك عنها. أردت ان اوضح له ان رائحة جسده المنفرة، فوضى شعره، سروحه غير المفهوم، عمله غير المستقر، ضياعه الشاميّ، إنْ هو إلا الخمرة. وقد اخبرتني أكثر من جارة ان اولئك العراقيين يتعاطون الخمرة كثيراً، فحذرته وردّ عليّ بوقاحة، ما خطر لي انه يملكها، سيمضيْ إلى سكن آخر ان هي أصرّتْ على طلبهـا بالكف عن الشرب، وقـال ايضاً ان الحق ليس معها بالتدخل بأمور شخصية لا تعنيها، وكدت انبهه بان البيت بيتي وآخر من يقرر تصرفات القاطنين وأولهم هو أنا.

اغضبني حقاً وأوشكتْ الخيوط بيننا ان تنبتّ، والأواصر ان تنقطع، إلا انني تمالكت زمام روحي وابتعدت عن الغضب، فالغضب دمّلة تأكل الروح والجسد، وحنّ له قلبي. لا أم ولا زوجة ولا معارف، فما كان مني، وبعد يوم واحد، إلا ان عدت واخبرته أن بامكانه

الشرب داخل الغرفة، وليكتم الأمر عن الجيران. فالجيران أعينهم مفتوحة كما لو كانوا أفاع، وآذانهم ترتشف التقوّلات والفضائح بلذة، خاصة، اذا انطلقت من بيت كبيتنا، بيت له أكثر من حاسد وعرضة لما لا يحصى من العيون.

عرفته يتعاطى الخمرة في احدى المساءات الصيفية. كنا جلوساً أمام البيت، في الزقاق، أنا وابنتي سعاد وعدد من نساء الجيران، وكان المستأجرون خارج البيت، فلا أحد يمكث في الغرف بوقت جميل كذاك. وجاء وحده. طوله شجرة كمثرى، ومشيته حجل في واد. شعره منفوش وطويل زاد مشيته جمالاً على جمال. جاء حاملاً بيده حقيبة بلاستيكية منتفخة، فجذب أنظارنا كلنا، الصبايا والعجائز، المتزوجات والعوانس، فران علينا الصمت غراب في بريّة. وحده كان في الزقاق. رجل واحد ونساء كثار والعيون ثُبتت فيه، في مشيته، عينيه، ملابسه، شعر ذقنه الشبيه بأعشاب الربيع، بل حتى في طريقة امساكه ما يحمل. لكن وياللهول، ياللفاجعة، لم يستطع الصمود أمام نظراتنا، اذ اختلّت مشيته، وفقدت خطواته اتزانها، وتلفت يميناً وشمالاً، مسح رأسه وحكّ وجهه دلائل ارتباك لم تُخفَ على أحد. وحين همَّ بولوج الباب، وكانت درفة واحدة من درفتيه فقط مفتوحة، اصطدم كيسه بالباب وانكسرت الزجاجة، فاح السرّ وعرفنا الأمر من الرائحة، فلتلك الخمرة رائحة فاسدة لا أتخيل كيف يطيقها.

وآمنت بعدها ان الخمرة هي السبب في قلقه وتوهج عينيه وتأملاته، تيهان افكاره، انكسارات وجهه وحموضته، هي السبب في تحوله إلى بهيمة تعيش في غرفة مليئة بالديدان.

لقد مضى أكثر من شهر على اقامته في بيتنا حين لمحت ديدان غرفته. لم أصدق وقتها، انها آتية منه، فالشهر ربيعي والحياة تدب في كل مكان، وكان ظل البيت يغطي الحديقة، ومن مستأجرينا طالب المدرسة وحده في المنزل. كان الصباح جميلاً، كنست في ساعاته الاولى أرضية الحديقة وجلبت ماسورة المياه كي أسقي الزرع، وفي لحظة غريبة شاهدت خيطاً دودياً خارجاً من العتبة. خيط ابيض يتلوى بشكل مرعب ويحاول الوصول إلى جذر الياسمين، والصبار في محامله، وأوراق العشب الغضة. وقفت مبهوتة، وهممت ان أطرق الباب واستجلي السر، لكنني تراجعت مفسرةً القضية على انها اساءة التنظيف لا غير، وكثيراً ما يحدث ان اهمل الحديقة فتمتلىء بالاوراق المتساقطة والديدان وذروق الطيور والاشياء التي يقذفها عفاريت الجيران الصغار من كرات مطاطية وبقايا تفاح ونوى كمثرى وقطع حديد.

ان ذلك الخيط الرفيع كان قادماً من غرفته، هذا ما آمنت به في يوم الديدان الأخير الذي رحل فيه.

دُقَّ جرس الباب، جرس الطابق الذي نسكنه، وكنت تلك اللحظة منهمكة بتنسيق ملابسي القديمة داخل خزانة الثياب المؤطرة بالمرايا، فتوقعت ان يكون الشخص جارتنا تطلب حاجة أو الدلاّل راغباً في رؤية الغرفة الفارغة منذ اسبوع أو أحد أطفال الزقاق.

لكنني وجدته هو. فوجئت به. فما من عوائده دق الجرس، اذ، كان يسألني عما يرغب ما ان يراني في الحديقة أو داخل المطبخ أو أمام الباب الخارجي. دُهشت لمظهره. وجهه منقبض كالح مذعور، ورائحته خليط من عفونة مني الرجال وعطن الأجساد وفساد دخان السجائر. صوته نشيج وعيناه متعبتان. ومن دون ان نتبادل الحديث اخبرني انه ماض.

في البدء ظننته سيسافر وقدم لأعلامي، وما تبينت قصده الحقيقي إلا حين وقعت عيناي على المفاتيح وقد حطّها بتؤدة وسط راحة يدي. لم تتح لي المباغتة فرصة الكلام، عضّتني الدهشة وأمسكتني الرهبة. لا أريدُ له تركنا. فتشاغلت بالحملقة بالمفاتيح وأكياسه المركونة جانب الباب وضوء الشمس المنسرب بغرابة وغزارة إلى الممر الداخلي، وبشيء من التردد وبعد ان ران علينا سكون لا مألوف، سألته: هل تنوي ترك البلد، فقال لي، أنه لا يدري ما يأتي به الغد، وسيقيم مؤقتاً عند واحد من معارفه.

صوته خدر كان، مرتعش، أغراني ودفعني لمحاولة اقناعه بالعدول عن قراره. ابق هنا مجاناً إلى أن تجد عملاً ثابتاً، انتقلْ إلى الغرفة الخالية اذا رغبت، عرضت عليه حججي كلها فلم تُجدِ نفعاً. قلت له ان ادركتك حاجة فما عليك سوى المجيء إلى هنا، فنحن أهل، وكان يجيب على عروضي بدمدمة غير مفهومة وبرم يعكسه وجهه بوضوح، كان متعجلاً بالذهاب، كأنه هارب من فضيحة. وحقل الديدان ذاك كان هو فضيحته، مطارده، ماضيه المروّع وحاضره اليتيم.

توارى فتاي الغريب، هام بين حواري الشام في ذلك اليوم الربيعي ولم أره بعدئذ. ولا أظن انني سأنسى، من بين آلاف المستأجرين الذين مروا على المنزل، ذلك العراقي الخائف الذي هام على وجهه.

وانا احاولك

محمد فؤاد

هل تعرفينَ كم انتظرتُكِ؟
ـ شارعاً كاملاً من المطرِ
وكم كنتُ ـ كالأرنب ـ
أقضمُ الوقتَ سريعاً
كي أصلكِ
وكم قلتُ لكِ:
بائخةٌ
ولن أحبّكِ
وكم مددتِ لسانَكِ الصغير
وقلتِ لي:
لنْ تقدرَا!
..
..
أنا أعرفُكِ

لقد حاولتُكِ تماماً
وما كسبتُكِ
وجئتُ من كلّ حدائقِك
كعشبةٍ
وعلى أطراف أصابعي
وقفتُ كي ألمحَكِ
ومثل طفل مشاغبٍ
أكسر كلّ الالعابِ
والمفاجآت المركونة على الرفّ

..

..

..

وأختارُكِ!
ومن قال غير ذلك؟
ومن قال غير ذلك؟
أنت تعرفين
وأنا أيضاً
والغيمةُ العالقةُ على اطراف قميصكِ
أنني كوّمتُ في الركن
كل طحالبي
وأعشابيَ الذابلةِ

..

..

..

ولحقْتُكِ!!.

بغال متناثرة كريش*

لقمان ديركي

١ - الملوك

هواءٌ لكم، تباعدوا قليلاً ورتبوًا كلامي، هواءٌ لكم، تصلون لسمائي..
تفرقوا قليلاً واسندوا سقوطي، لا الممالك القديمة تعتق الهواء الذي مرّ
ولا الدول الحديثة تقمع الثورة التي تحتي
هواءٌ لكم، كل قرن أهيء لكم البلاد وأنتم بالدول البائدة غارقون
كلامٌ مدهشٌ لأميركم الطاعن واللاعن أباه
أوراقه لا تسودها عروش، كلام البرق للرعد، يهيء لنا ذروة لنتزاحم عليها، كلام الغيم للأرض مساومـة على مطر قد يكـون،.. منـذ ان بادت الأرض صار للصحارى طعم احتراسٍ ونكهة ذئاب تختبىء، منذ ان بادت صار للاكراد طعم لغةٍ سريةٍ تشطبها المدارس ويدونها الهواءُ.
لن تأخذه ورقةٌ ولن تغيِّبهْ ريحٌ إلا وللمنصتين أثر فمهِ الأرعن، لن تميل رقبته إلا ولكم أفق

---

* مقاطع من قصيدة طويلة بعنوان «شخوص الممالك الزائلة».

التفاته الطويلة ، حين تستيقظون وتحصون ممالككم، حين تستيقظ الريح على غيم يستدرجها لشتاءاتكم، حين تحتدمون في صفيرة الغائب وتترنحون كلكم . . وقتهـا ياملوك العـراء سأهـدهـدكم وأحكي لكم عن اباطـرة خذلتهم تيجانهم وعروشهم ذات يومٍ قبل الميلاد.

٢ ـ الجبال

قامة الليل ، مكللون دوماً ومنسيون على الحدود، أقتربُ من شخوصي المرتفعين وأصرخ:
جوووووودي، جووووووووووودي. . ويلتفت تاركـاً لثلوجه حسرة العراق وحذر الأتراك
جوووودي ويلتفتُ مودعاً فيَّ التفاتة الكبير لصراخٍ يكاد لا يصل.
قامات طويلة وأصغر تختبىء فيها، صمتٌ لا يوازيه كلام وصدى لطلقات حرس الحـدود، اختلط الله في شخـوصي المرتفعين، ضاع المهربون بين المقاتلين، والمقاتلون بين الجنود، والجنود بين الأهالي والحدود تصفُ لشخوصي مكانها.
قامات تلتصق بالماء وتحكي للهواء عن المهربين والسياسيين الاجلاف بشواربهم المخبئة أفواههم.
الجبـال المـرصـوصة على بعضها، النائمة على بعضها، المزهوة والخجلة من بعضهـا، وحـدها تعرف السهول المترامية، وحدها ترى الجهات وأشلاء دجلة وفيضاناته وتصمتُ. . تصمتُ.
خذ الثلج وسترى كيف تذوب، خذ البغال المتفجرة بالألغام وأكياس التبغ وسترى كيف تحكي، خذ علوها وسترى كيف تمتد تمتد حتى تحتوي الله، قامات حتى السمـاء، حتى السـابـع المكلل بالغموض، قامات ترى المكان وحدود المكان وتصمت تصمت تصمت.

٣ ـ الحدود

حيث العسكـر والألغـام، اناسٌ يقفون بأصواتٍ أجنبيةٍ وأفواه مفتوحة ينظرون،

حيث دون بطاقات شخصية ينتظرون الله ليتعرف عليهم، خائفون من الشرطة واسئلة العسكر، دون بطاقات يتجولون في المدن الكبرى ويتركون للشوارع رائحة جنسياتهم الغامضة، دون بطاقاتٍ يأكلون، دونها يشربون ويتزوجون، ملطخون بالحدود حيث يجهل الله رعيته وحيث الرعية تبحث عن إله مكلل ببطاقة شخصية.

وحدك ياحدود تعرفين الذين ماتوا مجهولين من الحكومة، وحدكِ تعرفين أسماءهم المحفورةَ على عظامهم وأصواتهم المدونة على الجبال، وحدَكِ شاهدت الذين انفجروا مع دوابهم ولم يتركوا عظمة تدل عليهم، وحدك تعرفين اللحم الذي تناثر في السماء والدم الذي سال من الخراف والماعز المرتبك على حواف الجبال، الذين دون أسماءٍ تحزَّبوا، دون أسماءٍ شاخوا في أحزاب تناوبتهم، رجالٌ ملتفحون بالريح ومكللون بأشباههم خلف الحدود نساء طاعنات في رجالهن ومزهوات بجلافة أولادهم، هناك.. حيث كل شيء للحدود، حيث كل شيء يضيع على الحدود، حيث يترك الربُّ رعيته للذئاب وحرس الحدود، هناك... حيث دون بطاقات يموتوووووووووون.

٤ ـ جهة

أقنعتنا باحتمال الهبوط، أقنعت سنيننا الهاربة من القحط بنبوتك زمناً، سيد تشير البواصلُ، شاهدةٌ صغيرةٌ تميل عليك، ـ كلما أمرناك بالرجوع.. تقدمتَ.
زنديقٌ مختبىء في لحى الشيوخ المصبوغة بالحنة وعربات يجرها بشرٌ بدل الحمير، كأنك منشق عن شعب دفين وأغانٍ مرتبكة، سيِّد ولوقفتك رائحة العشائر الغابرة، مهزومة جيادكَ وأغانيك، مهزوم وقتك الراقد بين «ديرسم» و«آمد» وهو ينتظر اسمك المدهون بلكنة أبنائك، سيِّدٌ ولرجوعك لون المذابح المزدهية بالدم، ها بسملة الهواء لم تبدأ باسمك، ها اللحى لم تشبه كلامك وأنت مغرورق بالثورات الفاشلة واحتمال عثورك على قبر الشيخ سعيد.
سيِّدٌ ولوقفتك شوارب تروح وتجيء وتختلط في الجهات.

٥ ـ الغجر

رجالٌ من نسائهم، بجلابياتهم البيضاء الناصعة وعقالاتهم الأنيقة يدخنون في الخيام ويقتلعون أوتاد خيامهم عند أول شجار، رجال من نسائهم يعملون أزواجاً لنسوةٍ يحمن كالنحلات في القرى ويتباهون بمسدساتهم المعلقة حول خصورهم وحزاماتهم الرابطة أعماراً تتكيء على أفواه فاغرة لنسوة فاغرات أمام أبو ايفا، هكذا الغجريات المحتلات مدننا الصغيرة باسنان الذهب وبضاعتهن المكتسية بشبقٍ إلهي، تقف سطول اللبن يائسةً من مساومات أمهاتنا الثرثارات.
وللغجريات ضروب الأنوثة في مخادع آبائنا وانشغالٌ ربانيٌّ بترتيب الأجنة الخليطة في احشائهن، زرقة الوجوه الداكنة المنشغلة عن المرايا بالتجارة وصناعة اسنان الذهب وبيع اللبن واحتمال أعضاء آبائنا الشبقة، كما كان الغجر عارفين بأحوالنا، كم كانوا مزهوين بذهبٍ يلمع في أفواهنا، فلتكن للغجر أسئلتي وعلكة الأشجار المطقطقة في أفواه أمهاتنا وأخواتنا طيلة النهار.

٦ ـ المهاجرون

عينٌ على الخسارة وسقوط مدوٍّ، كذلك كان المهاجرون بعربات الخشب وأوتاد الخيام،
لهم ما يحدث وما لا يحدث، فما من فضةٍ ستعلو رنين عرباتهم وما من صخب سيقتحم صدأ وجوههم
لم يفضحوا الآلهة يوماً، بوجوههم الجامدة يغمزون الله ويسألون البيوت عن طعم سكوتهم،
المهاجرون من الثورات الفاشلات وزعماء الحركات والعشائر والطوائف، كانوا حزانى فلم تنظر الشمس إليهم ولم يرمِ الأطفالُ إليها كي تبدلها بأسنان غزال، عين على الخسارة وأخرى على المهاجر وهو يرمي وطنه إلى الشمس.

٧ - (. . . .)

كم أريد لو أدفن هنا فيمتلىء فمي بالتراب - تراب الوطن - فلا أحتج ولا أصيح وتجيء الملائكة وتنهر عظامي، كم أريد لو أدفن هنا فيسيل من شفتي الدود - دود الـوطن - فأشكـر من منحني هذه المهـازل كي أقـول كل هذا الكلام، غير آبه بالجمـاهيـر المنتـظرة نهـايـة الملهـاة وما يدور تحتي، فليخرج اللاعبون إذاً، زائلون . . شخوص الممالك الزائلة في احتضار آخر ريحٍ على ما كانت منصتي، كي تضيق الصالة علي مكسرةً عظام الجماهير وعظامي. . . كم أريد لو أموت هنا كم أريد لو أدفن هنا . . كم أريد



قصيدتان

فراغ واغبرة كربلائية

سعيد الجعفر

قمر . . .
دورة للغياب
غبار
حسين يضمخه القتل
انثى تعانقها ظلمة
صقر غاب تمنطق بالحذر المر
القى صواعقه وانطفأ

* * *

قمر . . . عفة الليل تحرسه
طيف انثى . . عباءتها اغرقت حذر الصقر
القت صواعقه
اطفأته

* * *

قمر انثوي اللجين
يصلي
تسابيحه لؤلؤ
وزبرجد كون قصي
زمرد شرق عتيق
وصقر يلاحقه بالصواعق. . بالانطفاء

* * *

كربلاء
صبحك المكتسي بالفراغ
ينشر الصمت فوقي
ازار ممات بعيد
عطور العباءات تهمس
تدنو. وتدنو باوجاعها الملحمية

* * *

قمر منزو وسراج بعيد
حصان اصم
وليل وصقر قتيل

* * *

كربلاء
الضحى سقر
والزهور صدى قهوة
والشموس تقي صقيعا

* * *

كربلاء
العباءات مغبرة
ودماء الحسين يلطخها صخب الاغبرة

القصائد طين مريض
والمياه. . .
جيش رمل ترامت وقاحاته
واستبدت بعري الوريق

* * *

قمر اصفر. . . وحدائق موت
وليل ظهيرة. .
وصقر خصي. . .

النخل الازرق

من يأخذني نحو الغيم
نحو شتاء حلو
نحو قبائل سومر
من يسرقني من مهد التكنولوجيا
من ثلج المنطق
ويبعثرني في صرخات الاهل القدماء
من يمسكني من ثوب قصيدي
يفرشني كي يغفو فوق غجر الريبة
من يحمل ضحكي المتهدم
يرميه على طرقات الشمس الشرقيه
من يسرق اغطيتي الخز
ويدثرني بثغاء طيب. . . كالقمر الساذج
كالعنبر اذ يلمس اثداء القرويات
خجل حلو
من يهشم في العقل المتسرطن

ثم يجرجرني نحو الريف
هنالك حيث العاطفة البكر
ترتب لي اغطيتي
من يبتاع سلاحي الذري المخصي
ويعيد الي رماح جدودي الوقحة
هل من قابيل يزدرد الثلج بروحي
كي ابعث عند وحيد القرية
نخلاً. . . . نخلاً أزرق

قصائد

مها بكر

مرّةً ركض
المطر
وراءِ امرأة
فتحوّلت إلى غيمة

* * *

تلك الشجرة
مازالت تقف
باستعداد
بانتظار أمّها الغابة
لتخبرها بان السواقي
ستمرّ بجذورها
إذا ما مرّ النهر
غير منتبهٍ

* * *

ذهبت بعيداً
بعيداً جداً
في عينيه

* * *

أعطتهُ وجهها
اهداها مرآة

* * *

بأصابعه حرث
مساحاتٍ كثيرة
من جسدها
وهو الآن يتوقها
عشر سنابل
لعشر سنين ثقيلة
من الجوع
باصابعه حرث
مساحاتٍ كثيرة
من جسده
وهو الآن بانتظارها
أن تهطل

* * *

قلّب صفحات وجهه
كثيراً
عدّ الأيام الباقية
من عمره الواقف
حمل في رأسه
كلّ ما لا ينسى

دار حول ذراعه اليسرى
محاولاً اكتشاف
قارّةٍ سادسة
وبدون رغبةٍ
رشف القهوة
مع قليل من الهواء
ذلك الرجل
مازال حتى الآن
مع تلك الشجرة الواقفة
بانتظار امرأةٍ
عند ناصية
الشارع الأخير
من القلب



صقر عليشي في مجموعته: «الاسرار»:

شاعرٌ يقيس المسافة بالنبع!!

فائز العراقي

وأنا أواصل قراءة مجموعة الشاعر السوري صقر علَيشي الجديدة «الاسرار» تمَلكني هاجس ان أعـود إلى الوراء قليلاً، إلى مجموعته الأولى: «قصائد مشرفة على السهل» الصادرة عام ١٩٨٤، فذاكرتي وذائقتي الشعرية تشيران إلى ان ذلك العمل كان له مذاقاً آخر، جمالاً مختلفاً:

«أنا من الريف
حيث كل شيءٍ مرتفع
الروابي
والنهود
والجباه
رعيتُ الأبقارَ والماعزَ والسواقي.
وركضتُ
مع الصباحات النشيطة
مع الشعاب الجبلية
حتى تمزقت جوارب المنعطفات

في صدري من الحقد
ما يكفي لاشعال العالم
بالثلج والموسيقى

. . . . ص ٢٠ ، من قصيدته باتجاه الشعب».

لغة واضحة ومشرقة، موسيقى هادئة حالمة، مخيلة شعرية يانعة تنتجَ لنا صوراً مبتكرة ومدهشة «تمزقت جوارب المنعطفات»، رؤية إنسانية عميقة تمنح العالم النقاء «الثلج»، والحلم «الموسيقى»، هذا ما يكشفه المقطع الشعري المذكور.

ليس في هذه القصيدة من مجموعته «قصائد مشرفة على السهل» يتألق صقر عليشي فقط، بل في العديد من قصائد المجموعة الأخرى: «عندما تولد القصيدة ص ٢٧ ، نوافذ ص ٢٣ ، مؤهلات للعمل في الوظيفة، التساؤلات الأخيرة لبابلو نيرودا ص ٥٣ ، مباركٌ هو اسمك ص ٧٣. . . ».

لكننا ما ان نلقي النظرة الأولى على العديد من قصائد مجموعته الجديدة: «الاسرار» حتى نشعر بجو آخر، لغة أخرى، رؤية أخرى!

تُرى هل يمكن ان تفعل المدينة: بعلاقاتها المزيفة «على وجه العموم»، باستلاباتها، بصخبها، كل هذا في ذاكرة الريف النقية المتوهجة؟ هل يمكن ان تنحت كل هذا الانكسار في روح الشاعر؟

«نحن لا أطيب، لا أبسَط منا
لا نحب الشرَ للناس
لم نؤذِ بشرْ
لم تعث أغنامنا في زرع جارٍ
لم نغيّر عن أراضي الغير
مجرى الماء
لم نرمِ على بستانهم يوماً حجرْ

● ● ● ● ● ● ●

نحن لا أطيبَ، لا أبسط منا،
هكذا نحن،
طوال

وبديعون

على مدى النظر

ص ١٥ - ١٦ من قصيدته هكذا نحن».

- تُرى أي شيء يمكن ان يهزنا في هذه القصيدة؟

كلامٌ عادي يخلو من ألق الشعر ودهشته، والشاعر هنا لا ينجح في إضاءة القول الشعري أو في إيقاد اللحظة الشاعرة.

كلامنا عن هذه القصيدة لا ينطبق على كافة قصائد المجموعة، التي يمكن ان نقسمها إلى مجموعتين من حيث مستواها الفني: الأولى قصائد هابطة فنياً - على وجه العموم - تسقط في مطبات التقريرية والمباشرة وعادية الكلام، وحيث المخيلة قابعة في زنـزانتها تمنعها قيودها من الانطلاق في مملكة الشعر الفسيحة الأرجاء، وهذه القصائد هي: «سأكتب شعراً ص ٨، لم نزل قادرين ص ١٠، لوحة ص ١٢، وئام ص ١٤، هكذا نحن ص ١٥، حوار في الجغرافيا ص ١٧. - ما عدا بعض الومضات الشعرية المبثوثة هنا وهناك في هذه القصيدة كقوله: يحد القصيدة: دمي -».

أما الثانية فهي القصائد المتألقة فنياً، وهي إمتداد لقصائده السابقة في المجموعة الأولى: «قصائد مشرفة على السهل»، حيث المخيلة المحلقة، والصور المدهشة التي تبث فينا نشوة السحر والحلم، واللغة الشعرية الموحية، اللماحة التي تُضيء الشعرية في بنية النص الشعري وتُشعلهُ من الداخل، ومن هذه القصائد: «إنكسارات - وخاصة إنكسار رقم (١) - ص ٢٤، مرثيات، نام، نام ص ٣٠، الأسرار: التكوين ص ٣٦، الحياة ص ٣٧، أسراب الأسرار ص ٤٠، بث مباشر ص ٤٢، بلور ص ٤٣، أيضاً ص ٤٣، باتجاه البحر ص ٤٤، منازل القلب - أعني بعض قصائدها - ومنها: جاهزان ص ٤٩، في ذهاب ميم ص ٥٠، سماء خاصة ص ٥٣ .... الخ».

وبالرغم من خالة الاحباط النفسي التي يعاني منها الشاعر في «إنكساراته» إلّا انها تعبر عن صدق الحالة الشعرية وتوهجها الشعري من الداخل، فلنقرأ له إنكسار (١):

«أنا أفق محبط...

مقفرٌ من طيوري ومن رايتي...

مقفرٌ من نباحٍ يؤانسني...

من هلال....

أنا زرقةٌ سقطت من أعالي سماواتها
فتناثر بلورها
فوق صخر الجبالْ

ص ٢٤».

الدهشة كامنة في حالة التنافر القائمة بين «النباح» و«المؤانسة» التي أسبغها الشاعر عليه، إذ كيف يمكن ان يكون «النباح» مؤنساً؟

وقدرة الشاعر على رسم هذه الصورة المركبة والرائعة حقاً، تتجلى بكونه جمع بين ظاهرتين حسيتين: «زرقة السماء» و«تناثر بلور» هذه الزرقة ـ هنا تتجسد أيضاً قدرته على إعادة صياغة العالم وتوهمه ـ: «أنا زرقة سقطت من أعالي سماواتها/ فتناثر بلورها/ فوق صخر الجبال/». `

حساسية شعرية عالية ومتوهجة في هذه الصورة، حركية داخلية تتجسد بسقوط الزرقة وكأنها كتلة ما: كرة، أو حجر، أو أي شيء يمكنه السقوط.

بودي ان اسجل ملاحظة أخرى عن هذه المجموعة، تتعلق بالقافية واستخدامها، حيث أرى بان الشاعر لم يحالفه التوفيق ـ غالباً ـ في استخدامها، إذ انها لعبت دوراً كبيراً في لجم المخيلة الشعرية وتحديدها، وهذا واضح في قوله: «أعذب، أصلب، تتعذب ص ٩، قصيدة سنكتب شعراً» وقوله: «بشر، حجر، في قصيدته هكذا نحن ص ١٥».

أما قصيدته المهداة إلى الفنان التقدمي الراحل ـ الفنان المبدع الذي قدم كثيراً للحركة المسرحية في سوريا والوطن العربي، الذي ذوى كشمعة قدمت كل ما تستطيع من أجل إنارة روح الانسان وقتل الظلمة فيها، «فواز الساجر» فهي من القصائد المتألقة فنياً:

نامَ نامْ
نامَ أبعد مما يسافرُ نهرٌ
وأبعد مما يطير الحمامْ
نامَ
لملمَ أعماقه وانتأى
وأغلق أحلامه بالرّخامْ

(من قصيدته: نامَ نامْ ص ٣٠)



قراءة في الجزء الاول من مذكرات الشاعر أحمد دلزار

آسو ملا حسن

في كانون الثاني من هذا العام، مرت سبعون عاماً على ميلاد أحمد دلزار، الاديب الوطني والشيوعي المعروف في وطننا الحبيب.

ان التوقف عند هذه المناسبة، وتأمل مسيرة حياته، لها مغزى عميق يتجاوز حدود اشعاره وكتاباته، انها تجربة غنية تمدنا بروافد لا تنضب للديمومة والاستمرار في دروب الحياة، وعبر لا غنى عنها، لنا الشباب بالاخص، من أجل ربط مآثر شعبنا في الماضي بالحاضر وشق الطريق الشائك عبر تهديم قلاع الدكتاتورية، والتوجه صوب مستقبل أكثر ازدهاراً وتطوراً.

يتطرق الشاعر في مذكراته باختصار إلى بعض ذكريات طفولته أيام العشرينات وخاصة، بعد احتلال الاستعمار الانكليزي لبلادنا، حيث يذكر ان الانكليز كانوا يجبرون المواطنين عنوةً على نقل تموينهم وعتادهم من كويسنجق إلى اربيل ورانية. ولأجل تثبيت سياستهم ووجودهم، قاموا بفتح ما يسميه الشاعر بـ (فقير خانه)[1] حيث كانوا يطعمون الجياع خبزاً، وفي نفس الوقت ينظرون اليهم باستخفاف وسخرية كما كانوا ينظمون مسابقات غريبة، فكل من يستطع ان يبتلع قرصة خبز بلقمتين يعطى له (روبيه)، ومن يقدر على ابتلاعها بلقمة واحدة يكافأ (بروبتين)، هكذا كانوا يضحكون على عقول الكاذحين.

ويذكر الشاعر آلام ومآسي عدد من العائلات الكردية من كردستان تركيا الذين التجئوا

إلى كويسنجق من بين آلاف العوائل التي نزحت إلى كردستان العراق، هرباً من بطش وقمع السلطات التركية بعد سحق انتفاضة (شيخ سعيد بيران) المسلحة في منطقة ديار بكر سنة ١٩٢٥ . . . .

ويتحدث الشاعر عن العديد من الاساليب والوسائل البالية والمضرة في أمور وممارسات اجتماعية، وفي معالجة الامراض. . . . ويذكر الكثير من الالعاب الفولكورية المسلية والجميلة التي كانت تقام بشكل منتظم في المدينة، ويذكر بالاسماء عدداً من الموهوبين والظرفاء في تلك الالعاب، وفي سرعة الكلام والبديهة والتحدث والمجاملة. . . الخ.

يصف أحمد دلزار والده، بانه كان كثير الولع بالورود والازهار، فقد أقام في بيتهم أجمل حديقة في المدينة تضم مختلف أنواع الورد، كما يصفه انه كان متعلماً، وواعياً في عصره، يجيد اللغات الفارسية والتركية والعربية ويقرأ اشعار شيرازي وحافظ وكتب مولانا جلال الدين الرومي ورباعيات الخيام وديوان محمد خاني دشتي، وكتباً عن التاريخ الاسلامي بالعربي والفارسي و. . . الخ، وكان أحياناً يترجم لهم بعضاً من هذه الاشعار والكتابات. كل ذلك ترك اثره البالغ على أحمد دلزار وعلى ميله إلى الشعر. بدأ دلزار تعليمه في الجوامع حيث تعلم قراءة القرآن الكريم واستفاد منه كثيراً للتعرف على اساليب اللغة العربية وفصاحتها، ثم دخل المدرسة الابتدائية، وكانت الدراسة باللغة الكردية وشجعه استاذ اللغة العربية على قراءة الكتب العربية، فبدأ بكتاب الف ليلة وليلة وشعراء الجاهلية وشعراء العصور التالية: وجبران خليل جبران ومصطفى لطفي المنفلوطي. . . وغيرهم. وكان يتردد باستمرار على جوامع كويسنجق ويلتقي برجال الدين المحبين للشعر والأدب، وعن طريقهم تعلم الكثير واطلع على الشعر الكلاسيكي الكردي، كما ربطت بينه وبين الشاعر الشيوعي المعروف (دلدار)[٢] صداقة قوية.

ويعتز الشاعر كثيراً بمجلة (كلاويز) الكردية التي دأبت على الصدور من عام «١٩٣٨ - ١٩٤٨» حيث يقر الشاعر بفضل هذه المجلة على تعلمه اللغة الكردية، لغته الأم. هذه المجلة التي كانت تعتبر حتى من قبل العديد من المثقفين العرب بانها كانت أفضل مجلة أدبية وثقافية في عموم العراق وقتها. ويذكر الشاعر بانها نشرت في عام ١٩٤٦ مقالة مطولة بعنوان (مات كالينين)، وترجمها الشاعر إلى اللغة العربية سنة ١٩٥٠، عندما كان سجيناً في سجن الكوت، وقرأت في اجتماع عام وحُظيت باستحسان الجميع، ويؤكد بأن لهذه المجلة دوراً متميزاً في تربية وتثقيف الشباب الكردي في ذلك الوقت.

وعن بداياته الأولى للتجربة الشعرية يقول دلزار بانه بدأ ينظم القصائد قبل عام ١٩٤٠ اذ كانت تنتابه في أحيان كثيرة هموم ثقيلة لا يعرف سببها، خصوصاً في المناسبات

الاحتفـالية والمفـرحة. . . ومن الجدير بالذكر ان الشاعر منذ صغره كان يعاني من عدة امراض انهكت قواه البدنية، وجعلت مشاعره واحاسيسه رقيقة. وكان يجد عزاءً بالركون إلى القلم والدفتر عندما تشتد حالته النفسية والمرضية مدوناً مشاعره بابيات شعرية، ففي دقائق يكتب عدة أبيات، وأحياناً بعدة أيام يكتب قصيدة، ويتحدث بانه كان أحياناً يجد صعوبة في التعبير عن صور ومواقف شعرية مستعصية، وينتقي تلك الصور والمواقف إلى ان تجد لها صيغاً تتفجر بتلقائية، ويضعها ضمن القصيدة التي تناسبها.

ومما يأسف له حقاً ضياع وتلف، ثلاثة مجاميع شعرية للشاعر في خضم الظروف الصعبة التي مر بها الشاعر وشعبنا عموماً.

المجموعة الاولى التي كتبها بين اعوام «١٩٤٠ ـ ١٩٤٤» والتي كانت تضم (٧٠) قصيدة، وعدداً من الرباعيات والقصائد القصيرة، ضاعت مع احداث اسقاط جمهورية مهاباد الفتية، حيث كان الشاعر قد اودعها عند أحد اصدقائه المقربين والذي اخذها معه إلى مهاباد قبل تلك الاحداث.

وفي سنوات «١٩٤٦ ـ ١٩٤٩» نظم الشاعر أكثر من (١٢٠) قصيدة قصيرة وطويلة، وبعـد الافراج عنه من السجن حيث قضى ثلاث سنوات، لم يعثر عليها. وفي سنوات «١٩٥٢ ـ ١٩٦٣» نظم في ديوان شعري (١٥٠) قصيدة، لكن انقلابيي الثامن من شباط الدموي، احرقوا مكتبته بكل محتوياتها. وقد سببت له هذه الاحداث مجتمعة آلاماً نفسية حادة، يقول بانه لا ينساها أبداً.

يقول الشاعر، بان اعداد قصائده الغير المنشورة، ضعف القصائد المنشورة، وهو قلق على مصير تلك القصائد، وما سيحل بها؟

وعن عودة إلى أيام الدراسة يشير دلزار إلى ان ظروف عائلته الاقتصادية لم تسمح له بالذهاب إلى اربيل لاتمام الدراسة في الاعدادية، وبقي الشاعر بدون عمل سنة كاملة، ثم التحق بصفوف الجيش (الاللفي) وانتقل بين الحبانية والمناطق الجنوبية (الشعيبة) ثم رحل مع قطعات الجيش عبر الاردن إلى فلسطين، وزار عدداً من المدن والمناطق هناك. وكان يتردد على الشاعر الكردي الكبير كوران الذي كان يدير آنذاك القسم الكردي المسمى (باذاعة راديو كردستان) والتي كانت احدى أقسام (اذاعة راديو الشرق الادنى) والتقى ايضاً بالاستاذ (أحمد دباغ) القاص الشيوعي الفلسطيني، ومع الموسيقار والملحن (عبد الوهاب محمد). . . ثم عاد مع الجيش إلى العراق، ليرحلوا عبر خانقين إلى ايران مناطق (قصر شيرين) و(سَربُل زهاب) و(كرند). ثم رجعوا إلى مناطق عقرة. . . .

بعد اتمام الخدمة العسكرية، وفي سنة ١٩٤٦، عاد أحمد دلزار إلى مدينته وانضم إلى صفوف حزب (التحرر الوطني) الذي كان يلتف حوله اغلبية الكادحين. وكان يقوده

الرفيق الشهيد حسين محمد الشبيبي. ومنذ ربيع ١٩٤٧ بدأ الشاعر بادارة (مكتبة كويسنجق) وكانت تحتوي على مجموعة قيمة من الكتب السياسية والتاريخية والفلسفية والأدبية، وتشارك مع الصحف والمجلات السياسية في العراق آنذاك، عن هذا الطريق توفرت فرص جيدة له للقراءة والاطلاع، ويذكر بانهم كانوا يقرأون كتابي (الاستقلال والسيادة الوطنية) و (البطالة) كمادة تثقيفية للخلايا الحزبية. وفي خريف عام ١٩٤٧ في عهد وزارة (صالح جبر) نظموا أول تظاهرة في المدينة، عرفت بتظاهرة (الخبز الأسود)، لأن عدداً من المتظاهرين والمتظاهرات حملن خبز الشعير الاسود، ويهتفون (نريد الخبز، الخبز)، حيث كان الوضع الاقتصادي والمعاشي للجماهير الشعبية متردياً جداً، كما يصفه الشاعر، وباستمرار كانوا يقدمون العرائض حول معالجة البطالة وتوفير الكهرباء وتبليط الطريق بين اربيل ـ كويسنجق، وكان الحرص شديداً جداً على توزيع المنشورات الحزبية والتحدث عنها في كل المناسبات المفرحة والمحزنة. وكان يجري الاحتفال بالاعياد الوطنية والاممية وفي عام ١٩٤٨، نظم أكبر احتفال جماهيري في تاريخ المدينة بمناسبة عيد نوروز، وقدم الشاعر وصديقه محمد توفيق وردى مسرحية شعرية ناجحة، في ١٩٤٧/٥/١ اعتقل الشاعر لأول مرة وحُكم سنة (ادارياً) مع عدد من رفاقه بسبب توقيعهم على مذكرة تطالب بالافراج عن (شيخ أحمد البارزاني ومحمد آغا مير كاسوري) وآخرين.

وفي ١٩٤٨/٥/٣١ تم اعتقال الشاعر ومجموعة كبيرة من الرفاق في كويسنجق، وبعد فترة تم نقلهم إلى سجن اربيل، حيث كان الرفيق الشهيد جمال الحيدري مسجوناً أيضاً، وكان يشرف على الرفاق داخل السجن الذي كان يضم عشرات الرفاق من بقية المدن. ويُشيد الشاعر بالدور الذي لعبه الشهيد جمال الحيدري في ترتيب وتنظيم أمور الحياة اليومية للرفاق. ويتحدث بانه تعلم أول درس عملي في الحياة الاجتماعية من الشهيد الحيدري، ويذكر بانه عندما بدأ أول مرة بكنس وتنظيف القاعة «كنت اتصور بانني أقوم بعمل قبيح والناس ينظرون باستخفاف إليّ!» ولكن بعد تكرار العملية تعودت تدريجياً، بل اصبحت اشعر بانني اخدم الرفاق حقاً وكنت اسوع في المبادرة لتنظيف ومساعدة وخدمة الرفاق.

وكان الرفيق الشهيد الحيدري، كما يتحدث عنه الشاعر، يردد باستمرار ومعه بقية الرفاق عدداً من اشعاره واناشيده مثل (ايتها الشبيبة الواعية، انتفضي) و (قوة الاتحاد ونور العلم)... عدا نشيد (دعاة الحرية، نحن الاكراد) للشاعر هردي[٣]. وكان الشهيد جمال الحيدري أيضاً ينظم القصائد والاناشيد الوطنية، ويقول عنه أحمد دلزار بانه كان شيوعياً مرموقاً وعظيماً، وبحق سمي من قبل رفاقنا العرب آنذاك بـ (رجل الشمال)، وشكل خلايا حزبية داخل السجن واهتم بجد لرفع مستوى فهم الرفاق وادراكهم وثقافتهم...

عنـد هذا الحد ينتهي الجزء الاول من (ذكرى أيام حياتي) للشاعر أحمد دلزار، حاولت من جانبي ان اسلط الضــوء باختصـار شديد على الجـوانب التي رأيت ان من الضروري التحدث عنها.

هامش

(١) (فقير خانه) كلمة قريبة في معناها من كلمة دار العجزة.

(٢) (دلـدار) شاعـر موهـوب، معروف في الاوساط الأدبية، اسمه يونس رؤوف. من اهالي كويسنجق، محامٍ، وافته المنية وهو في عز شبابه ١٩٤٨/١١/١١. لم يتجاوز عمره (٣٠) سنة.

(٣) هردي، شاعر تقدمي معروف.

«من انا»

اعداد : كوفان اسماعيل

«لو ترجمت قصائد جكرخوين إلى اللغات الروسية والانجليزية والالمانية والفرنسية لأحس العالم إن للأمة الكردية الحق في أن تحسب نفسها أمة سعيدة بين الأمم لان شاعراً عظيماً تقدمياً ديمقراطياً واممياً قد خرج من احضان كردستان».

ـ قناتي كردو ـ

حياته :

اسمه شيخموس حسن ابن محمد ابن محمود، ولد الشاعر الكبير الملقب بجكرخوين (الكبد الدامي) عام ١٩٠٣ في قرية هساري إحدى قرى كردستان تركيا التابعة لمدينة ماردين، من عائلة كادحة معدومة وفي بيئة فقيرة.

توفي والداه منذ نعومة أظفاره، فعاش يتيماً محروماً من حنانهما وعانى طفولة بائسة معذبة حيث ترعرع في كنف أخته ومن خلال هذه الأحداث وجد المعاناة واشتغل ولم يتوقف عن العمل وهو ما يزال صبياً وعندما بلغ الثامنة عشرة من عمره تلقى العلوم الدينية وتنقل في أرجاء كردستان من شرقه لغربه ومن شماله لجنوبه، حيث بدأ حياته معتمداً على نفسه وبدأ رحلة شاقة وتعرف على ظروف شعبه وما يعانيه من ظلم واستغلال الاقطاعيين

والآغوات والبكوات. وفي عام ١٩٢٤ بدأ بكتابة الشعر وبدأت عنده الروح القومية والوطنية وبوادر من الروح الثورية بالظهور وبدأت معاركه مع الاقطاعيين الأكراد.

وفي عام ١٩٢٧ قصد مسقط رأسه وتزوج من ابنة خاله وبعدها زاول مهنة (الملا) أي رجل الدين في قرى الجزيرة «حاصدة ـ جيلكي». ثم لجأ إلى العراق بعد اندلاع ثورة (١٤) تموز ١٩٥٨ وعمل استاذاً للغة الكردية في كلية الآداب بجامعة بغداد.

وخلال اعوام ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ عاصر احداث ثورة ايلول الوطنية في كردستان العراق ثم عاد لسورية. وفي عام ١٩٧٣ قصد بيروت لطبع ديوانه الثالث ومن ثم عاد لسورية عام ١٩٧٥. ومكث في مدينة القامشلي حتى عام ١٩٧٨ بعدها سافر إلى السويد وبقي فيها حتى توقف قلبه صباح يوم الاثنين الساعة الثالثة في ١٩٨٤/١٠/٢٢ في مدينة استوكهولم. توفي الشاعر الوطني التقدمي جكرخوين عن عمر يناهز الثمانين عاماً حافلاً بالنضال بعد ان ذاق مرارة العيش والحرمان.

أدبه وفنونه:

لقد انشد جكرخوين للحرية، حرية شعب كردستان. حيث رأى آلام شعبه وآماله وبدأ يعمل بجد في طريق حرية وطنه وشعبه واصبح ينشد معاناة هذا الشعب وعرف طريق الخلاص من الاستعمار ودافع بكل جرأة وصلابة عن حرية الفلاح المظلوم. وهكذا قضى حياته الطويلة يعادي المستغلين والآغوات والشيوخ لانه رأى بان هؤلاء يعملون لخداع الشعب. وناضل من أجل مطالب الفقراء ومن أجل وحدة صفهم وكان دوماً من دعاة السلام وتحرر الشعوب من نير الاستعمار والظلم. ففي ديوانه الأول غنى لنضال الشعب السوفييتي وحيا بشدة قضاءه على الحكم القيصري.

غنى لشعبه وللعمال والفلاحين، فيقول في تحديه للشيوخ والآغوات ورجال الدين المزيفين:

يامولاي اني لن أقبّل بعد اليوم يديك
لانك بنيت مجتمعاً هزيل البنية
دون علمك.

وفي ملحمته الشعرية (من أنا) التي كانت ثورة في وجه الظلم المنتشر في كافة أنحاء العالم وليثبت لهم مَنْ هو ومن هو الشعب الكردي فيقول فيها:

مَنْ أنا
كرد وكردستان
ثورة وبركان
ديناميت
نار ودخان
أحمر مثل الجمر

ويقول أيضاً:

من أنا
الكردي الظافر
عدو الأعادي
صديق المسالم
لست وحشاً ضارياً
لكن ما عساي أن أفعل
والعدو لا يخرج دون قتال
آبائي واسلافي
كانوا يحيون بحرية

وغنى الشاعر أيضاً لنضالات الشعوب المضطهدة كلها، وغنى لابطال كوريا ولشعب فيتنام وغنى لزنوج امريكا ورفع صوته عالياً لكي يضم صوته إلى صوتهم. غنى لفلسطين والصين ولثورة اكتوبر العظيمة ولكل قوى الخير والسلام والاشتراكية فيقول في إحدى قصائده مخاطباً الزنوج في امريكا:

يارفيقي روبسون
أيها المغني العالمي
أيها المرء المثقف

أيها السيد الانسان
لا تقل نحن السود نضطهد
ها نحن البيض
نضطهد أيضاً.

ويقول أيضاً في قصيدة أخرى له يفند فيها زيف الاخوة ووحدة ابناء العشيرة التي ينشرها الاقطاعيون والآغوات بينهم وبين الفلاحين والعمال والكادحين وذلك لاستغلالهم وبقائهم على اوضاعهم فيقول في قصيدته (إلى متى) حيث يحث فيها الشعب الكردي للنهوض بالروح القومية والوطنية والثورة على الواقع المر الذي يعيشه في ظل نظام الاقطاع:

أيها العمال والفلاحون كفى فقد آن الوقت للنهوض
إلى متى نكون اجراء للآغوات والاقطاع
إلى متى نكون عظمة تتقاذفها الكلاب.

لقد كان جكرخوين شاعراً كبيراً مقتدراً عظيماً. استطاع بأدبه الغزير الوصول إلى مصاف الشعراء العظام امثال بابلو نيرودا ولوركا وكوران وناظم حكمت. فهو شاعر الانسانية، شاعر الحرية وداعية المحبة والسلام، كما يقول قناتي كردو: «إن جكرخوين بنتاجاته وأفكاره بحر بلا قاع، مترامي الأطراف يصعب على الانسان الغوص في أعماق هذا البحر».

مؤلفاته:

إن للشاعر سبعة دواوين شعرية هي:
١ ـ الديوان الأول باسم ألم الشعب ـ صدر عام ١٩٤٦.
٢ ـ ثورة الحرية، صدر في دمشق عام ١٩٥٤.
٣ ـ مَنْ أنا، طبع في بيروت ١٩٧٥.
٤ ـ النور، طبع في السويد ١٩٨٠.
٥ ـ زندافيستا، طبع عام ١٩٨١ في السويد.
٦ ـ الشفق.

٧ ـ الأمل.

إضافة إلى ذلك فإن له قصتين هما:

ـ جيم وكولبري كتبت عام ١٩٤٧.

ـ رشوداري كتبت عام ١٩٥٦.

له أيضاً عدة كتب منها امثال الاسلاف طبعت باللغة الكردية في دمشق عام ١٩٥٧ وكتاب اسلوب وقواعد اللغة الكردية طبعت ايضاً باللغة الكردية في بغداد عام ١٩٦١.

وقاموس كردي عربي وهو بمجلدين طبع عام ١٩٦٢ في بغداد.

مذكرة لمثقفين اكراد إلى الرئيس التركي

تحية طيبة

يؤسفنا ان يوضع العالم الاجتماعي التركي البارز الدكتور اسماعيل بيشكجي في السجن مرة أخرى، وذلك منذ ١١/ آذار الماضي، وتقديمه إلى المحاكمة بسبب اصداره كتاب علمي جديد حول وجود الشعب الكردي وقضيته الوطنية التحررية وضرورة الاعتراف بشخصيته القومية.

نحن مجموعة من الكتاب والصحفيين والفنانين الكردستانيين في كردستان ـ العراق، نناشدكم اطلاق سراح الدكتور اسماعيل بيشجكي صديق الشعب الكردي الذي قضى فترة طويلة في السجون والمعتقلات وذلك فقط بسبب كتبه وبحوثه العلمية عن القضية الكردية وعدالتها. وبهذه المناسبة نناشدكم ايضاً اطلاق سراح كافة المعتقلين والسجناء السياسيين في تركيا والغاء الاوضاع الاستثنائية والقيود المفروضة على شعب كردستان ـ تركيا، وندعوكم إلى حل القضية الكردية حلاً سلمياً ديمقراطياً بما يعزز الاستقرار والتعايش السلمي والاخوة بين الشعبين التركي والكردي، هذه الاخوة التي يعتبر المفكر الديمقراطي الدكتور اسماعيل بيشكجي أحد رموزها الوضاءة.

مع التقدير والاحترام. ١٩٩٠/٧/٢

طه مائي ـ شاعر وباحث. عباس البدري ـ شاعر وصحفي. حميد صادق ـ صحفي. سعد عبد الله ـ قاص ومترجم. ارسلان بايز ـ صحفي. خسرو عزيز ـ صحفي. شه ونم برزنجي ـ شاعرة. محسن علي أكبر ـ صحفي. جوهر كرمانج ـ شاعر. كاروان عبد الله ـ قاص. هفال كويستاي ـ شاعر. آبو بكر خوشناو ـ شاعر ومترجم. مدحي المندلاوي ـ قاص. ادريس جلكي ـ شاعر. رمضان عيسى ـ شاعر. محسن كتاني ـ شاعر. ب. فلاد ـ قاص. هلمت ـ صحفي. حميد سوري ـ صحفي. بوتان ـ قاص. يوسف شريف ـ صحفي ومترجم. فريال محمد ـ صحفي. كمال رؤوف هنجيره ـ كاتب ومخرج مسرحي. هوشنك ـ كاتب. سرو ـ صحفي ومترجم. ريبوار يلدا ـ قاص. مسعود ساله يي ـ صحفي. قادر قه جاخ ـ شاعر. عبد الموجود طه ـ صحفي. شمال ـ مترجم. فلك الدين كاكائي ـ صحفي. هه زار ـ مسرحي. سورخي ـ شاعر.



في يوم السبت، ١٨/ ٨/ ١٩٩٠ توفي الروائي العراقي العربي غائب طعمة فرمان بموسكو بين أوراقه ومع الراديو الصغير الذي يتابع منه أخبار بلاده الموجعة... وقد كان الموت في المنفى هاجسه المقلق.. ففي هذا المنفى المتنقل بين الصين والقاهرة وموسكو عاش أبو سمير مسكوناً بمدينته بغداد، شغوفاً، خائفاً عليها حتى من الجديد الذي قد يلغي معالمها القديمة. وقد جسد في رواياته (النخلة والجيران، خمسة اصوات، المخاض، القربان، آلام السيد معروف، ظلال على النافذة، المرتجى والمؤجل، المركب) الحياة في هذه البيئة الشعبية، بين الازقة الضيقة وضفاف «دجلة الخير»، وبشخصياتها الاصيلة العميقة، سليمة الخبازة، تماضر، صاحب البايسكلجي، خليل النجار، فضيلة، السيد معروف ... وعكس التحولات الاجتماعية والنفسية العميقة على الشخصية الشعبية العراقية والصراع بين القديم والجديد، وبين شغف الانسان للتجدد والانطلاق وضغط القوى القاهرة التي تريد ان تبقيه صغيراً محدوداً... ولذلك التصقت رواياته بوجدان المواطن العراقي، الذي رأى فيها نفسَه ولهجتَه وبيتَه.

والعنصر البطولي في سيرة غائب طعمة فرمان الابداعية يكمن في انه سجل في رواياته التاريخ النفسي والاجتماعي لبلادنا وهو في منفاه البعيد. رصيده في ذلك ذاكرة عنيدة لا تريد ان تفلت منها تفاصيل الحياة التي عاشها في وطنه إبناً باراً لفقرائه وبسطائه، ورصيده هذا الانتماء المخلص لتقاليد الحركة الثقافية الديمقراطية التي شاركت مصير بلادها بالكتابة والعمل، وعلاقة وثيقة بالحركة الوطنية والشيوعية كلفته النفي والمنع والتشريد... ورصيده الأهم روح شفافة أصيلة قادرة وراغبة في أن تجعل هموم الآخرين همها الخاص. ولذلك كان غائب وجداناً لنا جميعاً، مناضلاً لنا وقبلنا ورائداً لنا، وبشيراً بالعراق القادم.

المكتب السياسي للجنة
المركزية للحزب الشيوعي العراقي
١٨/ ٨/ ١٩٩٠

السعر دينار ونصف